

محمد أمارة

اللغة العربية في إسرائيل

سياقات وتحديات



دار الفكر - الأردن



أ. دار الهدى م.ض.

دراسات

المركز العربي للحقوق والسياسات

Muhammad Amara
Arabic Language in Israel: Contexts and Challenges

First Edition, 2010
All Rights Reserved ©

Dar Al-Huda & Dirasat
Dar Al-Fiker-Jordan

محمد أمارة

اللغة العربية في إسرائيل: سياقات وتحديات

تدقيق لغوي: د. غالب عنابسة

تصميم الغلاف: الفنان نهاد بقاعي

تصميم فني: دار الأركان للإنتاج والنشر م. ض.

الرقم الدولي المعياري: ISBN: 978-965-91263-2-3

الطبعة الأولى - 2010

© جميع حقوق الطباعة والنشر محفوظة

الناشر:

دار الهدى و دراسات

دار الفكر - الأردن

دراسات - المركز العربي للحقوق والسياسات

ص.ب. 3190 الناصرة 16131

هاتف: 04-6083333

فاكس: 04-6083366

بريد إلكتروني: dirasat.aclp@gmail.com

صفحة الانترنت: www.dirasat-aclp.org

التوزيع: أ. دار الهدى - ع. زحالقة - كفر قرع

هاتف: 04-6357349

فاكس: 04-6356195

بريد إلكتروني: daralhuda.1@gmail.com

محمد أمارة

اللغة العربية في إسرائيل

سياقات وتحديات

المركز العربي
للحقوق والسياسات

دراسات

أ. دار الهدى م. ض.



دار الفكر-الأردن



كلمة شكر

كتبت العديد من الكتب، ولكن لهذا الكتاب وقع خاص لأنه يعالج جانبا هاما من جوانب الهوية العربية-الفلسطينية في الداخل وله تأثير على تنشئتنا الفردية والجمعية، وأيضا على عملية التنمية الاقتصادية-الاجتماعية. وللغة الأم هذا الدور وأكثر.

بوذي أن أشكر كل من السيد مروان أبو غزالة (كلية بيت-برل)، والسيد مهند مصطفى (جامعة حيفا)، والمحامي علي حيدر، (مدير مشارك لجمعية سيكوي) على قراءة النسخة الأولى للكتاب، وإبداء آرائهم القيمة في مجال تخصصهم واهتماماتهم، والتي أقت الضوء على جوانب مختلفة من الدراسة.

أقدم شكرا خاصا للدكتور يوسف جبارين، مدير مؤسسة "دراسات" على دعمه اللا-محدود بالمشاريع المرتبطة باللغة العربية.

وأريد أن أشكر معلمي وزميلتي العلامة، البروفيسور بيرنارد سبولسكي، الذي حثني دائما على الاهتمام باللغة العربية، رغم أنني أنهيت دراستي في قسم اللسانيات للغة الانجليزية. ولزميلي الدكتور عبد الرحمن مرعي شريكي مؤلفين هامين. لا شك أن لبعض أفكاره صدى في هذا الكتاب.

كما أودّ أن أشكر أفراد عائلتي للدعم المعنوي المتواصل الذي قدموه لي خلال كافة مراحل تأليف هذا الكتاب: لزوجتي الغالية ختام (أم حسن) بدعمها اللا محدود وتوفير الظروف لي ولأفراد العائلة، حسن، وعمرو وأنس ومنى لتفهمهم أحيانا انشغال الأب ولكونكم بإذن الله الخلف الصالح.

إهداء

للوالد والوالدة
للوالد على دعمه المتواصل وحبه الفطري للأرض والوطن
وللوالدة الرحمة والغفران والتي وفرت الحضانة الدافئة

والى
أولئك الأحرار الذين يرون بالعربية مشروعا عربيا

المحتويات



13	تقديم
15	تمهيد
21	الباب الأول- مدخل
21	الفصل الأول- اللغة والهوية
22	1. مقدمة
23	1.1 هوية وهويات
26	1.1.1 هويات متصارعة: العلاقات الفلسطينية-اليهودية في إسرائيل
29	1.2 اللغة والهوية الاجتماعية
32	1.2.1 اللغة العربية والهوية الاجتماعية
35	1.2.2 اللغة والهوية في إسرائيل
38	1.3 اللغة العربية وحيويتها في إسرائيل
41	الفصل الثاني- اللغة العربية وتحدياتها: صراعات داخلية وخارجية
42	2. مقدمة
42	2.1 التحديات الداخلية
43	2.1.1 الازدواجية اللغوية- تحديات قديمة- جديدة
45	2.1.2 مواجهة التحديات: السياسة العامة نحو اللغة العربية في العالم العربي
48	2.1.3 التحديث واللغة العربية
49	2.2 التحديات الخارجية
50	2.2.1 الكولونيالية، العولمة واللغة العربية
53	2.3 خلاصة

55	الباب الثاني- سياقات وخصوصية اللغة العربية في إسرائيل
	الفصل الثالث- السياقات الداخلية والإقليمية المؤثرة
55	على اللغة العربية في إسرائيل
56	3. مقدمة
56	3.1 السياقات الداخلية
59	3.2 السياقات الإقليمية
68	3.3 إسقاطات اللغوية للسيقات الداخلية والإقليمية
71	الفصل الرابع- مكانة اللغة العربية في إسرائيل
72	4.1 الوضع اللغوي في إسرائيل
74	4.2 مكانة اللغة العربية في إسرائيل: التفاعل بين القانون والمجتمع
81	الفصل الخامس- سمات العربية الفلسطينية في إسرائيل
82	5.1 العربية الفلسطينية في إسرائيل
83	5.1.1 هل هنالك "صيغة" فلسطينية متميزة في إسرائيل؟
84	5.1.2 تأثيرات من صيغ عربية أخرى
87	الباب الثالث- العربية في ظل هيمنة العبرية
87	الفصل السادس- العبرية لغة مهيمنة في إسرائيل
88	6.1 مقدمة
89	6.1.1 بناء هوية اليهودي - الإسرائيلي
90	6.1.2 وضع العبرية على الأجندة القومية
91	6.1.3 تعليم العبرية
93	6.2 إسقاطات العبرية
95	الفصل السابع- العبرية المؤدجة وتعليمها للطلاب الفلسطينيين في إسرائيل
97	7.1 المواقف من تعليم العبرية للعرب
98	7.2 سياسة تعليم العبرية: أهداف ومناهج
102	7.3 منهاج جديد للغة العبرية: هل من جديد؟

103	7.4 كتب ومحتويات	
106	7.5 إسقاطات العبرنة على التعليم	
109	الفصل الثامن- تغلغل العبرية إلى "قلب العربية"	
110	8. مقدمة	
111	8.1 مدخل- احتكاك الحضارات وانعكاساته اللغوية	
114	8.2 أهمية دراسة العبرية	
116	8.3 معرفة العبرية واستعمالها	
118	8.4 استعارة مفردات من العبرية: دمجها وانتشارها	
119	8.4.1 مجال البناء	
120	8.4.2 الطعام	
120	8.4.3 الخدمات الصحية	
121	8.5 الاستعارة ومميزاتها اللغوية	
124	8.6 استنتاجات	
127	الباب الرابع-المشهد اللغوي	
127	الفصل التاسع- عبرنة الأسماء والمواقع العربية	
128	9.1 مقدمة	
133	9.2 عبرنة الأسماء: ترجمة التوجه الإيديولوجي والفكر السياسي	
141	9.3 خلاصة	
143	الفصل العاشر- المشهد اللغوي الحالي في البلدات العربية	
144	10.1 مقدمة	
145	10.2 مميزات المشهد اللغوي في القرى والمدن العربية	
146	10.2.1 العبرية والعبرنة	
149	10.2.2 خصوصيات عربية-فلسطينية	
150	10.2.3 العولمة	
151	10.3 خلاصة	
157	الفصل الحادي عشر- المشهد اللغوي من منظور آخر: حالة مدينة أم الفحم	
158	11.1 أم الفحم: خلفية	

160	11.2 المشهد اللغوي في المدينة	
160	11.2.1 المساجد	
161	11.2.2 أسماء الشوارع	
161	11.2.3 المؤسسات التعليمية	
162	11.2.4 الصحافة المحلية والمؤسسات الثقافية	
164	11.2.5 أسماء المواقع	
166	11.2.6 المؤسسات المجتمعية	
166	11.2.7 اللغة في السياسة المحلية	
167	11.3 خلاصة	
169	الباب الخامس-قضايا تعليمية-سياسية	
169	الفصل الثاني عشر – اللغة العربية في جهاز التعليم العربي	
170	11.1 مقدمة	
171	11.2 مناهج اللغة العربية وإسقاطاتها على الهوية العربية	
176	11.3 ما دور اللغة العربية في جهاز التعليم العربي اليوم؟	
178	11.4 خلاصة	
	الفصل الثالث عشر – تدريس اللغة العربية في المدارس اليهودية:	
179	بين الاعتبارات الأمنية والاعتبارات المدنية	
180	13.1 مقدمة	
182	13.2 تدريس اللغة العربية	
184	13.3 مواقف اليهود نحو اللغة العربية	
188	13.4 أهداف تعليم اللغة العربية	
191	13.5 مدارس ثنائية اللغة – جمعية "يدا بيد"	
193	13.6 خلاصة	
195	الباب السادس-تحديات اللغة العربية	
	الفصل الرابع عشر – قضايا سياسية-ايدولوجية	
195	الأيدولوجية اللغوية والاتجاهات نحو العربية	
196	14.1 مقدمة	

197	14.1.1 الحزب الشيوعي
199	14.1.2 التجمع
201	14.1.3 التيار الإسلامي
204	14.1.4 الجمعيات الأهلية
207	14.2 بحث ميداني
207	14.2.1 مميزات المشاركين في البحث
208	14.2.2 الإجراءات الفنية وأنواع الأسئلة
208	14.2.3 الاتجاهات نحو العبرية والعربية والإنجليزية
209	14.2.3.1 العربية
211	14.2.3.2 انطباعات من لغات ومجموعات مختلفة
212	14.3 خلاصة
الفصل الخامس عشر – مجامع اللغة العربية في السياق الإسرائيلي	
215	بين الدور البحثي والقيمة القومية
216	15.1 حول اللغة والتحديث
217	15.2 مجامع اللغة العربية
217	15.2.1 نبذة قصيرة
219	15.2.2 القاهرة نموذجاً
220	15.2.2.1 المجمع: أهدافه، لجانته ونماذجاته
224	15.3 مجامع اللغة العربية في إسرائيل
225	15.3.1 جمعية مجمع اللغة العربية
227	15.3.2 مجمع اللغة العربية الرسمي
228	15.3.3 مجمع القاسمي للغة العربية وآدابها
230	15.4 خلاصة
الفصل السادس عشر – موقع اللغة العربية في وثائق التصورات المستقبلية	
234	16.1 مقدمة
236	16.2 اللغة في التصورات المستقبلية
241	16.3 خلاصة

243	الفصل السابع عشر – تحديات اللغة العربية
255	الفصل الثامن عشر – مواجهة التحديات: نحو بناء أطار نظري
273	المراجع

جداول

122	جدول 8.1. أمثلة على كلمات عبرية مستعارة يتم عليها تعديل صوتي، ولكنها تحافظ على المعنى الأصلي.
123	جدول 8.2. أمثلة لكلمات عبرية مستعارة مع لواحق عربية ولواحق عبرية.
123	جدول 8.3. أمثلة على استعارة مترجمة من العبرية.
124	جدول 8.4. أمثلة لكلمات غير مألوفة في العالم العربي.
140	جدول 9.1 عينة عن تهويد وعبرنة الأسماء العربية للمدن الفلسطينية
210	جدول رقم 14.1: التصورات والاتجاهات حيال العربية
211	جدول رقم 14.2 : استعمال اللغات بين المشاركين في البحث في مواقع مختلفة

اللغة العربية في البلاد: نحو سياسات لغوية بديلة



يتناول هذا الكتاب إحدى أهم قضايا المجتمع العربي الفلسطيني في البلاد، وأحد أهم المركبات في هويتنا القومية والثقافية، ألا وهي اللغة العربية - لغتنا الأم. إن الحق في الحفاظ على لغة الأم وتطويرها هو أحد الحقوق الجماعية الأساسية للمجموعات القومية عمومًا وللأقليات الأصلية منها تحديدًا.

ويواجه هذا الحق في بلادنا سياسات رسمية تتراوح بين التمييز والإقصاء وبين الإهمال المتعمد، ضمن السياسات المؤسساتية العامة والتي تهدف إلى طمس وتشويه الانتماء القومي والوطني، والنيل من خصوصية الهوية الجماعية للعرب الفلسطينيين في إسرائيل. مقابل هذه السياسات، كانت، وما زالت، هنالك قوى غيرورة ومدافعة عن اللغة العربية من الضياع كونها معلمًا أساسيًا من معالم الوجود الحضاري على هذه الأرض.

وفي معرض تحليل هذا الحق الجماعي، يتوجب التشديد على حقيقة أساسية، مرتبطة ارتباطًا وثيقًا بأي خطاب حول مكانة وحقوق الأقلية العربية: حقيقة كون الجماهير العربية الفلسطينية في إسرائيل أهل البلاد الأصليين، وعلاقتها العضوية بوطنها؛ وجدانها، ووطنياً، ودينيًا، وثقافياً. هذه الحقيقة، إلى جانب كون هذه الجماهير جزءاً لا يتجزأ من الشعب العربي الفلسطيني، تشكل حقائق مؤسّسة في صياغة مكانة الجماهير العربية الفلسطينية في البلاد، أخلاقياً وحقوقياً. إن الأقلية الفلسطينية في إسرائيل ليست مجرد واحدة من المجموعات المستضعفة، بل هي، قبل كل شيء، أقلية وطن قومية وأصلية، عاشت وازدهرت في وطنها كأغلبية - مع بقية أبناء الشعب الفلسطيني - قبل النكبة. بالتالي، تشكل أصلية الأقلية العربية-الفلسطينية جزءاً لا يتجزأ من تجربتها في البلاد، ولهذه الأقلية خصوصيات قومية ولغوية وثقافية ودينية.

وكما هو الحال في مجالات الحياة الأخرى، فكما تطوّرت وتعزّزت أساليب وطرق العمل الجماهيري والمهني والحقوقى لدى الأقلية العربية-الفلسطينية، ازدادت تلك السياسات التمييزية تركيباً وتعقيداً. وقد شهدنا في السنوات الأخيرة هجمة مباشرة على اللغة العربية وعلى مكانتها القانونية والدستورية، وهي جزء لا يتجزأ من الهجمة على الوجود العربي وعلى شرعيته في هذه البلاد، ومنها، على سبيل المثال لا الحصر، السعي المتواصل إلى إلغاء مكانة اللغة العربية كلغة رسمية في مشاريع الدستور الإسرائيلية المقترحة، والخطة الحكومية لعبرنة أسماء آلاف القرى والمدن والمواقع، استمراراً لمخططات تهويدها.

لقد أخذ مركز دراسات على عاتقه مهمة المساهمة في طرح الرؤى ونقد السياسات وتقديم البدائل والعمل الإستراتيجي لدى المجتمع العربي الفلسطيني في البلاد، في مواجهة التحديات الجمة التي تواجهه. وينضم هذا الكتاب إلى عشرات الأبحاث والإصدارات والأوراق البحثية والمهنية التي صدرت عن المركز في السنوات الأربع الأخيرة، والتي نسعى فيها إلى مراكمة تراث بحثي-تطبيقي في مختلف المجالات، وإلى تعزيز الخطاب المهني العربي حول مكانة الأقلية العربية في البلاد والتحديات الماثلة أمامها.

وما يميّز هذا المؤلف هو تناوله للغة العربية في إسرائيل من باب علم اللغة الاجتماعي، وهو فرع علمي حديث العهد نسبياً في البحث الأكاديمي في بلادنا وفي العالم عموماً، من ناحية، ويسعيه إلى إلقاء الضوء بمنهجية وشمولية على واقعنا اللغوي، من ناحية ثانية، وصولاً إلى سياسات لغوية تحفظ وتعزّز وتطوّر اللغة العربية في ظل التحديات الداخلية، لكن أيضاً في ظل الإسقاطات الثقافية للعولمة التي لم نعد بنأى عنها.

للبروفيسور محمد أمارة العشرات من الأبحاث الأكاديمية في هذا المجال، كانت بمثابة لبنات أساسية لفهم وتحليل خصوصية اللغة العربية، وقد تراصّت هذه الأبحاث مع فصول ودراسات جديدة لتشيدّ معاً بنیان هذه الدراسة اللغوية-الاجتماعية الرائدة. ونحن في "دراسات" إذ نحياه على هذا المشروع البحثي الهام ونثمن جهوده الجبارة، نأمل أن يشكل كتابه هذا فاتحة للمزيد من الأبحاث والدراسات التي لا تكتفي بتشخيص الواقع ونقده بل تسعى إلى تقديم البدائل والطروحات الإستراتيجية أمام صناع القرار في مجال اللغة العربية كما في مجمل قضايا مجتمعنا.

د. يوسف تيسير جبارين

مدير دراسات - المركز العربي للحقوق والسياسات

تمهيد



مرت فلسطين بالكثير من التحولات الجيو-سياسية وانعكس ذلك على المشهد اللغوي والثقافي فيها (أمانة، 2003). فقد صبغتها الكثير من الثقافات واللغات عبر تاريخها. لكنه من الواضح أن فلسطين بعد الفتح الإسلامي، رغم وجود العديد من اللغات والثقافات، أصبحت بمشهدها العام عربية اللغة والثقافة.¹

مع نهاية الحكم العثماني في فلسطين عام 1917م، واحتلال فلسطين من قبل القوات البريطانية، وبداية الانتداب عام 1920م، أدى إلى تغييرات بعيدة المدى في جميع مناحي الحياة، ومن ضمنها المشهد اللغوي، حيث عزز الانتداب البريطاني في فلسطين مكانة اللغة العبرية التي ترسخت آنذاك كلغة، تم إحيائها للمجتمع اليهودي، وتحولت إلى لغة رسمية إلى جانب اللغتين العربية والإنجليزية (أنظر أمانة 2002؛ أمانة ومرعي 2002؛ سبان وأمانة 2002).

أما التغيير الأكبر أثرا على المشهد اللغوي في فلسطين فقد حصل منذ النكبة وقيام دولة إسرائيل. فالسيادة اليهودية على جزء كبير من أرض فلسطين، والتي أصبحت تعرف فيما بعد دولة إسرائيل، غيرت معالم المشهد اللغوي، وأصبحت اللغة العبرية هي الحاضرة والمهيمنة على المشهد العام.

بعد إنشاء دولة إسرائيل، عاش العرب-الفلسطينيون في إسرائيل كأقلية معزولة، مادياً واجتماعياً وثقافياً، عن العالم العربي المجاور (بويميل، 2007). وكان لهذا الواقع تأثير كبير على بلورة هويتهم القومية، الدينية، والثقافية. وقد ساهم هذا الواقع من جهة أخرى على تعميق أزمة الهوية وجعلها مركبة ومتناقضة داخليا.

1 التفاصيل حول الوضع اللغوي في فلسطين، أنظر أمانة 2003.

فمن جهة، ظل العرب-الفلسطينيون في إسرائيل مرتبطين وجدانيا، ثقافيا، وقوميا بالعالم العربي والشعب الفلسطيني، ومن جهة أخرى، أصبحوا مواطنين في دولة إسرائيل. وقد ترسخ هذا التناقض لدى كل عربي-فلسطيني حاول أن يتعامل مع هذا الواقع في الحياة اليومية. فالمجتمع العربي-الفلسطيني يعيش في صراع مع المؤسسة الإسرائيلية الحاكمة والأغلبية اليهودية المهيمنة في إسرائيل في مسألتين جوهريتين: الأولى: هي جوهر إسرائيل وتعريفها لذاتها بأنها دولة يهودية-صهيونية وديمقراطية، وانعكاس ذلك على مكانة العرب-الفلسطينيين المدنية والقومية في الداخل، والثانية: هي السياق الواسع للعلاقات العربية-اليهودية في ظل الصراع العربي-الإسرائيلي.

في أعقاب الواقع السياسي الذي نشأ بعد عام 1948، والذي تحول فيه العرب-الفلسطينيون إلى أقلية مهمشة في إسرائيل، أصبح السؤال ملحا حول مدى قدرتهم على الحفاظ على اللغة العربية، لغتهم الأم لغة آبائهم وأجدادهم؟ لغة تاريخهم، ثقافتهم، دينهم، وقوميتهم وخصوصا في ظل وجود مجتمع قروي وغياب الحضرة المدنية الفلسطينية التي تطورت فيها الثقافة والإبداع الأدبي والعلمي، أي بغياب النخبة التي كان من الممكن أن تحمل الهم اللغوي في ظل تحديات العبرية، فإذا كان الجواب إيجابيا، فإلى أي مدى وفي أي مجالات كانوا على قدر التحدي؟ أما إذا كان الجواب عكس ذلك، فما تأثير ذلك على المشهد اللغوي الفلسطيني والهوية الوطنية؟

نطرح هذه الأسئلة ونحن ندرك تماما أننا لا نتحدث عن حالة أغلبية-أقلية عادية وما يترتب عليها من علاقات بينهما، كما في حالات سياسية أخرى في العالم. بل نتحدث عن أقلية وطن، تختلف مع الأغلبية اليهودية حول الرواية التاريخية، الأرض، ماهية الدولة والصراع العربي-الإسرائيلي. فخصوصية وضعية المجتمع الفلسطيني في الداخل نابعة من شكل علاقته بالدولة وصراعه معها، ليس فقط حول مطالب مادية أو مطلبية فحسب، وإنما هو صراع على الهوية عموما، والهوية الثقافية خصوصا وفي جوهرها اللغة العربية، حيث أنها جزء من ماهية الثقافة العربية وليس أداة لنقلها أو إنتاجها فقط. من هنا تأتي أهمية اللغة العربية كونها أحد المؤشرات والمركبات الهامة في الهوية العربية-الفلسطينية.

التحديات التي تواجه اللغة العربية في إسرائيل كبيرة، سواء كان ذلك من حيث تأثير العبرية أو من حيث مكانتها في ظل التحديات الثقافية في زمن العولمة.

جميع هذه العوامل تدفعنا لتحليل وضعية اللغة العربية ودورها ومكانتها لتكون قادرين على تعزيزها وتعزيز بقائنا كأهل وطن. الحديث عن المحافظة على اللغة العربية هو حديث عن الحفاظ على الهوية العربية.

فاللغة ليست مجرد وسيلة اتصال فحسب، وإنما هي منظومة من الإشارات والدلالات أيضاً. حيث تعدّ اللغة من أهم أدوات التنشئة الاجتماعية للفرد والمجموعة، ومن أهم مكوّنات الهوية الفردية والجماعية، فهي ترسم الحدود الذهنية والثقافية والقومية بين الناطقين بها كلغة أم وبين "الآخر". وللغة موقع ومكان في الحيز العام، فكلما كانت مكانتها فيه عالية وبارزة، كلما كانت قيمتها الرمزية وحيويتها من حيث التعامل معها واستخدامها أكبر.

بدأت تتراكم في السنوات الماضية أبحاث حول المجتمع العربي الفلسطيني في إسرائيل في العديد من المجالات، سواء كانت في التربية والتعليم، أو السياسة، أو في مختلف القضايا الاجتماعية والثقافية، إلا أن مجال البحث اللغوي ما زال في بدايته (سواء بحث العربية كلغة أم أو العبرية باعتبارها اللغة الثانية والمهيمنة في الدولة، واللغات الأخرى ذات الصلة)، علماً بأنّ البحث اللغوي قادر على كشف جوانب هامة حول الصراع العربي-الإسرائيلي، منها إلقاء ضوء هام على الهوية الجمعية، ومعالجة جوانب مهمة داخل المجتمع العربي الفلسطيني نفسه، وتبيان التطورات الحاصلة فيه التي لم تحظ بالعناية سابقاً، وكذلك إبراز شكل العلاقة والاحتكاك مع المجتمع اليهودي الإسرائيلي وتبيان إسقاطاته على المجتمع العربي الفلسطيني، سواء من الناحية الثقافية أو من ناحية الانتماء والهوية.

جاءت هذه الدراسة لتلقي الضوء على واقع اللغة والعربية وتحدياتها في إسرائيل في ظل الصراع العربي-الإسرائيلي وفحص وضعية اللغة العربية بعد قيام إسرائيل لسبر علاقتها بالوجود العربي- الفلسطيني في البلاد، من ناحية الهوية الفردية والهوية الجماعية. فاللغة العربية في إسرائيل تواجه تحديات كبيرة وعراقيل جمة. ففي هذا العمل سنحاول إلقاء الضوء بمنهجية على جوانب مختلفة لهذه الظاهرة، لعله يساعدنا في الوصول إلى سياسة لغوية أكثر وعياً وقابلة للتطبيق، وذلك من أجل الحفاظ على العربية كلغة أم ولغة الهوية والثقافة، ولغة الحفاظ على الجماعة من الانصهار. أو ربما من تأثير اللغة العبرية المهيمنة على كثير من مجالات حياتنا.

تأتي هذه الدراسة أيضاً لتبحث ماهية العلاقة بين اللغة والهوية في حالات

صراعية. ونأمل أن تشكل هذه الدراسة مساهمة جديدة لإعادة اللغة العربية إلى مكانتها وتعزيز هوية أبنائها في ظل تحديات الصراع والتحديات الثقافية في زمن العولمة.

استند هذا الكتاب على ثمرة عمل استمر سنوات طوال من بحث اللغة العربية، والمخزون اللغوي، وسياسة التربية اللغوية للمواطنين الفلسطينيين في إسرائيل وربطها بالسياقات المحلية، القطرية، العربية والعالمية من عدة جوانب، وخاصة اللغوية، الاجتماعية الثقافية، السياسية (أنظر أمارة 1986، 1991، 1995، 1999، 1999، 2001، 2006، 2007، 2009؛ أمارة ومرعي، 1999، 2002، 2008؛ أمارة وآخرون 2009). فالكثير من الأبحاث التي قمت بها كانت نظرية وميدانية في آن واحد. هذا الكتاب ليس تلخيصاً لأبحاث سابقة، وإنما أتت الأبحاث السابقة لتشكيل لبنات لفهم وتحليل خصوصية اللغة العربية، سياقاتها وتحدياتها بمفهوم شمولي في ظل الواقع الإسرائيلي المركب، وارتباطها الوثيق بالفضاء العربي الإقليمي، والعولمة. إضافة هنالك العديد من الموضوعات الجديدة المطروحة في هذا الكتاب: المشهد اللغوي الفلسطيني، الجامعات اللغوية التي أقيمت مؤخراً، دور الأحزاب، الحركات والمجتمع المدني في تعزيز العربية، ودور اللغة العربية في التصورات المستقبلية، وبناء إطار نظري أولي لمواجهة التحديات. هذا الكتاب هو الأساس دراسة لغوية-اجتماعية.²

إنّ موضوع الكتاب مركب جداً ويغطي مجالاً واسعاً، فقد قمت بالعديد من الدراسات الميدانية، واستخدمت عدداً من أساليب البحث بغية جمع المعطيات ذات العلاقة بالموضوع. تشتمل هذه الأساليب على: إجراء مقابلات، استعمال استبيانات، استخدام الأرشيفات، وتصوير لافتات في كاميرا رقمية. وسأشير إلى التفاصيل عند الحديث عن الدراسات الميدانية.

يحتوي الكتاب على ستة أبواب. الباب الأول هو عبارة عن مدخل ويتضمن فصلين. حيث يقدم الفصل الأول خلفية نظرية حول اللغة والهوية الاجتماعية. أما الفصل الثاني فيطرح التحديات التي تواجه اللغة العربية عامة، حيث يصنف التحديات إلى داخلية وخارجية. وتتلخص التحديات الداخلية في ازدواجية اللغة العربية، الميل في بعض الأقطار العربية إلى تفضيل اللهجات المحلية لتحل محل الفصحى، وعملية تحديث. أما التحديات الخارجية فهي الاحتكاك مع اللغات

2 يركز علم اللغة-الاجتماعي (sociolinguistics) على المكانة، الاستعمال والتنوع والتغير اللغوي. هنالك فروع أخرى من علوم اللغة والتي تعنى بالمباني اللغوية واكتساب اللغة.

الأخرى وخاصة لغة المستعمر وتأثيرها على اللغة العربية، والاحتكاك اللغوي في سياقات تفوق الغرب على الشرق، والعملة.

الباب الثاني من الكتاب يعالج سياقات وخصوصية اللغة العربية في إسرائيل. ويضم هذا الباب ثلاثة فصول. الفصل الثالث يبحث في السياقات الداخلية والإقليمية المؤثرة على اللغة العربية في إسرائيل. ويعالج الفصل الرابع الوضع اللغوي في إسرائيل ومكانة اللغة العربية. أما الفصل الخامس والأخير في هذا الباب فيطرح مسألة وجود أو غياب مميزات معينة للغة العربية لدى الفلسطينيين في الداخل.

أما الباب الثالث فيتحدث عن العربية في ظل هيمنة العبرية أو ما نسميه "العبرنة". ويشتمل هذا الباب على ثلاثة فصول. يفتتح الفصل السادس هذا الباب من خلال بحث هيمنة اللغة العبرية في الحيز العام في إسرائيل. وي طرح الفصل السابع مسألة تعليم اللغة العبرية في صفوف الطلاب الفلسطينيين في إسرائيل. أما الفصل الثامن فيبحث في استعارة مميزات من العبرية دخلت إلى قلب العربية الفلسطينية.

الباب الرابع يعاين المشهد اللغوي، ويعالج الفصل التاسع مسألة عبرنة الأسماء والمواقع العربية، والفصل العاشر يتطرق إلى المشهد اللغوي العربي-الفلسطيني الحالي. أما الفصل الحادي عشر والأخير من هذا الباب، فيعالج الحيز اللغوي في مدينة أم الفحم كحالة دراسية.

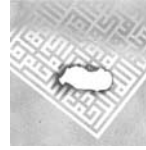
الباب الخامس يتمحور حول قضايا تعليمية-سياسية. ويشتمل هذا الباب على فصلين. الفصل الثاني عشر والذي يعالج موضوع اللغة العربية في جهاز التعليم العربي، مع التركيز على مسألة الهوية. أما الفصل الثالث عشر فيتناول مسألة تدريس اللغة العربية في المدارس اليهودية، وذلك من خلال فحص تأثير كل من الاعتبارات الأمنية والمدنية في مكانة اللغة العربية في المدارس اليهودية.

الباب السادس والأخير يناقش تحديات اللغة العربية، ويركز بالذات على القضايا الأيديولوجية. الفصل الرابع عشر يتحدث عن الإيديولوجيات اللغوية والاتجاهات نحو العربية. الفصل الخامس عشر يبحث في دور ومكانة مجامع اللغة العربية في السياق الإسرائيلي. الفصل السادس عشر يفحص اللغة العربية كما وردت في وثائق التصورات المستقبلية الصادرة عن هيئات عربية في إسرائيل. الفصل السابع عشر يجمل التحديات التي تواجهها اللغة العربية في إسرائيل، أما الفصل الثامن عشر والأخير فيطرح إطار نظري أولي واقتراحات لمواجهة التحديات.

الباب الأوّل

مدخل

الفصل الأوّل
اللغة والهوية



1. مقدمة

تلعب كل من اللغة والهوية الاجتماعية، كما سأيّن في هذا الفصل، أدواراً مركزية وجوهرية في حياة المجتمعات. من جهة، فاللغة هي بمثابة أحد المؤشرات الهامة للهوية التي تساهم في تشكيلها وتعزيزها. بينما الهوية الاجتماعية، من الجهة الأخرى، هي البوصلة الثقافية والسلوكية للمجموعات وللمجتمعات، بل الوعاء الحافظ لحيويتها واستمرارها في هذا الكون. والعلاقة بين اللغة والهوية وثيقة جداً ومتشابكة. نريد أن ننوه في هذا السياق أن الوحدات المشكلة للهويات الاجتماعية تغيرت وتبدلت عبر السنين مع تبدل المفاهيم الإنسانية والفكرية. فعلى سبيل المثال، قبل مائتي سنة تقريباً كانت الوحدات الاجتماعية المهمة هي الدين، القبيلة أو الحملة. بعدها ظهرت الهويات القومية والعرقية لتصبح الأهم في كثير من مجتمعات العالم.

في هذا الفصل سأتناول العلاقة ما بين اللغة والهوية، وفحصها في السياق العربي عامة، والإسرائيلي خاصة. لكن في البداية سأتناول مفهوم الهوية الاجتماعية في سياق الأبحاث المعاصرة.

1.1 هوية وهويّات

يرى تاجفيل وتيرنر (Tajfel and Turner, 1985) ان لدينا - إلى جانب هويتنا الشخصية - هوية اجتماعية أيضا، تشمل معرفتنا لانتمائنا إلى مجموعة اجتماعية محددة، إضافة إلى القيمة والدلالة العاطفية المنسويتين إلى هذا الانتماء. خلال هذه العملية فإننا نعمل على تصنيف (Categorization) أنفسنا وتصنيف الآخرين، وهذه العملية - بناء على تاجفيل وتيرنر- هي عملية ذهنية محضة نقوم من خلالها بتقسيم، تصنيف وتنظيم محيطنا الاجتماعي. كما تتيح لنا تبني مختلف أشكال النشاط الاجتماعي، وتحديد موقعنا في النسيج الاجتماعي وتمنحنا هوية اجتماعية خاصة بنا، موضوعة بمصطلحات ومفاهيم اجتماعية. هناك عدة طرق لتحديد الهوية، منها عملية المقارنة والتي تتيح لنا معرفة مقدار تشابهنا أو اختلافنا بالمقارنة مع الآخرين، ومدى كون الآخرين أفضل أو أسوأ من أفراد مجموعات أخرى. يعتبر التصنيف الاجتماعي الأساس الذي يبنى عليه تفضيل مجموعة الانتماء والتمييز ضد المجموعة المختلفة في الجانب الآخر. كما تقوم نظرية الهوية الاجتماعية على مركب الدافعية الذي يعلل، بناء على تاجفيل وتيرنر، ميل البشر على صعيد عالمي لعقد مقارنات ومفاضلات ترجح فيها كفة مجموعتهم (In-group) وتبّخس قيمة المجموعة الخارجية (Out-group). وبناء على نظرية الهوية الاجتماعية فإن هذه العمليات هي الأساس الذي تبنى عليه الآراء المسبقة، الصور النمطية (القولبات) وعمليات التمييز السلبي بين المجموعات.

تنص نظرية الهوية الاجتماعية على أن أوضاع الصراع بين المجموعات، تساهم في إلغاء الهوية الشخصية، وتتعامل مع البشر بوصفهم ممثلين لفئة اجتماعية واحدة وليس كأفراد متميزين. عندما تكون المنظومة الاجتماعية ذات مبنى هرمي وتتميز بعدم المساواة في توزيع ثرواتها، فإن وضعها الاجتماعي يتسم بالمركزية العرقية ويكون قائما على العداء بين المجموعات. ويرى تاجفيل - على ضوء الدراسات المختلفة التي أجريت في هذا الصدد- إن الميل للمركزية العرقية غالبا ما يكون أحادي الاتجاه من المجموعة ذات المكانة العليا إلى المجموعة ذات المكانة الدنيا، بينما كثيرا ما نلاحظ لدى أفراد المجموعة الدنيا النظرة الايجابية تجاه المجموعة ذات المكانة العليا. عادة فإن المجموعات ذات المكانة الدنيا تدوّت التقدير

الاجتماعي الشائع حول دونيتها وتستنسخه، لدرجة تقليل قيمتها الذاتية. وتنص نظرية الهوية الاجتماعية أن أفراد المجموعات الدنيا لن يعلنوا الصراع إلا عندما يتحدون نقطة الانطلاق الثقافية التي تصمهم بالدونية. وهذا يعني، من جهة، انه كلما اعتبرت المنظومة الاجتماعية شرعية بقدر اكبر والحدود بين المجموعات غير قابلة للاختراق، مال أفراد المجموعات الدون إلى تبني الإستراتيجية الشخصية القائمة على الذوبان في الثقافة السائدة، كوسيلة لترقيتهم الاجتماعي كأفراد. ومن جهة أخرى عندما يتم نفي ورفض شرعية الواقع الاجتماعي سوف يتبنى أفراد المجموعات الدنيا استراتيجيات جماعية. بحيث سيخرجون على الوضع الاجتماعي الراهن الذي يكرّس دونيتهم، ويعملون على تغيير الموقع عديم الأهمية الذي تحتله هويتهم الاجتماعية.

وقد طور ساروب (Sarup, 1996) على خلفية خطاب التعددية الثقافية في تسعينيات القرن الماضي نظرية ترى في الهوية الاجتماعية "حزمة" تتألف من هويات فرعية المتحركة باستمرار، وليس بالضرورة أن تتطور بينها علاقات ارتباط أو تصادم. هذه الهويات الفرعية تعكس تعدد الدلالات الذي يتطور لدى الأفراد في الواقع العالمي المتعلق بالسياقات الاجتماعية، الاقتصادية، السياسية والسيكولوجية المختلفة. فالأفراد يبلورون هوياتهم باستقلالية من خلال عملية ارتدادية يعملون فيها على إلحاق ذكرياتهم الماضية بترسيمات أنية تؤول الواقع وتبني منه رواية واحدة. بهذه الطريقة يبني كل فرد هويته الخاصة ولا يكون بحاجة إلى التشبه بالآخرين أو أن يتم وصمه كـ "آخر". وسيعتبر الفرد هذه الهوية ثابتة إذا كان كل مركب فيها قادرا على التحرك بحرية إلى مركز الهويات في عملية تغذية راجعة للممارسات اليومية، بحيث تكون المركبات الأخرى قادرة على إخلاء هذا المركز بحرية. هذه النظرية تفترض حركة مركبات الهوية بشكل دائم لتتمكن من الانسجام مع الواقع الديناميكي، كما تفترض أن أي تغيير اجتماعي يحدث على نطاق واسع لا بد أن يتمشى مع عملية تغيير للهويات.

هناك اختلاف بين هاتين النظريتين، لكنهما تُجمعان على انه في واقع يتسم بالصراع بين المجموعات أو عند وجود ما يهدد المجموعة، يزداد الميل لتبني استراتيجيات جماعية، أما في الأوضاع التي لا يوجد فيها مثل هذا التهديد فيزداد الميل لتبني الاستراتيجيات الفردية.

في العصر الحديث، أصبحت الهوية العرقية (ethnic identity) من أهم الهويات الاجتماعية. وكمصطلح، فإن للعرقية جذوراً بشكل أساسي في الانثروبولوجيا وعلم الأعراق (لايبكند، 1999: Leibkind). ويتم تعريف المجموعة العرقية غالباً على أساس معايير موضوعية مثل الخصائص البيولوجية، الجغرافية، اللغوية، الثقافية أو الدينية. لكن المعايير الذاتية تبدو أكثر أهمية من المعايير الموضوعية. وتعرف العرقية ببساطة بأنها مسألة اعتقاد ذاتي بالسلالة المشتركة (لايبكند، 1999:140).

ومن المقبول أن نشير على نطاق واسع بأن بارث (Barth 1970) هو الذي استخدم الطريقة الذاتية، وأرسى الأسس للفهم الحديث للعرقية. أنه من السهل "الانتقال من الطريقة الثابتة إلى الطريقة التفاعلية للعرقية" بتقدمه "للعرقية أو الهوية العرقية كجانب من التنظيم الاجتماعي وليس الثقافة" (فيرميولن وجوفرز، 1994:2 Vermeulen and Govers). وهكذا فإن الحدود العرقية هي التي تحدد المجموعة، وليست القضايا الثقافية المرتبطة بها (بارث، 1970). وبدلاً من وضع قائمة بالمعايير الموضوعية، فإن الاهتمام الرئيسي هو المحافظة على الحدود وتشكيلها (دي كادت، 2000: de Kadt). من الأسئلة التي تثير التحدي حول الجماعات العرقية هي: كيف يتم إنشاء الحدود بين الجماعات والمحافظة عليها؟ وأين وكيف يرسم الناس الحدود الفاصلة بينهما؟

لقد ادعى كثير من الباحثين خصوصاً الليبراليين بأن العرقية ميتة. وكما تقول سكوتناب-كانغاس (Skutnabb-Kangas 54:1999):

لقد أُعلن عن وفاة العرقية عدة مرات خلال هذا القرن (نعني القرن العشرين) خصوصاً بعد الحرب العالمية الثانية. لقد ادعى الباحثون الليبراليون (ويستمر الكثيرون في الادعاء) بأنها كانت ميزة تقليدية عاطفية ستختفي مع التحديث والحركة الحضرية وحركة العولمة. وسيتم استبدال الهويات العرقية بولاءات وهويات أخرى: مهنية واجتماعية وجنسية وجماعة المصالح والهويات المتعلقة بالدولة والعولمة وهكذا دواليك. وادعى الباحثون الماركسيون بأن التضامات المتعلقة بالطبقات الاجتماعية التي تخطت الحدود القومية سوف تحل محل العرقية: سوف تتحل البروليتاريا الدولية ضد الرأسمالية العالمية. يعلن الآن الباحثون المحدثون أنه يجب ألا تكون لنا هويات دائمة وإنما فقط هويات مرنة مؤقتة ومتنقلة: كل شيء صلب يذوب في الهواء. ولكن الهويات العرقية وخصوصاً الهويات العرقية اللغوية هي صلبة ومتينة ومفعمة بالحياة. والعرقية ليست ميتة على الإطلاق، والصحيح هو العكس تماماً.

وترتبط العلاقات العرقية والتسامح نحو الهويات الأخرى بدرجة الأمان التي تتمتع به المجموعة ونظرة أفراد المجموعة صوب هويتهم. واستنتج لامبرت ومرميجس وتايلور (Lambert, Mermigis, and Taylor 1986: 50) بأنه "كلما كان أعضاء المجموعة أكثر أمناً وإيجابية حول هويتهم فإنهم يكونون أكثر تسامحاً مع المجموعات الأخرى."

في هذا السياق لا بد من القول إن الهوية هي مصطلح أثار الكثير من الجدل والبحث العلمي والنقاش السياسي، إلا أن الجميع متفقون على عدة أمور في الدراسة والتعاطي مع الهوية وعلاقتها باللغة، أولاً إن اللغة هي عنصر هام وحاسم في الهوية، فالمجموعات القومية أعادت تشكيل نفسها من خلال اللغة القومية، وثانياً الهوية ليست ثابتة بل هي ديناميكية ومتغيرة وتتفاعل مع الآخر، والهوية هي إدراك ذهني لا بد أن ينعكس على سلوكيات الفرد والمجموعة.

1.1.1 هويات متصارعة:

العلاقات الفلسطينية-اليهودية في إسرائيل

تلعب الهوية دوراً هاماً في الحالات الصراعية، فهي تتطور من خلال الصراع وفي نفس الوقت تؤثر عليه وتزيده حدة وتمنحه بعداً جديداً غير بعده السياسي أو العسكري، بل تكسبه بعداً ثقافياً ويتحول الصراع في هذه الحالة مشكلاً مستمراً للهوية (أمارة ومرعي، 2008).

يطلق الروائي الإسرائيلي دافيد غروسمان (1992) على العرب الفلسطينيين في الداخل لقب "الحاضرين الغائبين"، بمعنى أنهم موجودون جسدياً في الدولة، لكنهم معيَّبون عن الوعي ومحرومون من المشاركة الفعالة في الحيز العام. ويقول الروائي انطون شماس (1994) إن صاحب الخطاب السائد هو الذي يقرر حدود الموضوع، والعربي-الفلسطيني هو العنصر السلبي (غير الفعّال) في المعادلة الوطنية التي تتألف منها دولة إسرائيل. ويرى آفي سجي (2009) إن الخطاب الذي تطور في المجتمع الإسرائيلي قائم على الحقوق وليس على الهوية، لكونه يوظف لغة القانون، وعدم بنائه كحوار مباشر بين الطرفين. فهما يتحدثان "عن بعضهما"، وليس "مع بعضهما". كما إنه خطاب مونولوجي (من طرف واحد) يعمل على فرض رواية واحدة (الرواية اليهودية - الصهيونية) التي تُترجم إلى لغة الحقوق الرسمية، وغالباً ما

يدور كخطاب من المدّعي (المطالب بالحق) وبين المتّهم، اعتماداً على الجهاز القضائي في الدولة. ويرى سجي إن هذا الخطاب يؤدي إلى استنساخ العلاقات الهرمية في المجتمع، ويوصل المركزية العرقية إلى أقصى حالات تطرفها ويعمّق التصدعات الاجتماعية.

العلاقات الفلسطينية-اليهودية في إسرائيل ليست عادية وإنما علاقات صراعية. يعرف فون أولسر وآخرون الصراع الفلسطيني - اليهودي داخل دولة إسرائيل على انه نزاع متعنّت ويتسم بالجمود (Fen Olser, Aall, and Crocker, 2002). فهو متعنّت لان جذوره ضاربة عميقاً، ويغذي نفسه بنفسه، كما انه نتيجة لعداء متأصل؛ وهذا يعني انه صراع متواصل من الصعب التوصل إلى تسوية بشأنه. أما سبب كونه يتميز بالجمود فيرجع إلى أن عنف هذا الصراع مؤجل أو يراوح مكانه، بينما يتواصل الاستقطاب القائم في صلب الخلاف بين الطرفين، ولا يتم حله عبر القنوات السياسية. إضافة إلى ذلك فانه متداخل بدوائر صراع أخرى: الصراع العربي - الإسرائيلي في الشرق الأوسط، والصراع الذي تنامي في السنوات الأخيرة بين الغرب والعالمين الإسلامي والعربي على صعيد عالمي، بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر 2001 على وجه الخصوص. كما أن هذا الصراع مرتبط بمسألة الهوية، وبالإحساس العميق لدى كل طرف بأنه الضحية، إضافة إلى ارتباطه بالفجوات الاجتماعية - الاقتصادية.

شغل موضوع الهوية وإحساس الضحية العديد من الباحثين. فمونتفيل (Montville, 1993) - على سبيل المثال - بحث موضوع الهوية اعتماداً على نظرية الاختلاط (contact theory) لدى ألبورت. فيرى مونتفيل أن كل صدام يحدث بين مجموعات عرقية ودينية يتميز بماضيه العنيف البعيد الأمد، ويكون دائماً مشحوناً بمشاعر ومتخيلات تنفي إنسانية الآخر، ومتجذرة عميقاً في معتقدات الأطراف ذات الشأن. وتتميز هذه المعتقدات بقدرتها الكبيرة على مقاومة محاولات تغييرها، خاصة إذا ما غذّتها الإحساس النفسي الذي يراود كل طرف بأنه ضحية الطرف الآخر. ويعتقد مونتفيل أن تسوية هذه النوعية من الصراعات تتطلب القيام بعملية مصالحة ومسامحة أساسية. ولا يتم ذلك - بحسب رأيه - إلا عبر الحوار المباشر بين الطرفين، والاختلاط المباشر والذي قد ينزع الشرعية عن المعتقدات النمطية السائدة؛ وعبر لقاء الهويات، القادر وحده على وضع تأويل جديد للآخر.

فوحده الحوار المباشر قادر على جعل كل طرف يتعاطف مع معاناة الطرف الآخر، وهو القادر على فتح الطريق أمام التحوار وإحداث تنافر ذهني (cognitive dissonance) يتحدى النمطية السائدة، ويؤدي إلى إحداث تغيير ثقافي.

يركز التوجه التأويلي - الروائي بدوره على أهمية لقاء الهويات في عمليات المصالحة (Winslade & Monk, 2000). هذه المدرسة تتبنى فكر ما بعد الحداثة، وتقوم على الافتراض بان مفهوم "الحقيقية" الذي يبينه الإنسان عبارة عن أفكار، مشاعر وتجارب نفسية لا تشكل غير منظور واحد ومحدود للعالم. ولا يمكن للمعرفة البشرية ان تكون مطلقة أو نهائية، لأنها تبقى دائما مجيرة للزمان، المكان والأرضية الثقافية التي نمت منها وفيها. فالإنسان يؤول التجارب النفسية التي يمر بها من وجهات نظر ومنظورات مستمدة من الثقافة التي تلقى فيها تهيئته الاجتماعية. وتستند هذه المنظورات إلى رواية واقعية، لكنها تستمر في تأويلها وتبني منها رواية أخرى وواقعا آخر (Winslade & Monk, 2000: 41).

ترى كوب (Cobb, 1994: 48) ان الرواية التاريخية ليست العنصر الأهم، فالأهمية تعود إلى تمثيلها. وتؤمن المدرسة البنيوية ان هناك رواية واحدة حقيقية ويمكن إيجادها إذا عزلنا الرواية نفسها (أي وقائع الأحداث) عن الخطاب (القصص المروية عن هذه الأحداث) من خلال الاثنوغرافيا وعبر توظيف الأدوات الاجتماعية - اللغوية. أما توجه ما بعد البنيوي فانه يفترض عدم وجود رواية حقيقية وحيدة وان ظهور الرواية منوطة بكيفية سردها. وترى كوب انه لو أردنا فهم الجانب التطبيقي في هذه العملية، لتوجب علينا التركيز على الجانب السياسي في الرواية، والذي يتمحور حول بعض القصص و"يقصي" بعضها الآخر إلى الهامش. في كل صراع هناك عدة هويات متداخلة بشدة، بالتالي فان حل الصراع يستوجب بناء حوار بين الهويات لتعرية الوجه الاعتباري في الروايات السائدة، واستبدالها بروايات جديدة بإمكان الطرفين التعايش معها. وهي عملية تفكيك، تفترض إمكانية "طرح" جميع البديهييات التي تم تعلمها وتذويتها جانبا. في عملية إعادة النظر في الأفكار التي تعتبر حقائق لا جدال عليها، يصبح المؤلف تدريجيا غريبا، ويتم استبدال منطق القصص بمنطق آخر، كما تظهر الفجوات بين الموقفين وتفتح إمكانية توجيه النقد للمواقف القديمة، التي كانت من البديهييات المفهومة ضمنا (Winslade & Monk, 2000, 43).

هذا يعني أن تفكيك الصراع القومي والوصول إلى مصالحة تاريخية حقيقية يستوجبان الغوص في عمق النسيج الثقافي لدى الطرفين، واختراق روايتهما، مع تحليل التشابك في الهويات لدى كل طرف وهنا بإمكان اللغة أن تلعب دورا هاما، كما كان الحال في إقامة مدارس ثنائية اللغة في مناطق مختلفة من العالم. وزيادة على ما تقدم فإن العلاقات بين الفلسطينيين واليهود في إسرائيل، لا تقتصر فقط على الناحية القومية بكل ما تعنيه الكلمة من معنى، إذ يجب أن نأخذ بعين الاعتبار عددا من العمليات التي تؤثر على العديد من الأماكن في أنحاء العالم، والمجموعات الاجتماعية القائمة فيها - وهي: العصرية، التطور التكنولوجي والعمولة. فالفلسطينيون من مواطني إسرائيل - على سبيل المثال - لا يتواصلون مع ثقافة مختلفة فحسب، إنما يمرون بعملية عصرية (تحوّل حداثي) ويواجهون تراجع التقاليد التي نشأوا عليها. كما انه بإمكان الفرد، في عصر التطور التكنولوجي، خاصة في عصر الانترنت، إقامة صلات مع العديد من الأفراد من مجتمعات مختلفة ولعدة أهداف. حيث لم يعد المجتمع القريب والدولة التي يعيش فيها الفرد هما الحدود الوحيدة لارتباطه ولتفاعله. فالיום باستطاعتنا أن نتواصل مع مجموعات افتراضية جديدة في نشاطات مختلفة، تؤثر علينا كمجموعات وكأفراد. فالعمولة التي تفرض نفسها على مختلف أنحاء العالم، بسلبياتها وإيجابياتها، تؤثر على جوانب حياتنا، كما تؤثر على العمليات التي تحدث في العالم وأيضا على بلورة الهويات.

1.2 اللغة والهوية الاجتماعية

رغم أهمية اللغة في حياتنا في كل المجالات الحياتية والتي تؤثر عليها طولا وعرضا، إلا أن دراسة اللغة تحت مظلة "علم اللغة" تركزت عبر قرون عديدة حول مبنى اللغة (على سبيل المثال، الأصوات، الصرف، النحو، الإعراب)، واعتبرت اللغة نظاما مغلقا (closed system)، أي أن السياق الاجتماعي لم يكن ذا أهمية في دراستها. وفي الخمسين سنة الأخيرة حصل تغيير جذري بمفهوم اللغة ووظائفها مع قدوم علم اللغة-الاجتماعي (sociolinguistics) وبلورته، وإدراك اللغة كونها نظاما مفتوحا (open system) تؤثر وتتأثر فيما حولها. ووفق هذا المفهوم أصبح السياق الاجتماعي جوهريا في فهم ودراسة اللغة وأثر لاحقا على العلوم التطبيقية للغة (applied linguistics).

تقوم اللغة بالكثير من الوظائف في حياتنا اليومية. إن الوظائف المتنوعة والمتعددة التي يتم تأديتها من خلال استعمال اللغة هي انعكاس، نقل وتشكيل للواقع الذي نحياه. ويفصل هارمان (Harrman 1999: 63) الوظائف المتنوعة للغة كالاتي:

بالإضافة إلى إنشاء شبكة للمعرفة حول العالم، فإن اللغة تُستخدم أيضاً للتعبير عن المشاعر والاتجاهات والقيم، لقول الأكاذيب للمراوغات، للشتم، للإهانة، للمديح والتوبيخ. اللغة هي وسيلة تفعل أشياء للناس وتسبب ردود فعل ايجابية وسلبية. تمكن اللغة الشخص بأن يجرب الفرح مثلاً، سماع اعتراف بالحب أو شعوره براحة باله أو بالها، مثلاً، من خلال كلمات التعزية أو الصلاة. ويمكن أن تكون للكلمات تأثير مدمر، عندما تكشف صحيفة عن إشاعة حول فضيحة مزعومة، أو يمكن للكلمات أن تؤثر على وجود مجتمعات بكاملها، كما هو الحال في الإعلان عن الحرب، فإن اللغة وسيلة لنوايا الإنسان ويمكن أن تكون نوايا مستعملها ايجابية ينتج عنها انسجاماً في التفاعل أو سلبية ينتج عنها إنشاء التحيز والآراء الثقافية المسبقة.

وبغض النظر عن طبيعة اللغة وعلاقتها بالناس والمجموعات الاجتماعية، فإن هناك عدداً من الصفات الأساسية للغة جديرة بالذكر، بشكل رئيسي، من وجهة نظر اجتماعية-نفسية، يجملها باديليا في ثلاث نقاط (Padilla, 1999: 116):
 أولاً- أن اللغة هي الوسيلة الرئيسية للتهيئة الاجتماعية لدى الأطفال.
 ثانياً- تميز اللغة مجموعة الناطقين عن غير الناطقين بها. على سبيل المثال، عندما نقول هذا "ألماني"، أي أن هذا الفرد ينتمي إلى الأمة الألمانية الناطقة باللغة الألمانية. وبهذا المعنى تستعمل اللغة لإنشاء حدود بشكل فعال داخل المجموعة وخارجه.
 ثالثاً- إن المكانة المعطاة للغة المجموعة العرقية من قبل المجتمع، تنقل إلى الفرد مكانة المجموعة ككل في المجتمع.

بعبارة أخرى، تكاد جميع تصرفاتنا الفردية والاجتماعية تتم من خلال اللغة. إضافة إلى ذلك فإن اللغة ليست مجرد أداة تواصل، وإنما هي آلية هائلة ينكشف الواقع الاجتماعي من خلالها. بل والأهم من ذلك، هي بمثابة المشهد الذي يتم فيه بناء وتطبيق علاقات القوة (الرمزية) والسيادة.

وعلى ضوء ذلك، فإن اللغة لا تحمل مضموناً فقط، وإنما هي مضمون بحد ذاتها.

اللغة هي واقع وتُستعمل لتعزيره. (Giles and Johnson, 1987)

والأهم من ذلك، أن اللغة هي حدث اجتماعي. لهذا فان الظروف السياسية، والتاريخية والاجتماعية ضرورية جداً لدراسة اللغة وفهم مكانتها، والآداءات التي تقوم بها (Bourdieu, 1990, 1991) وبهذا المعنى فان اللغة ليست ناقلة الثقافة المادية والقيمية فقط، بل هي جزء من ماهية هذه الثقافة، وذلك لأن اللغة ليست القناة التي تمر من خلالها قيم وثقافة وحضارة المجتمعات، بل هي أساس كل ذلك، وغياب اللغة عن كل ذلك يفقدها مكانتها، وحتى حضورها الثقافي والتاريخي.

لقد تم إرساء الصلة الوثيقة بين اللغة والهوية القومية في نهاية القرن التاسع عشر مع قدوم القومية (شوهامي، 1996 Shohamy). ويُعتقد أن اللغة هي أحد أهم مؤشرات الهوية الفردية والجماعية. وأنها أحد المكونات الرئيسة التي بواسطتها تعرف المجموعات وتشكل هويتها، وهي في الوقت ذاته، تؤثر أيضاً على طبيعة العلاقات بين المجموعات العرقية المختلفة (ادواردز، 1988 Edwards؛ فيوفيرغر، 1989 Feuerverger؛ جايلز، 1977 Giles؛ تاجفل، 1978). وبهذا الصدد يقول بوتش "إن اللغة هي غالباً أكثر رموز العرقية بروزاً، لأنها حملت الماضي، وتعبّر عن الاتجاهات والطموحات الحاضرة والمستقبلية" (بوتش، 2000: 25 Bosch).

وهناك ادعاء أيضاً، ينوّه بأن اللغة هي أحد المكونات الرئيسة التي تستعملها المجموعات كرمز للهوية والانتماء الثقافي (جايلز وآخرون، 1977 Giles et al). وبالإضافة لذلك، فإنه يتم إدراك اللغة بأنها عامل موحد لثقافة معينة، ورمز قوي للهوية الجماعية (شوهامي ودونيتسا-شميدت، 1998 Shohamy and Donitsa-Schmidt).

وبين لنا ادواردز (1988:1 Edwards) بأن "القضايا المتعلقة باللغة والهوية مركبة جداً. فجوهر المصطلحات نفسها مفتوح للنقاش، ونتيجة لذلك أخذ بعين الاعتبار العلاقة بأنها تحفها الصعاب". في حين أننا نثق بأن اللغة تلعب دوراً هاماً في تشكيل الهوية القومية. يعتقد ديوتش (1966 Deutsch) كذلك أنه عندما تتحالف اللغة مع العديد من العوامل الأخرى، فإنها تساعد سوية على خلق قنوات مكتملة في الاتصال الاجتماعي.

يقول سليمان (2003: 32 Suleiman) لنكون أكثر فاعلية، فإن دور اللغات كراسمة للحدود أو لاعبة دور الحارس، تتطلب التمييز بين وظيفتين أساسيتين:

التواصلية (أو الأدائية) والرمزية التي، بالرغم من أنها مترابطة في الاستعمال اللغوي العادي، إلا أنها منفصلة من الناحية التحليلية". تجدر الإشارة، إلى أن طبيعة العلاقة ما بين اللغة والهوية ليست دائماً واضحة، وأن هنالك الكثير من الأسئلة حول طبيعة هذه العلاقة، والتي لا إجابات قاطعة عنها.

ينبغي لنا أن نشير أن موضوع العلاقة بين اللغة والعرقية هو في أساسه موضوع جدلي. ويتخذ اتجاهان رئيسيان في هذا المنحى. في الوقت الذي ينكر الاتجاه الأول الصلة المباشرة والضرورة بين اللغة والهوية العرقية، ويدعي بأن العلاقة بينهما عارضة (مثلاً أبل ومايسكن، 1987 Appel and Muysken). يشدد الاتجاه الثاني، على أن اللغة وسيلة للهوية العرقية، وهي المعيار الأساسي إلى جانب التراث الثقافي والفرضيات والقيم والمعتقدات (مثلاً فيشمان، 1977 Fishman).

وبالرغم من أننا قد أظهرنا بأن اللغة هي مكوّن في غاية الأهمية للهوية العرقية فإنه من الواضح، بأن أهميتها تختلف باختلاف الأوضاع والسياقات، وأن أهميتها هي أقل بالنسبة لبعض المجموعات، وأكبر لدى مجموعات أخرى. تخدم اللغة، وفقاً لتومسون (Thomason, 2001: 47)، رمزا قويا للمجموعات المستتاءة. وتعتمد الرابطة بين اللغة والهوية على السياق الاجتماعي المتعلق بالجماعات اللغوية المقصودة. هذا يعني، أن أهمية اللغة بالإمكان أن تزداد أو تقل بالنسبة لنفس المجموعة حسب الظروف والسياقات الاجتماعية. ويدعي لايبكند أن اللغة ليست المعيار الهام الوحيد، وليست بالضرورة أهم معيار لجميع المجموعات الاجتماعية (لايبكند، 1999 Leibkind).

1.2.1 اللغة العربية والهوية الاجتماعية

تلعب اللغة العربية دورا مركزيا في الهوية العربية والثقافة العربية، لدرجة انه أصبح من المستحيل الفصل بينهما (الحصري، 1961). سنبين في هذا الجزء أهمية اللغة العربية في الهوية العربية الجمعية. ونعتقد أن لها سياقات خاصة، وتلعب اللغة في الحالة العربية دورا مركزيا في بلورة الهوية.

يقول ألبرت حوراني (1983: 260):

هؤلاء الذين يتحدثون العربية يشكلون "أمة" وهذه الأمة يجب أن تكون مستقلة وموحدة، وهي معتقدات أصبحت بينة واكتسبت قوة سياسية خلال القرن (أي القرن العشرين). ولكن عودة إلى الوراء في التاريخ، كان العرب واعون وبشكل خاص للغتهم وفخورون بها، وفي شبه الجزيرة العربية في الفترة الجاهلية، كان لهم انتماء "عنصري"، انتماء ما وراء الصراعات القبلية والعائلية، وكانت هنالك وحدة والتي ضمت هؤلاء الذين تحدثوا العربية وادعوا أنهم انحدروا من قبائل شبه الجزيرة العربية.

انتشرت اللغة العربية في العديد من الأشكال الايديولوجية في القرن العشرين، وشمل ذلك القومية العربية، القومية المحلية (أي مناطق معينة من العالم العربي)، أو ما يمكن تسميته بالقومية "الإسلامية"، وفقاً لوصف سليمان (سليمان، 2004: 38)

القومية العربية في صيغتها الكلاسيكية هي من الصنف الثقافي. رغم أن المركبات التي تكون الأمة العربية لربما اختلفت من ايديولوجي (مُنظر للقومية) لآخر، هنالك على الأغلب اتفاق عام بأن اللغة مركب أساس، أن تم تكن الأساس، في تعريف القومية. (سليمان، 2004: 38).

إن أهمية اللغة العربية كقوة توحد العرب وجدت لها صدى في حزب البعث وعند الرئيس المصري الراحل، جمال عبد الناصر. فدور اللغة العربية الموحد يفسر النداءات التي أطلقها مناصرو القومية العربية لحماية العربية من تسرب ممارسات لغوية مستوردة من الخارج، سواء كان ذلك باستعمال لغات أجنبية (مثل الفرنسية في شمال أفريقيا) أو مظاهر لغوية للغات أجنبية في مناحي الحياة المختلفة.

ومن أبرز المناصرين لعنصر اللغة في الفكر القومي العربي هو المنظر القومي ساطع الحصري (1880-1968).¹ ففي كتابه "في القومية" (1985)، يؤكد من خلاله أن مفهوم القومية العربية يرتبط ارتباطاً عضوياً باللغة العربية، ويقترح تعريفاً للقومية العربية بناء على اللغة في الدرجة الأولى، والتاريخ المشترك في الدرجة الثانية.² وبشكل هذا الكتاب مساهمة أساسية في موضوع العلاقة بين اللغة العربية والقومية العربية، ويعتبر من أهم التنظيرات التي ساهمت في جعل اللغة العربية مكوناً

1 ومن الشخصيات الأخرى البارزة والمناصرة للفكر العربي واللغة العربية نذكر الشيخ عبدالله العلايلي، نديم البيطار، وزكي الارزوزي.

2 يعد الحصري من أبرز المنادين والمدافعين عن فكرة القومية العربية. ففي مواجهة دعاة فكرة الإقليمية في مصر، يرى الحصري أن من شأن اللغة والتاريخ أن يجعلوا لمصر المكانة القيادية في العالم العربي.

أساسياً من الهوية القومية، وتعريف العرب قومياً (الحصري، 1985).

ذكرنا أن للغة العربية دوراً مركزياً في تشكيل القومية العربية في البلاد العربية، وأحد مركباتها الأساسية. ولا شك أن مركبات أخرى ذكرناها في سياق حديثنا مثل: التاريخ، الثقافة، العادات، التقاليد والجغرافيا من قبل مناصري الفكر القومي، لكن لم يحظ أي مركب من هذه المركبات بالأهمية التي حظيت بها اللغة، إلى حد أن سليمان (2003: 162) ذهب إلى الاستنتاج "لذا أنه من الصحيح القول أن القومية العربية مبنية على الافتراض بأن أولئك الذين يتشارطون اللغة العربية كلغتهم الشائعة ينتمون إلى نفس الشعب".

لم يكن الفكر العربي واللغة العربية كمركب أساس به هو التيار الوحيد في العالم العربي. فدور العربية ارتبط بالقومية المحلية والقومية الإسلامية. فأولئك الذين يدعمون القومية المحلية في العالم العربي ينكرون أن بوسع العربية أن تشكل أساساً للهوية القومية، لتشمل كل أولئك الذين يشتركون في لغة واحدة. لا شك أن هؤلاء ينكرون شرعية القومية العربية، ويؤمنون بالهويات المحلية، كما تجلّى ذلك في التيارات المختلفة التي ظهرت، على الأخص، في مصر ولبنان. فنرى من المثقفين، على سبيل المثال، المفكر المصري سلامة موسى (1947) الذي سعى إلى التقليل من أهمية اللغة العربية الفصحى ووصفها على أنها متخلفة ومتحجرة وغير مناسبة لحاجات العرب في العالم الحديث. فهذا ليس بغريب في العالم العربي، ففي استطلاعات عدة، وصف شباب من المغرب العربي بأن العربية الكلاسيكية هي "لغة الرب"، أي لغة الماضي، وأن الفرنسية هي "لغة الحداثة"، أي لغة الحاضر (بن طحيلة، 1983).³

وماذا عن "القومية الإسلامية"؟ هذا التيار يعارض المواقف الدنيوية تجاه اللغة العربية. فهو يعارض الربط بين العربية والمشاريع الأيديولوجية المختلفة ويساند مكانة العربية بربطها بالإسلام. فالإسلام هو الرابط الأسمى. ويسوق الإسلاميون العديد من الحجج للدفاع عن العربية، منها: اللغة العربية هي لغة القرآن والحديث وأن

3 في مسح لمواقف أجراه بن-رياح (Benrabah, 2007a) خلال شهري نيسان أيار 2004، أجاب 1040 طالب مدرسة ثانوية على استمارة. 55% قالوا أنهم يفضلون تعليم الفرنسية على اللغة العربية المعيارية، فقط 36% فضلوا التعليم باللغة العربية المعيارية. وفي دراسة أخرى، وجد بن-رياح (Benrabah, 2007b) أن 75% من المستجوبين دعموا فكرة تعلم المواضيع العلمية باللغة الفرنسية في المدارس.

مكانة اللغة العربية وفق مفاهيم تاريخية في العالم هو بسبب ارتباطها بالإسلام، والعربية بدون الإسلام كجسد بلا روح، كما ان معرفة اللغة العربية هي شرط أساسي من شروط الفقيه والمجتهد (أنظر، الغزالي، 1998؛ الجندي، 1982؛ النحوي، 1998).

ونريد أن نؤكد أيضا أن ارتباط اللغة بالدين الإسلامي، بمعجزة القرآن المتمثلة بلغته يعزز من أهمية اللغة العربية في الهوية العربية، وربما يجعلها من الحالات ذات الخصوصية مقارنة مع لغات وأوضاع أخرى.

إن قصب السبق للمحافظة على اللغة العربية من الضياع، كما حدث لشقيقاتها من اللغات السامية، يعود بالدرجة الأولى إلى القرآن الكريم ومن ثم إلى بعض المثقفين التقليديين، حملة لواء الحضارة والقومية العربية ورجال الدين، الذين أصروا على استخدام اللغة العربية وجعلها القلب النابض للهوية العربية؛ فالتعليم التقليدي هو الذي احتوى وعاء اللغة العربية وحضارتها ونقله إلى الأجيال اللاحقة، وبفضله استطاعت العربية شق عباب الظلمة في الفترات العصيبة التي انتابتها.

1.2.2 اللغة والهوية في إسرائيل

إن إحياء اللغة العبرية ودخولها الحلبة كان عنصرا رئيسيا في تغيير المشهد اللغوي⁴ (language landscape) الاجتماعي في فلسطين. وبسبب تأثير الأيدولوجية الصهيونية، أصبحت اللغة العبرية الرمز الرئيسي والناقل لهوية قومية جديدة، بينما تم تهميش الهويات القديمة التي أحضرها المهاجرون اليهود إلى فلسطين من "الشتات" وكذلك تم تهميش اللغات الأم أو تركها كليا (شوهامي، 1999: 82).

إن الصلة بين اللغة والهوية كما تبنتها أيديولوجية الحركة الصهيونية عنت أحادية اللغة. وقد شجعت هذه الأيدولوجية أو بالأحرى ضغطت على المهاجرين اليهود إلى إسرائيل بأن يتعلموا اللغة العبرية كاللغة الرئيسية. وقد شجعت هذه الأيدولوجية

4 ويشير مصطلح المشهد اللغوي (لاندرى وبوريس، Landry and Bourhis 1997) إلى جميع الأشياء اللغوية التي تبرز معالم الحياة العامة وتشمل لافتات الطرق وأسماء المواقع والشوارع والبنائيات والأماكن والمؤسسات، وأيضا لوحات الإعلانات والإعلانات التجارية وحتى بطاقات الزيارة الشخصية. وتكون بعض هذه الاستعمالات اللغوية من قبل مؤسسات الدولة والبعض الآخر من قبل المجتمعات المحلية وأخرى من قبل الشركات والهيئات والأفراد. ويقدم المشهد اللغوي لبلد أو لمنطقة أو لموقع معلما مميزا للمنطقة التي يسكنها مجتمعات لغوية معينة.

الانتقال اللغوي من لغاتهم الأصلية إلى العبرية وقد نُظر إلى المحافظة على اللغات الأم وحتى اللغات الأخرى بأنه تعبير عن الكراهية ومقاومة الهوية القومية الجديدة (شوهامي، 1994؛ سبولسكي وشوهامي، 1999). وفي هذا الواقع فقد تم النظر إلى اللغات الأخرى كعوائق أمام نجاح الأيدلوجية الصهيونية، ويمكن القول إن إحياء اللغة العبرية كلغة قومية من أهم إنجازات المشروع الصهيوني.

ويدون شك فقد كانت العبرنة (الأيدلوجية الأحادية- اللغة العبرية) ناجحة جداً. ودعمت الحكومة المركزية اللغة العبرية بكل الوسائل. وعبر السنين أصبحت اللغة العبرية اللغة الرئيسية في كل من المجالات الخاصة والعامة. بل أصبحت اللغة العبرية اللغة الرئيسية للاتصال في إسرائيل عندما تبنت أجيال جديدة من الإسرائيليين والمهاجرين بسرعة "اللغة العبرية كلغة وطنهم ولغتهم الأم في عملية اتخاذ هويتهم الجديدة كيهود إسرائيليين." (شوهامي 1999: 83). وقد تسربت العبرنة أيضاً بنجاح إلى المخزون اللغوي للفلسطينيين في إسرائيل، كما سنيين لاحقاً.

ولكن بالرغم من نجاح سيطرة اللغة العبرية فإن بعض الجماعات (نخص بالذكر الفلسطينيين في إسرائيل وبعض الجهات الأرثوذكسية المتزمتة (الحرديم) والمهاجرون الجدد من روسيا في التسعينيات) استمروا في استخدام اللغات الأخرى وحافظوا على هويات أخرى وإن كان ذلك لأسباب ودوافع متنوعة.

ويدعي سبولسكي وشوهامي (1999) أن الأيدلوجية أحادية اللغة لإسرائيل - "لغة واحدة، شعب واحد" - تتغير وإن البلاد تظهر إشارات لتسامح أكبر حيال اللغات المتعددة. وبالرغم من أن الادعاء الذي أثاره سبولسكي وشوهامي قوي جداً (لأن اللغة العبرية هي اللغة الوحيدة والمسيطرة في معظم المجالات العامة) إلا أنه توجد بعض الإشارات للتنوع اللغوي (language diversity) أكبر في المجالات العامة والخاصة في إسرائيل عما كان عليه الحال في سنوات مضت.

لقد طرأ في السنوات القليلة الماضية اعتراف وشرعية متنامية بحقيقة تعدد اللغات في إسرائيل. اللغة الإنجليزية تشكل تحدياً جدياً لأحادية اللغة في إسرائيل. فمع تزايد العولمة والاتصال الدولي فإن القوة غير المسبوقة للغة الإنجليزية في العالم والعلاقة القوية والفريدة مع الغرب وخصوصاً الولايات المتحدة أدى إلى ازدياد الحاجة إلى العمل الفعال في العالم من خلال اللغة الإنجليزية وهكذا فإن اللغة الإنجليزية تتحدى فعالية أيدلوجية أحادية اللغة العبرية.

وشمة تحد آخر قادم من اللغة الروسية. يدعي عدد من الباحثين (أنظر، على سبيل المثال، الحاج وليشم، 2000، الحاج 2008) بأن الهجرة الروسية إلى إسرائيل في التسعينيات كانت بشكل رئيسي برغماتية وليست أيديولوجية. أي أنهم يقولون بأن الهجرة إلى إسرائيل كانت من أجل فوائد اجتماعية - اقتصادية. وعلى عكس من المهاجرين الآخرين إلى إسرائيل في الماضي فإن هؤلاء المهاجرين يشعرون بثقة أكبر في لغتهم الأم ويستعملونها لأغراض متنوعة وليس فقط في البيت وإنما أيضاً في المجالات العامة عندما يكون ذلك ممكناً، فمثلاً على لافتات حوانيتهم وهم أيضاً يعبرون عن فخرهم بلغتهم الأم وثقافتهم.

إن العمال الأجانب هم قضية رئيسية في الأمور الاجتماعية - السياسية في إسرائيل اليوم ومن ضمنها اللغة. ويقدر عدد هؤلاء العمال بأكثر من ثلاثمائة ألف عامل. وفي مخاطبتهم يستعمل مشغلوهم لغة عبرية مبسطة (Hebrew Pidgin - نوع من اللغة المبسطة) أو اللغة الإنجليزية إذا كان يعرفها كل من المشغل وصاحب العمل (أيلت هشاحر ونيره هراتي، 2002). اللغات التي يجلبها العمال الأجانب لإسرائيل تزيد من التنوع اللغوي في المشهد العام، وتعطي للعبرية مزايا لغوية لم تكن مألوفة من قبل. لكن هذه اللغات لا تهدد العبرية في إسرائيل.

رغم أن الحالات المذكورة سابقاً تشكل تحديات لا يستهان بها لأحادية اللغة في إسرائيل، إلا أن التحد الأكبر آت من اللغة العربية. فالدولة العبرية جزيرة في محيط عربي، ولغة العربية جذور في كل زاوية من هذه الأرض: للإنسان، للشوارع، للحارات، للقرى والمدن، للسهول وللجبال، للمؤسسات. حتى تلك الأماكن التي هُودت، والتي مُنحت الاسم العبري الجديد ما زالت تحمل الاسم العربي-الفلسطيني كجزء من الذاكرة الفلسطينية النابضة. إضافة إلى ذلك فإن العرب من مواطني إسرائيل هم أهل وطن وأقلية أصلانية، تطلب المشاركة في هوية وإدارة الدولة، ولغة دور هام في تشكيلة الثنائية اللغوية. في الواقع الإسرائيلي نلاحظ تغيرات معينة. إن اللغة العربية التي تم إدراكها وممارستها كلغة الأمن بدأت تتغير. وتأتي التغيرات من داخل وخارج إسرائيل. وبعد معاهدات السلام مع بعض الدول العربية والفلسطينيين تسمع أصوات في إسرائيل في الدوائر المختلفة للحاجة إلى تعزيز وضع تعلم اللغات ومكانة اللغة العربية في إسرائيل. وتبذل بعض الجهود لتعليم العربية في مساق موسع وذلك بشكل رئيسي للاتصال والأعمال وتعليم العربية في

المدارس اليهودية بشكل أكثر تكثيفاً. ولكن حالة عدم الحرب وعدم السلم لا يساهم في تعليم العربية لأغراض مدنية. السلام الحقيقي والشمولي في الشرق الأوسط ربما سيحول اللغة العربية للغة مدنية بين اليهود بدلا من كونها لغة العدو في المفهوم الإسرائيلي العام.

وثمة ضغط آخر قادم من المجتمع العربي الفلسطيني في إسرائيل. فإنهم يريدون الدولة أن تعترف بالمكانة الرسمية للغة العربية كأمر واقع في المجالات العامة وليس فقط بشكل قانوني على المستوى المعلن، وكذلك الأمر الاعتراف باللغة العربية كلغة لمجموعة قومية تحمل دلالات ثقافية. النشاط الرئيسي للفلسطينيين في إسرائيل في هذا المجال يعتمد إلى حد بعيد بأخذ الحالات اللغوية إلى المحكمة العليا. لكن التغيير الجوهري ما زال بعيدا من أن يتحقق وذلك لان صراع الهويات بين اليهود والعرب في إسرائيل لا يزال محتدما، لا بل يزداد احتداما.

1.3 اللغة العربية وحيويتها في إسرائيل

في ضوء الواقع السياسي-الاجتماعي الذي نشأ بعد عام 1948، والذي تحول فيه العرب الفلسطينيون إلى أقلية مهمشة في إسرائيل، يطرح السؤال التالي: ما مدى قدرتهم على الحفاظ على اللغة العربية، لغتهم الأم؟

أحد الأطر العلمية والنظرية التي تمكنا من فحص حيوية اللغة العربية في إسرائيل هو نموذج "الحيوية الإثنية اللغوية" (ethnolinguistic vitality) الذي عرضه (Giles, Bourhis & Taylor, 1977). حيث يقترح هذا النموذج، باختصار، مجموعة من المتغيرات من خلال تقديم عوامل بنيوية تساعد على الحفاظ على لغة الأقلية على المدى البعيد أو فقدانها. وقد تمّ الحديث عن المتغيرات تحت ثلاثة عناوين رئيسية: (1) متغيرات المكانة؛ (2) متغيرات ديموغرافية؛ (3) متغيرات الدعم المؤسسي.

يدعي هذا النموذج أنه كلما كانت الحيوية اللغوية للمجموعات الإثنية أكبر، فانه تزداد قدرتها على حفظ هويتها الاجتماعية الجماعية ولغتها الأم في مختلف مجالات الحياة. وفي المقابل، فإن المجموعات الإثنية اللغوية الأقل حيوية (أو التي تنقصها الحيوية) قد تفقد هويتها الجماعية المميزة ولغة الأم لديها، أيضاً.

في إطار عوامل المكانة، فإننا نتحدث عن الوضع الاقتصادي لدى المجموعة،

مكانتها الاجتماعية والمكانة الرمزية للغتها. الفلسطينيون في إسرائيل متعلقون بشكل كامل، تقريباً، بالأغلبية اليهودية من الناحية الاقتصادية، ولغة العربية قيمة متدنية في سوق اللغات الإسرائيلية. وفيما يتعلق بمكانة اللغة، رغم أنه معترفٌ بها كلغة رسمية، فهي لا تحظى بمكانة عالية في الدولة. لكنّ الفلسطينيين في إسرائيل يرون في اللغة العربية مركباً هاماً في هويتهم الوطنية والقومية. وبناءً على ذلك، فإن فحص عوامل المكانة يكشف لنا أن مستوى حيوية اللغة العربية في إسرائيل منخفض حتى دون المتوسط (أمارة، 2006ب).

ترتبط المتغيرات الديموغرافية ضمن نموذج "الحيوية الإثنية اللغوية" الذي وضعه Giles, Bourhis & Taylor بعدد المتحدثين بلغة معيّنة داخل منطقة معيّنة، بالتوزعة الجغرافية لمجموعة لغة الأقلية، وبعدد حالات الزواج المختلط الثنائي اللغة. وخلافاً لعوامل المكانة، يشير تحليل العوامل الديموغرافية إلى أن حيوية العربية متوسطة - عالية. فالعربية هي لغة البيت، والمجتمع (إلى جانب تآكل معيّن في المدن المختلطة ولدى أشخاص يخدمون في الجيش الإسرائيلي) ويتم نقلها للجيل القادم (أنظر أمارة، 2006ب).

هناك مجموعة من العوامل التي تؤثر إلى حدّ كبير على حيوية لغة الأقلية، وهي ترتبط بالدعم المؤسسي الذي تتلقاه اللغة. تشمل المؤسسات ذات الصلة "المؤسسات القطرية، اللوائية والمحلية، المنظمات الدينية والاجتماعية، الإعلام الجماهيري والتعليم، وهو ما لا يقل أهمية" (Baker, 1993: 53). فكلما كان أعضاء مجموعة الأقلية ولغتها ممثلين أكثر في المؤسسات المختلفة، ازدادت حيوية لغتهم، ويتمّ، بالتالي، الحفاظ عليها. خلاصة القول، إن العربية تستعمل في المؤسسات الفلسطينية كافة. وتستخدم المؤسسات العاملة في مجال علاقات العرب واليهود كلاً من العربية والعبرية. لكن العبرية هي اللغة الأبرز على المستوى القطري، وهي تُستعمل كلغة اتصال بالنسبة إلى العرب واليهود. ففحص العوامل المؤسساتية يبيّن أن مستوى حيوية اللغة العربية في إسرائيل يعتبر متوسطاً (أمارة، 2006ب).

أشير بإيجاز، رغم التحولات السياسية التي جرت في المنطقة، تم المحافظة على اللغة العربية بين الفلسطينيين من مواطني إسرائيل.⁵ ربما كان العامل الأكثر أهمية في حيوية العربية في إسرائيل هو قرار لجنة التعليم، مواصلة السياسة البريطانية

5 للتفاصيل أنظر أمارة 2006، 2007.

التي مكّنت المدارس الفلسطينية من التعليم بالعربية. وفيما يتجاوز ذلك، فإن نجاح العربية في الحيز القطري العامّ محدود جدًّا، وتكاد تكون هيمنة العبرية مطلقة. حين يخرج فلسطيني أو فلسطينية من بلدهما اليوم، فإنهما لن يتمكنوا، على الغالب، من إدارة شؤونهما من دون العبرية. فمعرفة العبرية هي شرط حيوي لإدارة الأمور بشكل ناجح. لقد ساهمت مواصلة التعليم باللغة العربية والتشبث بالدين الإسلامي في حفظ العربية في المشهد اللغوي-الاجتماعي في إسرائيل كلغة هامة، وبهذا تم الحفاظ على الهوية الشخصية والقومية للفلسطينيين داخل الدولة العبرية. رغم أننا نستطيع أن نقول أن اللغة العربية في إسرائيل معافاة ونابضة، وإنها لغة تنتقل من جيل إلى جيل وتُستعمل في سياقات وحيّزات كثيرة، إلا أن التحديات كبيرة، سواء كانت داخلية أو خارجية، وخاصة القادمة من اللغة العبرية والمرتبطة بالعوامة. وفي الفصول القادمة سنبحث السياقات والتحديات التي تواجهها العربية في إسرائيل.

الباب الأول: مدخل

الفصل الثاني
اللغة العربية وتحدياتها:
صراعات داخلية وخارجية



2. مقدمة

ترتبط اللغة العربية والتحديات التي تواجهها ارتباطاً وثيقاً بالتحديات الكثيرة التي تواجه العالم العربي على الصعيدين الداخلي والخارجي. فعلى الصعيد الداخلي، ثمة الفقر والبطالة، ونسبة الأمية العالية، والدكتاتورية وكبت الحريات، والصراعات الداخلية، منها الدموية، والتي ما زالت تعيق عمليات التنمية والعدالة الاجتماعية. هذا إلى جانب احتلال لبعض الدول العربية (العراق وفلسطين) والتأثير الغربي، وفي حالات كثيرة الضغط والتدخل البارز في شؤون الدول العربية، على جميع ميادين الحياة من العوامل الأخرى التي تعيق التغيير. فالعالم العربي أمام تحديات جسام منها داخلية ومنها خارجية جميعها تؤثر على بلورة الهويات الفردية والجماعية. في هذا الفصل سنتناول التحديات التي تواجه اللغة العربية الداخلية والخارجية، لأن فهم هذه التحديات هام لنا في هذا الكتاب بسبب الكثير من السياقات والتحديات المتشابهة مع اللغة العربية لأبناء المجتمع العربي-الفلسطيني في دولة إسرائيل.

2.1 التحديات الداخلية

التحديات الداخلية تتلخص في ازدواجية اللغة العربية، الميل في بعض الأقطار العربية إلى تفضيل اللهجات المحلية لتحل محل الفصحى، وعملية التحديث.

2.1.1 الازدواجية اللغوية

تحديات قديمة - جديدة

منذ أن نشر فيرغسن مقاله الهام حول الازدواجية اللغوية عام 1959، ثار نقاش هام حول الموضوع ومر بمراحل تطوير وتعديل. (Badawi 1973; Ferguson 1990; Fernandez 1993; Hary 1996; Holes 1995; Hudson 1992; Husseini 1980; Kaye 1972, 1994, 2001).

فلا شك لدينا أن اللغة العربية تعتبر نموذجًا جيدًا للحالة اللغوية المعروفة بالازدواجية اللغوية (فيرغسون، 1959)، إذ يوجد، في الوقت نفسه، نظامان لغويان: نظام مكتوب وآخر محكي (بروش، 1996: 64)، يُظهران اختلافات كبيرة في كل من الشكل والقيم الرمزية.¹ ومن الدارج، تعريف اللغة العربية على أنها لغتان: مكتوبة ومحكية، لكن، بالإمكان أيضاً الدفاع عن تقسيم ثلاثي آخر² (بلاو، 1976؛ بروش، 1996: 65):

1. العربية الفصحى: تستخدم في الأماكن الرسمية، نعني المدرسة، التلفزيون، والمحاضرات الأكاديمية وغيرها. وفيما يتعلق بالنظام الصوتي، فإن هذه الصيغة، على الأقل من حيث المبدأ، لا تختلف عن العربية الكلاسيكية. لكن، بما أنه يتم تعلم هذه الصيغة في المدرسة كلغة ثانية، ولا يتم تعلمها بشكل طبيعي من خلال الاستعمال في البيت، يمكن التعرف فيها على آثار لهجة الأم حين يجري التخاطب بها. أما في نظامها الصرفي، فهي تشبه تماماً العربية الكلاسيكية، باستثناء الصيغ الصرفية للأسماء والأفعال، الأمر الذي يسبب اختلافاً في النطق بنهايات الكلمات.

1 تتميز كل من اللغة المحكية واللغة المكتوبة في ثلاثة مظاهر رئيسية: الاعتماد على السياق، الثبات ومستوى التمكن اللغوي (شليسنجر، 1996).

2 اقترح ميسلس (1975) تقسيماً آخر للعربية يشمل أربع صيغ لغوية: أ. العربية الفصحى، أي العربية الأدبية الكلاسيكية. ب- العربية دون الفصحى- النوع اللغوي الخاص بالعربية المعاصرة، والتي تتميز طموح المتحدثين أو الكتاب، بشكل عام، لإعادة اللغة الأدبية، لكن لأسباب مختلفة، وغالباً، لأسباب غير لغوية (مثل الحديث أو الكتابة التلقائية، وقلة المعرفة الكافية لأعراف اللغة العربية الأدبية، والضغط من اللهجات الأصلية أو اللغات الأجنبية، والتكلم أو الكتابة في مواقف أقل رسمية، أو الملامة أو الإهمال، الخ)، ظهرت انحرافات عن تقاليد العربية الأدبية وحدث مزج بين قواعد اللهجات إلى حد كبير. ج- العربية المحكية ذات المكانة العالية، والتي اقترحها كادورا (كادورا 1975: 134)، وهي العربية شبة الرسمية التي هي لغة محكية يستسيغها المتعلمون (تعرف باسم لغة المثقفين). د- اللهجات العربية المحلية- لغة إقليمية، ويطور كل إقليم لهجاته المحلية الخاصة به.

2. العربية المحكية التي يتكلمها المتعلمون (لغة المثقفين): يتجنب المتكلمون بهذه الصيغة بعض مظاهر العامية، ويستعيرون مظاهر من العربية الفصحى. ويستعمل العربية المحكية، أي لغة المتعلمين، أصحاب التعليم العالي في لغة التخاطب اليومية العادية، وتستخدم كوسيلة للاتصال مع متكلمي اللهجات المحلية الأخرى (ميتشل، 1986). إحدى ميزاتها الصوتية، مثلاً، استعمال (ك) بدلاً من (تش)، التي هي صيغة عامية في بعض اللهجات. ويستخدم فيها مزيج من المحكية والفصحى. مثلاً، كلمة ألف هي (alif) في الصيغة المحكية، أو (alf) في العربية الفصحى. بالنسبة للمفردات، فإن الصيغة المحكية هي القاعدة. ولكن، هنالك استعمال واسع للكلمات المستعارة من العربية الفصحى، الأمر الذي يدل على مستوى عالٍ من الثقافة وقد يشكل مصدراً لمكانة مرموقة. إن التركيب النحوي للعربية المحكية، التي يتكلمها المتعلمون، مشابه تماماً للصيغة المحكية، مع أخذ ترتيب الكلمات، في بعض الأحيان، من العربية الفصحى. بكلمات أخرى، تشترك هذه الصيغة (في المظاهر الصوتية والمفردات، وبدرجة أقل، في المظاهر النحوية) مع العربية الفصحى، من جهة، ومع الصيغة المحكية، من جهة أخرى. وهنالك، أيضاً، استعمال واسع للكلمات والعبارات الأجنبية أو حتى أجزاء كاملة منها للإشارة إلى مستوى التعليم. لكن، في حالات أخرى، العكس هو الصحيح، إذ يمكن للمتكلمين استخدام العربية المحكية التي يستخدمها المتعلمون، لأن لها مكانة عالية تفوق الكلمات الأجنبية.

3. اللهجة المحلية: يمكننا تسمية اللهجة المحلية "الصيغة المحكية الأصلية والمألوفة". وتُستعمل هذه الصيغة في الحياة اليومية من قبل أغلبية المتكلمين في المواقف غير الرسمية. إن الاختلافات الصوتية بين هذه الصيغة والصيغ الأخرى كبيرة، فعلى سبيل المثال، (تش) تحل محل الصوت (ك) من الفصحى، بينما تحل الـ (ك) أو الهمزة محل (ق). ويوجد الكثير من المفردات في هذه الصيغة، التي لا نجدتها في العربية الفصحى أو حتى في العربية المحكية التي يتكلمها المتعلمون. فمثلاً، في بعض اللهجات، مشاي تعني (حذاء)، خشم أو منخار تعني (أنف) في لهجات عامية أخرى، واسبيتار تعني (مستشفى) وهكذا. إن الاختلافات النحوية بين هذه الصيغة والصيغة الفصيحة كبيرة وهامة، فهي تفتقر، على سبيل المثال، إلى النظام الصرفي. إن الاختلافات النحوية بين هذه الصيغة والعربية المحكية، التي يتكلمها المتعلمون، ليست ذات شأن. كما أن استيعاب المفردات فيها من

لغات أخرى واسع الانتشار، فعلى سبيل المثال، تستعمل العربية الفلسطينية كلمات دخيلة من العبرية والإنجليزية بشكل واسع (أمارة وسبولسكي، 1986)، ويحدث ذلك بدرجة متفاوتة.

ومع ذلك، يفضّل بعض الباحثين استخدام المصطلح "تعدد اللهجات"، مؤكدين أنه يصف بشكل أدق الوضع اللغوي في العالم العربي (بدوي، 1973؛ هاري، 1996). ويذهب هاري (1996: 69) إلى أبعد من ذلك، فيضع تعددية اللهجات على سلسلة "حيث ينتقل المتكلمون والكتاب، باستمرار بين اللهجات". وسواء تحدثنا عن صيغتين مختلفتين للعربية أو أكثر، فإن حالة من تعدد اللهجات موجودة اليوم في العالم العربي، حيث يستعمل المتكلمون غالباً صيغة واحدة في ظرف معين، وصيغة أخرى في ظرف آخر.

يخلق وجود تعددية اللهجات عوائق كثيرة أمام التلاميذ العرب، لأنهم ناطقون باللغة المحكية. ولكنهم، يُجبرون عند ممارستهم الكتابة والقراءة، على استعمال اللغة الفصحى، ويبدأون في مواجهة هذه المشكلة عندما يلتحقون بالصف الأول. فمسألة الازدواجية ليس جديدة على العالم العربي، لكن مشكلاتها في ميدان تعلم اللغة ما زالت تلازم العالم العربي قاطبة، وتبين المقارنات في الامتحانات الدولية في لغة الأم ان تحصيل الطلاب من الدول العربية في أسفل السلم.³

2.1.2 مواجهة التحديات:

السياسة العامة نحو اللغة العربية في العالم العربي

في بداية القرن العشرين احتدم الصراع بين المناصرين والمعارضين لقضية الفصحى والعامية. هذه القضية كانت متعددة الألوان والاتجاهات، وما زالت أصدائها تتفاعل حتى يومنا هذا؛ فقد طالب البعض بتبديل الحروف العربية بحروف لاتينية بهدف

3 في امتحان البيروز (وهو أحد أبحاث المنظمة العالمية لتقييم التحصيلات في التربية. والبيروز يفحص التنوع القرائي بين عينة طلاب الصف الرابع من العديد من الدول) الذي أجري سنة 2001 شملت العينة 37 دولة، فجاءت الدولتان العربيتان المشاركتان في الامتحان، الكويت والمغرب في المراتب الأخيرة. الكويت جاءت في المرتبة 35 (معدل 64) والمغرب في المرتبة 36 (معدل 57). وُصفت هذه الدول على أنها أقل بكثير من المعدل العالمي، فالدول في المراتب الأولى كان معدلها 95. أما في سنة 2006 فشملت العينة 45 دولة، فجاءت الثلاث دول العربية المشتركة في الامتحان، قطر الكويت والمغرب في المراتب الأخيرة. قطر جاءت في المرتبة 42، الكويت جاءت في المرتبة 43 والمغرب في المرتبة 44. وصفت هذه الدول على أنها أقل بكثير من المعدل العالمي.

(http://timss.bc.edu/PDF/P06_IR_Ch1.pdf)

حل مشكلة المصطلحات العلمية، وناشد الآخرون بجعل العامية لغة رسمية في الدول العربية. جميع هذه المحاولات باءت بالفشل لأسباب سياسية وقومية ودينية وحضارية، وفي أماكن أخرى فشل مشروع التعريب وقيت اللغات الأجنبية حاضرة في الكثير من المؤسسات الحكومية.

وُلد الصراع بين الفصحى والعامية العديد من التيارات. ففي السنوات الأولى من القرن العشرين، ثار جدال بين أوساط الباحثين في العالم العربي بخصوص استعمال اللغة العربية. وكان النقاش يدور حول ما إذا كان على اللغة الفصحى، أو صيغة مبنية على اللهجة المحلية، أن تصبح اللغة الرسمية في الأقطار العربية. وكان هنالك من ادعى أن اللغة المحكية هي لغة حية، يتحدثها الدارسون والمتعلمون والأطفال، زاعمين أن الصيغة الفصحى هي لغة ميتة، يتم تدريس قواعدها ومفرداتها في المدرسة، مثلما يتم تدريس الرياضيات أو علم آخر. وكما قال الأديب المصري، سلامة موسى (1928)، فإنه يتعلم الفصحى مثلما يتعلم لغة أجنبية (سليمان، 1996).

في مؤتمر المستشرقين المعقود في ليدن في عام 1931، ألقى الأديب المصري محمود تيمور محاضرة حول هذه القضية وقال: "بلا شك، إن اللغة المحكية في مصر سوف تصبح اللغة الرسمية للبلاد في التخاطب والكتابة، بينما ستبقى اللغة الفصحى لغة مكتوبة مشتركة لجميع الشعوب الناطقة بالعربية". (اقتبسها غويتن، 1961: 14). وقد رد الآخرون على محاضراته بغضب، مطالبين باتخاذ قرار لصالح اللغة الفصحى. بعد النقاش، أقر تثبيت اللغة الفصحى لتكون اللغة المكتوبة الرسمية في كل الأقطار العربية، بينما تستخدم اللغة المحكية لغة للتخاطب في الحياة اليومية (أمارة وأبو عقل، 1998).

ساهم عاملان رئيسيان في ترسيخ العربية الأدبية كلغة فصحى في البلدان الناطقة بالعربية: أولهما الدين، فاللغة العربية الكلاسيكية لغة مقدسة نزل بها القرآن، وتستعمل بشكل أساسي لصيانة التراث الإسلامي والثقافة العربية عبر الأجيال (بلاو، 1976). أما ثاني العاملين فهو سياسي: إذ تتأثر اللغة المحكية بالبيئة المحلية، وتطور كل جماعة (أو بلد) مفردات جديدة في لهجتها ولا تستعمل في اللهجات الأخرى. بناء على ذلك، فإن العربية المحكية تشكل دافعاً قوياً

لتفكيك العرب وانقسامهم إلى أمم، وتعمل ضد الهوية القومية والتراث الحضاري العربي. وتشدد العربية المحكية على الهوية المحلية للفرد، بينما توحد العربية الكلاسيكية كافة الناطقين الأصليين بالعربية.

بشكل عام، يصر غالبية علماء اللغة العربية والكتاب العرب على أهمية تدريس العربية الكلاسيكية، ولكنهم يختلفون حول هدف التعليم والطرائق التي ستحقق هذا الهدف. وعلى امتداد فترة معينة، تبلورت ثلاثة اتجاهات رئيسية، يلخصها شالمون (1968: 699) كالتالي:

1. الاتجاه المحافظ: ويدعم دراسة العربية الكلاسيكية، وتوسيع الأدب القديم والدين الإسلامي. ولتحقيق هذا الهدف، يتعين إبعاد الشباب وصغار السن عن أي تأثير للغة المحكية، بحيث يلتزمون بالتعابير الكلاسيكية، والصيغ الأدبية المحكية بدقة متناهية. ويتعين، كذلك، تدريس الإنشاء والقواعد التقليدية في جميع المراحل من المدرسة الابتدائية حتى الجامعات.

2. الاتجاه الإصلاحية: يدعي مناصرو هذا التيار أن اللغة الكلاسيكية غير ملائمة، ومن المحتمل أن تبعد الصغار عن لغتهم الأصلية. ولعلاج هذا الأمر، يتوجب جعل اللغة المكتوبة أقرب إلى العامية ومبسطة ومفهومة للجميع، وذلك لتمكين استعمالها وسيلة عملية وثقافية للاتصال المباشر مع أي شخص. ويستدعي هذا الأمر تغييرات كبيرة في اللغة: اشتقاق كلمات جديدة، استيعاب كلمات أجنبية، دراسة النصوص الحديثة بدلاً من الكلاسيكية، وتعليم النحو بصورة وظيفية (فريحة، 1955؛ هاري، 1996).

3. الاتجاه المعتدل: تتخذ مجموعة ثالثة موقفاً وسطاً، ويعني ذلك، في الممارسة الفعلية، التقليل من المفردات الكلاسيكية، دمج النصوص الحديثة، استخدام طرق أكثر نجاعة لتعليم النصوص والقواعد، تعليم المساقات العامة بلغة عربية مبسطة وتقليل الفجوة بين اللغة المحكية واللغة المكتوبة (أبو سيده، 1972؛ الجبالي، 1988). ومن الجدير بالذكر، أن موقف الوسط يميز التعليم الحالي في البلدان العربية.

2.1.3 التحديث واللغة العربية

دار نقاش في العالم العربي حول عملية التحديث. وادعى البعض أن عملية التحديث لا تتم بصورة فعالة بدون تحديث اللغة نفسها. فنشأ في العالم العربي تياران: تيار يتحدث عن تحديث اللغة العربية لمواكبة العصر، والتيار المحافظ، الذي يدافع عن إبقاء اللغة بدون تغييرات.⁴

فمن المحدثين من اعتقد أن العربية لا تناسب تعليم العلوم الحديثة، ويجب استعمال أحد اللغات الأوروبية في هذا الصدد. وهناك من ذهب إلى أبعد من هذا وتحدث عن صلة ايجابية بين العربية والتخلف، ليس فقط في المجالات المادية الملموسة، وإنما أيضاً في المناحي الثقافية والاجتماعية (خوري، 1991: 16). بهذا المفهوم، فالعربية هي حجر عثرة أمام التحديث.

لقد كان الهجوم الأعنف على العربية من قبل الكاتب المصري سلامة موسى والذي نسب في كتابه (1964) "البلاغة العصرية واللغة العربية" الممارسات غير المتحضرة في مصر إلى اللغة. ووجود ازدواجية اللغة اعتبرها شيزوفرينيا، حيث يفكر متحدثو العربية بلغة ويكتبون أفكارهم بلغة أخرى. أما عادل مصطفى (2009: 16-17) فتحدث عن عطب لغوي، ورد لديه

نحن شعب معطوب لغوياً قبل أي عطب آخر. فالطبيعي في كل المجتمعات الناطقة أن تكون الفصحى والعامة امتداداً وامتصلاً واحداً فرداً، يتدرج من اللغة اليومية البسيطة إلى اللغة الرسمية المركبة تدرجاً سلساً لا خلجان فيه ولا صدوع ولا فجوات، بحيث أن الطفل يدرس في معهده تلك اللغة نفسها التي يتحدث بها في الطريق، ويقرأ ويكتب باللغة نفسها التي يدهش بها ويضحك، ويحلم بها ويحب. أما نحن فذهننا منفصم مشطورين بين لغتين بينهما قطيعة تاريخية وثأر قديم.

ولتغيير الوضع فقد طالب سلامة بتبسيط قواعد اللغة العربية، أي تبني الكتابة بالأحرف اللاتينية، وتبني المصطلحات الأجنبية، وتقليل الفجوة بين الفصحى والعامية. فالمطالبة بعملية التحديث جاءت من العديد من الكتاب والباحثين في العالم العربي. فقد نادى إبراهيم مصطفى (1959) من مصر وأنيس فريحة من لبنان

4 للتفاصيل حول التحديث واللغة العربية راجع ياسر سليمان (2003)

Suleiman, Yasir (2003). *The Arabic Language and National Identity*. Washington D.C.: Georgetown University Press.

(1955. 1959. 1966) بالقيام بإصلاح القواعد العربية.

آخرون رفضوا هذا الطرح مثل المربي عبدو خليل وغيره، وقالوا أن العربية لغة غنية لغويا (خوري، 1991: 7-10)، ويجب الحفاظ عليها. ما يجب فعله هو تحديث العربية وجعلها تفي بالأغراض التي تقوم بها.

في المقابل هنالك من يتحدث عن التأثير السلبي للتحديث على وحدة اللغة ودورها كمؤشر للوحدة القومية (أنظر فروخ، 1961). ففي كتابه "القومية الفصحى"، يتحدث عمر فروخ عن الصلة الوثيقة بين اللغة والقومية. فالدفاع عن العربية لم يكن فقط من المنظور القومي، وإنما أيضا إسلامي. فالدفاع عن العربية برز كمواجهة للدفاع عن الإسلام وخسارة المعركة، يعني ستكون بداية تدمير الإسلام. بهذا المفهوم فاللغة العربية هي الدرع الواقي للإسلام.

هنالك من ذهب إلى أبعد مما ذكر كما الحال في كتاب محمود أمين العالم "قضايا فكرية: لغتنا العربية في معركة الحضارة" (1997)، حيث يقول:

أن العربية في خطر، والخطر مصدره من التدخلات الخارجية، وإذا تركت فسوف يؤدي إلى وضع من التبعية السياسية والثقافية للقوى الخارجية. بهذا المفهوم العربية لا تخوض فقط معركة لغوية، وإنما أيضا صدام حضاري (العالم، 1997: 10).

فلوصف حالة الصراع الصعب التي تخوضه العربية، هنالك من تحدث عن حالة من الغزو لوصف أعمال ومناصري المحدثين (الجمالي، 1996)، وهنالك من تحدث عن فتنة، أي أن هدف المحدثين هي إثارة الفتنة بين العرب والمسلمين (الجندي، 1982: 117).

2.2 التحديات الخارجية

لا تأتي تحديات اللغة العربية من الداخل فقط، وإنما أيضا من مصادر خارجية، بدءا من الاحتكاك مع اللغات الأخرى، وخاصة لغة المستعمر للدول العربية، الاحتكاك اللغوي في سياقات تفوق الغرب على الشرق، وتأثيرات العولمة.

2.2.1 الكولونياليه، العولمة واللغة العربية

واجهت اللغة العربية الكثير من التحديات. فبعد أن ازدهرت في الخلافات الإسلامية، فقد داهمت الأمة العربية انتكاسات كثيرة بدءاً بالغزو المغولي والقضاء على الدولة العباسية، ومروراً بسقوط الأندلس، ومن ثم انهيار الإمبراطورية العثمانية، مروراً بالاستعمار الأجنبي، وانتهاءً بالعولمة. إن جميع هذه المراحل التاريخية أثرت سلبياً على الحركة الثقافية في الشرق العربي ومغربه. رأى المستعمرون أن العربية تعدّ العامل الرئيس في وحدة الأمة العربية واتحاد شعوبها، لذا عملوا على إضعاف لغات الشعوب التي تقع تحت سيطرتهم، وقد حدث ذلك بشكل بارز في المغرب العربي في تعميم اللغة الفرنسية، التي فرضت سلطانها عليهم بالقوة. (Alexandre, 1963; Sirles, 1999; Benrabah, 2007a) وبشكل جزئي في نشر اللغة الانجليزية في المشرق العربي. فالاستعمار حاول سلب إرادة الشعوب وهويتها، مما دفع إلى خوض صراعات دامية مع المستعمر لسنوات طويلة. فخاض المغرب العربي معركة التعريب، أي إعادة الهوية العربية من خلال اللغة العربية واستعمالاتها في المجالات الحياتية المختلفة.

رغم أن المستعمرين دُحروا، إلى أن المعركة على الهوية العربية ما زالت مستمرة. واستبدل الاستعمار بحلة جديدة من الامبريالية الثقافية-اللغوية. حالة الامبريالية الثقافية تحصل عندما تتكون حالة ثقافة مهيمنة وثقافة أخرى مهيمَن عليها، وتحاول الثقافة المهيمنة فرض أنماطها الثقافية، ومن أبرزها الناحية اللغوية على الثقافة المهيمَن عليها. ولكن من الجدير بالذكر، أن الثقافة المهيمَن عليها بواسطة أبنائها في حالة ما بعد الاستعمار، هم الذين خاصة يستمرون بنقل ثقافة الحضارة المهيمنة (أمارة ومرعي، 2008، مرعي، 2010).

معظم الجامعات في الدول العربية تعلم العلوم الطبيعية والتطبيقية والطبية والحقوق باللغات الأجنبية. ففي مصر، على سبيل المثال، كان تعليم الحقوق في الماضي غير القريب باللغة الفرنسية. وكانت الحجة في ذلك، أن القوانين المصرية مأخوذة من القوانين الفرنسية، وعلى الطالب أن يدرس المادة وشرحها من الكتب التي وضعها الفرنسيون وبعدها أصبحت العلوم القانونية والاقتصادية تدرس باللغة الانجليزية (بسيوني، 2009 Bassiouney).

ويدّعي أنصار التدريس باللغة الانجليزية، بأن الاعتبارات ناجمة عن الأسباب

الآتية: أن ألفاظ العربية قاصرة على احتواء المصطلحات التكنولوجية المستجدة، وأن نقل المصطلح إلى العربية لا يفي بالمعنى المراد؛ التعلم باللغة الأجنبية يفتح الآفاق أمام الباحثين والدارسين للتعرف على الثقافة الغربية المتنورة، والتي تشكل المصدر العلمي الهام للتقدم التكنولوجي؛ غالبية المحاضرين تلقوا تعليمهم في الدول الأجنبية، وأنهم لا يتقنون العربية كلغة مهنية للمادة التي يدرسونها؛ أما الكتب المترجمة أو المادة التي تدرّس بالعربية في العلوم الإنسانية تظهر تبايناً في المصطلح للمفهوم الواحد، وإذا ما تم ترجمته أو تعريبه اختلفت الترجمة من قطر عربي إلى آخر، وهذا بحد ذاته يشكل خطراً على وحدة الفكر بين المثقفين. هذا الإشكال أدى إلى ضعف العربية بنظر غير الناطقين بها، مما أدى إلى نشوء حركات قومية في الدول الإسلامية، تدعو إلى التخلص من الحروف العربية لتكتب لغتها بحروف لاتينية، كما حصل الأمر في تركيا (سليمان، 2004).

ثمة جامعات في الدول العربية يتم تدريس جميع المواضيع فيها باللغات الأجنبية. ففي لبنان لغة التدريس في الجامعة الأمريكية هي الانجليزية، والتدريس في الجامعة اليسوعية بالفرنسية. وفي جامعتي الخرطوم في السودان، وجامعة النفط والمواد الخام في العربية السعودية يتم التدريس باللغة الانجليزية.

فتأثير اللغات الأجنبية في العالم العربي لا يقتصر على مجال التعليم، وإنما ينتشر في جميع المظاهر الحياتية، سواء كان ذلك في مجال كتابة اللافتات ثنائية-اللغة، في المرافق العامة أو المرافق الخاصة، التجارة والمعاملات وخاصة الخارجية بلغات أجنبية. فضلاً عن جانب الخلط ما بين اللغة العربية والفرنسية في بعض الدول، أو الانجليزية في دول أخرى وهذه ظاهرة تميز خاصة الطبقات الوسطى والعليا في العالم العربي.

بايجاز نقول، صحيح انه تم إجلاء الاستعمار، لكن مخلفاته الامبريالية في مظاهرها المختلفة، ومنها اللغوية-الثقافية، ما زالت حاضرة ومؤثرة في الحيز العربي العام بكل مكوناته.

التحدي للغة العربية لم يكن فقط عن طريق الاحتكاك الحضاري، وليس مصدره فقط الكولنيالية والامبريالية، فقد جاءت العولمة لتضع تحدياً آخر. حيث أثرت العولمة على كثير من مجالات الحياة، وبودنا أن نفحص هذه التأثيرات على اللغة العربية والناطقين بها. ولنعي مدى تأثير العولمة على اللغة العربية، نتطرق أولاً إلى العولمة عموماً.

يقول إغبارية (Agbaria, 2007) "بينما هنالك اتفاق متين أن العولمة هي عملية تغيير تحدث... إلا أن هنالك نقاشات حول أسبابها ونتائجها النهائية: ما هي العولمة؟ ماذا تفعل؟ وكيف يجب تعليمها؟

للعولمة الكثير من الوجوه: منها الاقتصادية، الثقافية-اللغوية، السياسية. فهنالك العولمة الاقتصادية والتي تتيح تنقل حر للسلع، للخدمات، للاستثمارات، والمعلومات بين الدول (Olssen et al., 2004, p. 5). وللعولمة إسقاطات على الثقافة. تشمل العولمة توسيع الثقافة الغربية والمرتبطة بقيم معينة الداعمة للاستهلاك ومراكمة الرأسمال. وللعولمة إسقاطات سياسية أيضا. فيدعي (Ohmae 1990) أن الاقتصاد المتشابك مسح الحدود بين الشعوب، والأكثر من ذلك الحدود التقليدية للدول. ويدعي (Castells 2004) أن العولمة تهدد تقويض المزايا الأساسية للدول القومية.

أظهرت الأبحاث حول العولمة الآراء المتباينة حولها، فمنهم من يرى إسقاطاتها الايجابية وآخرون أثارها التدميرية. فعلى سبيل المثال يرى فريدمان وفوكوياما (Friedman, 1999; Fukuyama, 1992) إن العولمة سيرورة ايجابية وهي

احتفاء بنصر الرأسمالية العالمية. بالمقابل يرى آخرون (Esteva and Prakash 1998), (Roy 2001) آثار العولمة المدمر على الثقافات المحلية. بإيجاز، هنالك من يرى العولمة ثقافة، وخصوصا ثقافة أمريكية، وهنالك من يرى العولمة صيرورة تاريخية طبيعية. للعولمة كذلك إسقاطات لغوية. نعرف أن اللغة هي الوسيلة للتواصل وللتفاعل الاجتماعي، وسائل الاتصال الحديثة (مثل الفضائيات والإنترنت) تسمح للفرد بالاتصال مع آخرين مهما كان البعد الجغرافي. فيبدو أن البعد الجغرافي لم يشكل عائقا أمام الاتصال بالجماعات غير المحلية. وللتفاعل الاجتماعي هنالك حاجة للغة مشتركة أو أكثر للاتصال. ففي واقع اليوم تعتبر اللغة الانجليزية، لغة الدولة العظمى التي تتحكم بالعولمة، والتي يعتبرها العالم لغة عالمية، وهي لغة التواصل بين الأمم. فاللغة الانجليزية هي إحدى ميزات العولمة. ومن هنا تنبثق أهمية تعلم وتدریس اللغة الانجليزية في معظم أنحاء العالم. ووفقا لكريستال فاللغة الانجليزية تدرس بأكثر من مائة دولة في العالم كلغة أجنبية مثل الصين، روسيا، ألمانيا، اسبانيا، مصر، البرازيل (Crystal, 2002:5). والواقع اللغوي الجديد يفرض اللغة الإنجليزية على كل من يريد الانخراط بالعالم والتطورات العالمية،

وله دون شك إسقاطات على اللغة العربية عموماً وعلى العربية في إسرائيل على وجه الخصوص. لا شك أن هنالك صلة وثيقة بين الهيمنة اللغوية والقوة الثقافية، التكنولوجية والاقتصادية. فاللغة تصبح عالمية بقوة ناطقها وبخاصة القوة العسكرية والقوة السياسية.

يقول معارضو العولمة إن اللغة الإنجليزية هي لغة قاتلة، وتنتشر كالوباء الثقافي والحضاري في أنحاء العالم حاذفة الأصوات المميزة والهويات الحضارية (Bhagwati: 109: 2004). اللغة ليست مجرد وسيلة للاتصال بين الأفراد والجماعات، فأهميتها تفوق هذا بكثير. فاللغة تجسد الهوية الشخصية والثقافية. لذلك، دراسة الانجليزية وممارستها تعني دراسة الحضارة والثقافة والفكر الغربي الذي حتماً يؤثر على المجتمعات التي تتداولها.

وللعولمة تأثيراتها المتعددة على اللغة العربية داخل إسرائيل. فمن ناحية، هنالك انفتاح الفلسطينيين في إسرائيل على العالم والفكر والحضارة الغربية، من ضمنه الانكشاف على "اللغات الغربية" المهمة، وخاصة الانجليزية. ومن الناحية الأخرى، العولمة أيضاً تؤدي إلى انفتاح الفلسطينيين في إسرائيل على العالم العربي الواسع عن طريق الفضائيات والانترنت والتي تقربه من اللغة العربية والهوية القومية، ومن هناك فإن تأثيرات العولمة على العربية في إسرائيل ليس ذا اتجاه واحد بل هو متعدد الاتجاهات، منها ما يؤثر عليها فيغنيها ومنها ما يؤثر عليها فيضعفها، ولكن لا بد من القول أن العولمة ساهمت في تقليل حدة "الخطر" التي تحمله اللغة العبرية على اللغة العربية، حيث أصبحت اللغة العربية تواجه تحديات أكبر من اللغة العبرية.

2.3 خلاصة

التحديات التي تواجه اللغة العربية عامة والعربية في إسرائيل خاصة هائلة، منها الداخلية (مسألة الازدواجية، تفضيل اللهجات المحلية، ومسألة التحديث)، ومنها الخارجية الاحتكاك الحضاري- اللغوي المتسارع بسبب العولمة والإرث الاستعماري وتأثير لغاته على العالم العربي. فهذه التحديات تؤثر على حيوية اللغة العربية والوظائف التي تقوم بها. فنرى في أقطاب عديدة من العالم العربي استعمالاً مكثفاً خاصة للانجليزية في التعليم العالي، والمشهد اللغوي العام لا يخلو من استعمال هذه اللغة أو اللغة الفرنسية. وتُسمع في العالم العربي الأصوات المنادية بترك

الفصحى لصالح العامية أو لغة أجنبية لأنها حسب اعتقادهم لا تفي بمتطلبات العصر وهي لغة الرب فقط، وآخرون ادعوا أنها لغة متخلفة.

رغم التحديات الجسام، إلا أن العربية نابضة في كل مكان من الوطن العربي. وربما هذا التراجع يعود إلى حقيقة مفادها، ثمة في الوطن العربي تآرجحات سياسية، والهوية العربية اليومية تواجه تحديات جساما أمام الهويات الإقليمية والشردمة. نرى من ناحية ازدهار الفضائيات والتي تستعمل الكثير منها فقط اللهجة المحلية، وفي المقابل نرى محطات مثل الجزيرة، وروادها بالملايين، تستعمل العربية السليمة على مدار الساعة، ظاهرة جديدة على المشهد العربي.

والعربية في إسرائيل تقع في هذه المدارات وأكثر من هذا. التحدي الأول أن العربية في إسرائيل أصبحت لغة أقلية بعدما كانت لغة أغلبية لقرون طويلة. ثانيا، أصبحت العبرية اللغة المهيمنة في الحيز العام. ثالثا، بسبب اعتماد الأقلية على الأغلبية في معظم ميادين الحياة، فإن الحاجة للعبرية كبير والكفاءة العالية فيها ضرورة ملحة وتأتي في أحيان كثيرة على حساب اللغة العربية. فمن ناحية يرى العرب أن العربية مهمة لوجودهم وبقائهم والحفاظ على هويتهم الجمعية، ومن الناحية الأخرى التحديات الحياتية لاستعمال العبرية كبيرة للغاية. كيف يوازن العرب بين هذين المستويين، الرمزي والبرغماتي؟ وكيف يؤثر هذا على حيوية اللغة العربية في إسرائيل؟ سنجيب عن هذه الأسئلة في الفصول القادمة.

الباب الثاني:

سياقات وخصوصية اللغة العربية في إسرائيل

الفصل الثالث

السياقات الداخلية والإقليمية
المؤثرة على اللغة العربية في إسرائيل



3. مقدمة

لا شك أن دراسة اللغة العربية في إسرائيل، لها أهمية كبيرة لأن لها أبعاداً تتعدى المسائل اللغوية، وترتبط ارتباطاً واضحاً في مجالات الحياة المختلفة، كما سنبين ذلك في سياق دراستنا في هذا الكتاب لاحقاً، وعلى رأسها الهوية. ففهمنا العميق للتحديات والإشكاليات التي تواجه اللغة العربية تتطلب فهماً عميقاً لطبيعة السياقات العامة المؤثرة عليها. وهذه السياقات تتلخص بعلاقة إسرائيل مع الأقلية العربية القومية في الدولة، والعالم العربي بتأثيراته المباشرة وغير المباشرة على العرب في إسرائيل.

3.1 السياقات الداخلية

إنّ العرب الفلسطينيين من مواطني إسرائيل، هم جزء لا يتجزأ من الشعب العربي الفلسطيني. ذلك الجزء من الشعب الفلسطيني الذي بقي على تراب وطنه، ويُسمون اليوم، رغم تبدل الأحوال السياسية وإقامة دولة إسرائيل، أصحاب وأهل وطن، أقلية قومية أصلانية. لكن خصوصيات وضعهم وما مرّوا به في العقود الستة الأخيرة، أثرت على بعض مظاهر حياتهم وتوجهاتهم، والتي نستطيع أن نجملها على النحو التالي:¹

1 انظر أمارة (1999: 87 - 88).

1. عملية تحديث متسارعة، علمًا بأن إسرائيل تشكل جزءًا هامًا في إحداث هذا التغيير، ويتضمن ذلك ارتفاعًا في مستوى المعيشة، والتعليم، إلا أن عملية التحديث الإسرائيلية كانت مسألة مشوّهة وجزئية (الحاج، 1995)، وأنها أصابت الفلسطينيين كفرد ولم تمرّ على القرية العربية (بشارة 1998).

2. الانتقال من الزراعة إلى العمل في المرافق الاقتصادية اليهودية - الإسرائيلية، وتحديدًا، كعمال أجيرين. حيث شكلت عملية "البرتلة"، أي التحول من مجتمع فلاحي - زراعي إلى مجتمع عمّالي، من أهم التحولات التي طرأت على الأقلية العربية الفلسطينية في سنوات الحكم العسكري، والتي أطلق عليها الباحث زريق صفة "التجرد من الزراعة" (Zureik, 1979).

3. عمليات أسرلة وفلسطنة متوازية، بحيث ان التواصل المادي والثقافي مع الفلسطينيين في الأراضي الفلسطينية المحتلة والشتات، أخذت تحمل زخمًا أكبر عبر السنين. لكن مركبات الهوية الجماعية بقيت تتداول على بساط البحث، وتركزت في النقاش الأكاديمي والسياسي حول المسألة: ما هو المركب الأكثر هيمنة وتأثيرًا على الهوية الفردية والجماعية للفلسطينيين في إسرائيل؟ حيث تتسارع مركبات عديدة في الهوية وتتواجد هذه المركبات في حالة توتر دائم.

4. تقوية الرغبة في المساواة المدنية، والعيش في إسرائيل كمواطنين متساوي الحقوق، وقد تطوّر خطاب المطالبة بالمساواة الكاملة، مع ربط القضية المدنية بمسألة الطابع وجوهر الدولة (جبارين، 2006ب).

5. بلورة وعي قومي بمستوى عالٍ من التنظيم والمواقف، فيما يتعلق بالحقوق السياسية ذات الطابع الجماعي.

6. منذ الثمانينيات من القرن الماضي، يمرّ العرب في عملية صحوة دينية، تم ترجمتها إلى تنظيم سياسي تحت اسم الحركة الإسلامية، التي حظيت بدعم جماهيري وسياسي في أواخر الثمانينيات، وانعكس هذا بدوره على قوة الحركة الإسلامية في إسرائيل، بشقيها: الجناح الجنوبي والجناح الشمالي (مثير 1988، أمارة 1996).

حاولت المؤسسة الإسرائيلية عبر السنين، بكل الأساليب والطرق فصل الفلسطينيين فيها عن باقي الشعب الفلسطيني، وترسيخ الفكرة في ذهنهم بأنهم "عرب إسرائيل".

أي أن ارتباطهم بدولة إسرائيل هو الأساس، وباقي الروابط مثل الهوية العربية والهوية الفلسطينية ما هي إلا دوائر هامشية معادية للدولة تصرّ بأمن الدولة عرباً ويهوداً على حد سواء. من هذا المنطلق عملت الدولة في فترة الحكم العسكري، على منح تصاريح العمل في المرافق الاقتصادية اليهودية لمن أعطى ولاءه لدولة إسرائيل، وصوّت لأحد الأحزاب الصهيونية، والمفضل لديها لمن يصوّت لحزب مباي، الحزب الحاكم، أو من دار في فلكه (كوهن، 2006). قامت الدولة كذلك بإفراغ مضامين التعليم من الأبعاد الفلسطينية والعربية وشُحنت بشحنات قوية بالمفاهيم اليهودية والصهيونية (الحاج، 1995؛ أمارة ومرعي، 2002). فقد حاولت المؤسسة تفتيت المفتت، أي تحويل الأقلية العربية إلى أقليات، وفعلت هذا، بكل الوسائل المتاحة لديها، حيث تم فصل الدروز والبدو عن محيطهم العربي (أمارة ومرعي، 2008). لا تعترف إسرائيل بالعرب كأقلية قومية، لأنها لا تريد أن تمنحهم حقوقاً جماعية وما لها من إسقاطات على حياتهم (جبارين، 2006أ). لكن من ناحية أخرى، فإن إسرائيل ليست دولة كل مواطنيها وإنما هي دولة اليهود. هذا يعني، أنه فرض على العرب أن يعيشوا على هامش الدولة اليهودية، مما له من تداعيات ثقافية وقومية عليهم. فدولة إسرائيل التي قامت على أنقاض الشعب الفلسطيني لا تمنحهم المواطنة الجوهرية كمواطنين في الدولة.²

لقد تميّزت العلاقة بين الأقلية العربية من ناحية، والمؤسسة الإسرائيلية والأغلبية اليهودية من ناحية أخرى بتوتر شديد، الأمر الذي أدى إلى صدامات جماعية أحياناً. فتوتر العلاقة بين دولة إسرائيل ومواطنيها العرب، ليس بجوهره حول الأمور المطلوبة، بل يتعداها إلى أمور أكثر جوهرية. فالعرب الفلسطينيون في إسرائيل هم مجموعة لها روايتها التاريخية المتميزة، والتي تتعارض مع الرواية التاريخية للأكثرية اليهودية، خاصة فيما يتعلق بالصراع على قضايا جوهرية، منها الأرض، والهوية وماهية المواطنة، والصراع منذ العام 1948 وهذه أمور مُعَيّبة في الخطاب اليهودي-الصهيوني. فالدولة تريد أن تُسيّر علاقة المجتمع العربي معها، وكأنها

2 في المحادثات التمهيدية التي جرت بين الوفدين الفلسطيني والإسرائيلي لبلورة صيغة مشتركة لمؤتمر أنابولس الذي عُقد في تاريخ 26-11-2007 طالب الوفد الإسرائيلي بأن تعترف السلطة الفلسطينية بإسرائيل كدولة يهودية فقط. أهمية الاعتراف هو ترسيخ ما تصبو إليه إسرائيل: العرب من مواطني إسرائيل لهم حقوق في الدولة وليس لهم حقوق عليها. إنها دولتهم ولكنها ليست وطنهم. هذا بالطبع له تداعياته على مطالب العرب في الدولة. فالدولة في هذه الحالة تمنح العرب حقوقاً فردية فقط، وليس حقوقاً جماعية لأقلية أصلانية.

فقط علاقة حقوق وواجبات، وتغافل كون هذا الشعب له وجدان وهوية وتاريخ وقضية.

إن أحداث يوم الأرض في آذار 1976 وهبة الأقصى في أكتوبر 2000 ما هي إلا انعكاس للتوتر القائم بين المؤسسة والأقلية الفلسطينية، وتجسيد لهوية العربي-الفلسطيني في الداخل، بكل ما يربطها من قضايا الأرض، التعاطف مع الشعب الفلسطيني، الاحتجاج على سياسة الإقصاء، والإجحاف والتمييز. فمن ناحية، يدرك العرب أنهم لا يستطيعون الحصول على مساواة جوهرية في إسرائيل، بسبب طبيعة الدولة وتعريفها وإدراكها لذاتها على أنها يهودية-صهيونية، وأيضاً بسبب السياسات الإسرائيلية تجاههم. ومن جهة أخرى، لا تريد المؤسسة الإسرائيلية أن تمنحهم المساواة الكاملة، لأن ذلك بنظرها، يشكل خطراً على طابع دولة إسرائيل اليهودية-الصهيونية. إن علاقة الشك وعدم الثقة مع المؤسسة قائمة، وهنالك الكثير من المواطنين العرب، الذين يعتقدون أن الدولة تتعامل معهم كأعداء وليس كمواطنين.

في هذا الواقع المركب، حاولت إسرائيل تدجين العرب وإرغامهم على قبول الواقع الجديد. أي عدم المطالبة بحقوق جماعية. ويبقى التساؤل: كيف تجلّى هذا الواقع لغويًا؟ أين دور الأقلية العربية من محاولة التدجين التي تقوم بها المؤسسة الإسرائيلية والمسألة اللغوية؟ جميع هذه التساؤلات سنحاول الإجابة عنها في الفصول اللاحقة.

كما سنرى في الفصول اللاحقة، أصبحت العبرية هي اللغة المهيمنة في المجالات العامة، ورغم الاعتراف برسمية اللغة العربية، إلا أن التطبيق على أرض الواقع قليل وبالإمكان القول أن العربية لغة رسمية بالاسم والشكل بينما العبرية هي اللغة الأبرز والوحيدة في كثير من المجالات العامة. كيف اثر هذا الوضع على حيوية اللغة العربية على المستويين القطري والمحلي؟ ما دور العرب في إبقائها لغة حيوية، كونها القلب النابض للهوية العربية؟

3.2 السياقات الإقليمية

لقد أثرت السياقات الداخلية وما زالت تؤثر على اللغة العربية في إسرائيل. بالمقابل فإن السياقات الإقليمية لا تقل أهمية عن السياقات الداخلية. فإسرائيل شبه جزيرة عبرية في قلب محيط عربي يتفوّه باللغة العربية التي عاشت ونبضت عبر قرون

طويلة في التاريخ في فضاء واسع. واللغة العربية في العالم العربي على بعد مرمى حجر من الفلسطينيين في الداخل، وهي تتدفق على أبوابهم سواء عبر الفضائيات أو الانترنت.

إن العلاقة مع العالم العربي هي علاقة عضوية: قومية، دينية، تاريخية، لغوية، وثقافية. فلذلك المسألة ليست هي لغوية اتصالية بقدر ما هي إنتمائية. لذا سنحاول أن نسبر هذه العلاقة في عجالة لفهم أبعادها المختلفة وإسقاطاتها على اللغة.

السياقات الإقليمية تأثرت بالأحداث التي جرت في العقود الأخيرة. نستطيع أن نتحدث عن مراحل مختلفة وذلك لميزاتها وتمايزها. بالإمكان تسمية المرحلة الأولى بعد قيام إسرائيل "التمسك بالعروبة والاعتقاد بعدم ديمومة إسرائيل" واستمرت هذه الفترة منذ عام 1948 وحتى عام 1967. اعتقد الفلسطينيون في البداية، أينما كانوا، بأن المشكلة الفلسطينية هي مشكلة عربية عامة. نعني أنهم اعتقدوا بأن الترتيبات مع إسرائيل كانت مؤقتة وأن العرب، في المستقبل القريب، سوف يدمرون الدولة اليهودية ويعيدون السيادة على فلسطين للعرب لاحقاً. (أمارة ومرعي، 2002)

ولمدة عقدين، وجد العرب في إسرائيل في الحركات القومية العربية التحررية السند الأساسي في حربهم ضد المحتل الإسرائيلي، أو بنظر العرب عامة الكولنيالي الجديد للمنطقة. ونظرت كل الأطراف إلى النزاع، أثناء هذه الفترة، على أنه نزاع قومي بين اليهود والعرب. وأعجب الفلسطينيون كثيراً، كبقية العرب، بالرئيس المصري، جمال عبد الناصر، الذي نظروا إليه كزعيم وطني عربي يعمل جاهداً لإنقاذ الأمة العربية والشعب الفلسطيني، ولفرض السيادة العربية على كامل الوطن العربي.

بالرغم من صعود القومية العربية في هذه الفترة، أصبح الصراع العربي-الإسرائيلي، وحقوق الفلسطينيين الذين نزحوا من فلسطين أو تم طردهم وإبعادهم عنها، المحور الرئيسي للحركة القومية العربية. هذا، ولم تتم ترجمة توجه الدول العربية نحو الفلسطينيين إلى خطة جدية لاستيعابهم وإعادة تأهيلهم. وبشكل مماثل، فإن العرب، من الدول العربية، الذين كانوا يقابلون العرب من مواطني إسرائيل، في أماكن مختلفة، أظهروا موقفاً فاتراً ومتحفظاً منهم (بيرس ويوفال - ديفيس، 1969). لذا كانت علاقة العرب، مواطني إسرائيل، مع الدول العربية غير مستقرة، كما كانت كذلك مع دولة إسرائيل. هذا لربما من الناحية السياسية، لكن

من الناحية العاطفية والأيدولوجية كان لهم ارتباط وثيق مع العالم العربي.

أثناء هذه الفترة، بحث العرب في إسرائيل عن سبيل لتكييف أنفسهم مع الوضع الجديد. وتطور لديهم مفهوم مسياني³ حطمته الأحداث السياسية والعسكرية. هذا، وأضعف العدوان الثلاثي على مصر، أو ما تسميه إسرائيل "عملية قديش"⁴ عام 1956 هذه الأبعاد الرومانسية. أما النصر الكاسح، للقوات الإسرائيلية في هذه الحرب، فولد الشعور لدى العرب في إسرائيل بأن إسرائيل دولة قوية جداً. عزز هذا الواقع النظرة العقلانية وأضعف الأمل بأن إسرائيل ظاهرة عابرة.

ويزعم رعانان كوهين (1989) أنه حتى العام 1967، خصوصاً، بعد حرب سيناء، وُجد توازن دقيق بين الولاءات المعقدة للعرب في إسرائيل. إذ حول العدوان الثلاثي على مصر إسرائيل إلى حقيقة قائمة لا تتزعزع، وأدت إلى تغيير في تصور السكان العرب وموقفهم منها. ويرى يسرائيلي (1981) أن عملية الأسرلة قد بدأت بين العرب في إسرائيل، بشكل جزئي، بسبب اليأس. وتدعي أوساتسكي - لازار (1990) بأنه منذ العام 1949 بدأ العرب في إسرائيل بالنضال من أجل الحصول على مكانة مدنية في دولة إسرائيل لدوافع مختلفة: الواقعية، والخوف، وقبول الوضع، وخيبة الأمل من الدول العربية والرغبة في تحسين مكانتهم.

يعتقد بشارة (1993) بأن العرب في إسرائيل يمثلون مجموعة مهزومة من مجتمع مهزوم، ناضلوا من أجل الأمن وليس المساواة. وحتى نهاية الحكم العسكري في عام 1966، تمثلت معظم العلاقات بين السكان العرب والدولة بخدمات الأمن العام والفروع الأمنية. وحسب رأيه، فإن الهوية الثنائية للعرب في إسرائيل يعتبر مؤشراً على التناقض الشديد بين هويتهم الفلسطينية وملاحمهم الإسرائيلية.

بالإمكان إيجاز هذه الفترة على النحو التالي: وقع العرب الفلسطينيون في إسرائيل تحت تأثير صدمة قومية ونفسية، وكانوا متلهفين للبقاء في أماكن سكنهم،

3 حسب هذا المفهوم، فإن دولة إسرائيل ظاهرة مؤقتة وعابرة، وقد أدرك العرب أن تكيفهم السريع في إسرائيل مؤقت. ومن جهة أخرى، طور السكان اليهود توقعات للاندماج، أو على الأقل، لتكثيف العرب أو حتى قبولهم بالوضع الجديد في البلاد.

4 رداً على نشاط رجال المقاومة ضد إسرائيل من غزة، انضمت إسرائيل إلى إنجلترا وفرنسا في حملة ضد مصر بعد تأميم قناة السويس من قبل الرئيس الراحل جمال عبد الناصر، واحتلت إسرائيل سيناء في تشرين الأول من عام 1956. ومع تدخل الاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة أرغمت إسرائيل على إخلاء سيناء في آذار 1957، ووضعت قوات من الأمم المتحدة لحفظ السلام في شرم الشيخ، وعلى الحدود بين مصر وإسرائيل.

ولم يساهم غياب الزعامة في توحيد الصفوف. هذا، ولم يتح الحكم العسكري القاسي، والذي خضع له المواطنون، من إعادة تنظيمهم، ولم يتحقق الأمل بأن تكون نهاية دولة إسرائيل على يد الدول العربية. بكلمات أخرى، لم يتحقق اعتمادا على عامل خارجي. وارتكز بقاؤهم في الدولة اليهودية بعد إنشائها على سلوكهم، إذ من المحتمل أن يؤدي نشاطهم العنيف إلى طردهم من ديارهم، كما حدث قبل إنشاء الدولة وبعدها. فبدأت مرحلة من التأقلم للواقع الجديد.

تعتبر هزيمة حرب عام 1967 نقطة مفصلية في منطقة الشرق الأوسط ولها انعكاسات كبيرة على المنطقة وعلى العلاقات العربية داخل إسرائيل. وتعد هذه مرحلة ثانية من تطور الأقلية العربية في إسرائيل. فقد سرّعت هذه الحرب من عملية الفلستنة.⁵ وعرض زوال الحواجز مع سكان المناطق المحتلة العرب في إسرائيل لتأثيرات السكان الفلسطينيين الذين تميزوا بوعي قومي قوي. وعمّق احتلال المناطق والإذلال العسكري الكراهية لإسرائيل، وتعزز التعاطف مع العالم العربي (بيرس، 1976). لقد أيقظ التواصل المكثف والمتنوع مع سكان المناطق المحتلة المكوّن الفلسطيني "الراكد" في مخزون الهوية للعرب في إسرائيل.

أثناء هذه الفترة، ظهر مفهوم "الولاء المزدوج"⁶ كما عرّفه لنداو (1971). فمن ناحية، اعترف العرب في إسرائيل بوجود دولة إسرائيل، واستفادوا من بعض الحقوق كمواطنين في الدولة، إذ بدأوا منذ الستينيات يندمجون في الدولة أكثر من الماضي. ومن ناحية أخرى، واجهوا مأزقاً صعباً بالنسبة لولائهم لإسرائيل ولولائهم لعروبتهم. وبعد الحرب، ازداد الشعور بالاغتراب والصراع الداخلي بين المواطنين العرب في

5 بعكس الأسرلة، يتعاطف العرب في إسرائيل مع الفلسطينيين في المناطق الفلسطينية المحتلة ليس فقط في الناحية السياسية، وإنما في الناحية الثقافية أيضاً. وحسب هذه النظرة، سرّعت عملية إعادة توحيد الفلسطينيين في الضفة الغربية وقطاع غزة مع الفلسطينيين في إسرائيل، منذ العام 1967، من عملية الفلستنة وتغريب العرب في إسرائيل.

6 لا شك أن مسألة الولاء هي قضية تدرج تحت خلق العربي-الإسرائيلي الجديد الذي يتوجب عليه أن يقبل بالواقع الإسرائيلي كما تمليه المؤسسة الإسرائيلية. فالعرب لم يقبلوا هذا المفهوم (اللهم عدا أولئك الذين انخرطوا في الأحزاب الصهيونية لأموار منفعية) وإنما تحدثوا عن البقاء وصراع البقاء والعلاقة مع المؤسسة الإسرائيلية هي علاقة "مسايرة سياسية" إلى أن يشتد عودهم ويتحدثون بجرأة عن واقعهم وهويتهم بصدق.

أظهرت مسيرات الحداد التي قام بها العرب في المدن والقرى في الجليل والمثلث بعد وفاة الرئيس المصري جمال عبد الناصر، في أيلول 1970، أنه لا يوجد "ولاء منقسم" (لانداو، 1971) والتعقيد والتناقض في هويتهم الجماعية، ليس كما صورته المؤسسة الإسرائيلية وصورها أكاديميوها. فالعرب في هويتهم راسخ، وان لم يظهر على السطح أحيانا.

إسرائيل. وللمرة الأولى منذ إنشاء الدولة، واجهتهم قرارات ملموسة فيما يتعلق بمسألة الولاء. كما تم تصعيد الكفاح الفلسطيني المسلح في الشتات، وطلبت المنظمات الفلسطينية، الموجودة في الخارج، من العرب في إسرائيل تقديم المساعدة لأفرادها، والتجسس والاحتجاج والتظاهر وتشجيع الطلبة على الإضراب والقيام بحملات قومية في المدارس والجامعات (لاندر، 1971).

وجاءت حرب أكتوبر 1973 لتشير إلى بدء مرحلة جديدة من التطور الفلسطيني في الداخل وتستمر حتى اندلاع الانتفاضة الفلسطينية الأولى. سببت حرب أكتوبر في العام 1973 ارتفاعاً في الروح المعنوية والكبرياء القومي لدى العرب في إسرائيل (لين، 1980)، مخلفة مفهوم القيمة الثنائية. فمن ناحية، ازداد شعور العرب في إسرائيل بالانتماء إلى العالم العربي، ومن ناحية أخرى، ازداد الشعور بالاغتراب عن المجتمع الإسرائيلي (كوهين، 1989). أثبتت الدول العربية، للمرة الأولى، بأنها قادرة على تشكيل جبهة موحدة ضد إسرائيل. وزاد الاعتقاد في انتصار الدول العربية من الثقة بالنفس بين العرب في إسرائيل، فبدتوا يشعرون بأنه من الممكن هزيمة إسرائيل.

بدأ الكبرياء والشعور بالثقة بين المواطنين العرب في إسرائيل نتيجة لحرب أكتوبر، وتعميق المكوّن العربي في هويتهم، يضعف ببطء عندما تسارعت عملية الفلسطنة بينهم، وذلك بسبب ضعف ارتباطهم بالبلدان العربية نتيجة المواقف والممارسات المتناقضة نحو الشعب الفلسطيني وحركته القومية. وتم التعبير عن هذه المواقف بالدعم اللفظي للقضية الفلسطينية، من جهة، وكبت الفلسطينيين وقتلهم، من جهة أخرى. ونتيجة لحيبة الأمل من الدول العربية، بدأ العرب في فلسطين يشعرون أنهم فلسطينيون أكثر من كونهم عرباً. تتميز هذه الفترة بتقوية المكوّن الفلسطيني وإضعاف المكوّن الإسرائيلي، وإعادة الصحوة الإسلامية كمكوّن قوي في الهوية الجماعية للعرب في إسرائيل (مثير، 1988؛ أمارة، 1996).

وفي رأي علماء الاجتماع الإسرائيليين (لين، 1980؛ أيزنشتادت، 1990؛ كيمرلينغ، 1993)، فقد حدث في السبعينيات، خاصة، بعد يوم الأرض الأول من عام 1976، تغيير سياسي هام في مواقف العرب في إسرائيل نحو الدولة، نتيجة لتقوية عملية الفلسطنة داخلهم. وينعكس التغيير السياسي في عدد المقترعين في الانتخابات، وفي المشاركة الفعّالة في المظاهرات السياسية، والإضرابات

والاحتجاجات، خصوصاً في الجامعات، والاهم باعتقادنا أن نعتبر قضيتهم جزءاً من القضية الفلسطينية.

وتم التعبير عن هذا التغيير في انتخابات الكنيست للعام 1977، بحصول الحزب العربي-اليهودي الوحيد (الحزب الشيوعي) على 51% من الأصوات العربية، وفي نتائج انتخابات السلطات المحلية والبلدية، اكتسب الحزب الشيوعي قوة كبيرة. وتمحور هذا التغيير حول الهوية الفلسطينية ودلالاتها السياسية المحتملة، إلى جانب التأثير العظيم لمنظمة التحرير الفلسطينية (م. ت. ف.)⁷، وقد ازدادت حدة معارضة العرب للدولة بعد اللقاء اليومي مع الفلسطينيين في الضفة الغربية. كما انعكست فلسفة العرب في إسرائيل من خلال تأسيس منظمات سياسية قومية في منتصف السبعينيات. وظهرت هذه المنظمات في كل منطقة تقريباً مع تشكيل لجان عاجلة مسائل الأرض، التعليم، الحكم المحلي، الرفاهية والصحة. وكان رد فعل المؤسسة الإسرائيلية على هذه النشاطات نزع الشرعية منها، وذلك، من خلال عدم الاعتراف القانوني بها وعدم مخاطبتها مباشرة.

وجاءت الانتفاضة الفلسطينية الأولى بين أعوام (1987 - 1991) لتشير إلى مرحلة جديدة من تطورهم. كانت الانتفاضة الفلسطينية الأولى من أهم الأحداث في تاريخ الشعب الفلسطيني، في الضفة الغربية وقطاع غزة، عبر العقود الثلاثة الأخيرة من القرن العشرين. وكانت نتائج الانتفاضة بعيدة المدى على كل الأطراف المرتبطة بالنزاع الإسرائيلي- الفلسطيني، نعني الشعب الفلسطيني بشكل عام، الفلسطينيين في الأراضي المحتلة، المجتمع الدولي، وإسرائيل نفسها، بشكل خاص. جسدت الانتفاضة صراعاً قومياً ضد الاحتلال الإسرائيلي، بل وزادت من حدة الصراع بين الفلسطينيين والإسرائيليين. وأصبحت واقعاً يومياً عند الفلسطينيين، وأدت إلى تسارع التبلور المتجدد للثقافة والهوية الفلسطينية، كما أدت إلى تغيير في النواحي الثقافية والاقتصادية والقومية والسياسية لدى الفلسطينيين والإسرائيليين.

7 تأسست في أيار من عام 1964 في القدس. وفي العام 1969 سيطرت حركة فتح على م. ت. ف. برئاسة ياسر عرفات. وفي العام 1970 خاضت م. ت. ف. حرباً دامية ضد الأردن ثم انتقلت إلى لبنان. وفي العام 1974 تم الاعتراف بـ م. ت. ف. كمثل شرعي وحيد للشعب الفلسطيني في القمة العربية في الرباط. وفي 1982 أخرجت م. ت. ف. من لبنان بعد الغزو الإسرائيلي وأصبحت تونس قاعدتها. تشكل م. ت. ف. المظلة السياسية للحكم الذاتي الفلسطيني في الضفة الغربية وغزة بعد اتفاقية أوسلو عام 1993 والاتفاقيات اللاحقة.

وأعتبرت الانتفاضة ثورة شعبية ضد الاحتلال الإسرائيلي، لكنها، أيضاً، سارعت في التغيير داخل الشعب الفلسطيني. فقد زادت من حدة العداء في المجتمع الفلسطيني، مبلورة ومجددة قيمه وأعرافه معطية إياها دلالات مختلفة (كتاب، 1992: 125).

شغل تعاطف العرب في إسرائيل مع الانتفاضة الفلسطينية بال الكثير من الساسة والمثقفين في المجتمع الإسرائيلي، وركز هؤلاء على المأزق المركزي المرتبط بموقف العرب في إسرائيل تجاه الانتفاضة من خلال التساؤلات: هل تم تحطيم الخط الأخضر،⁸ أو إحداث تصدع فيه أو تقويته؟ هل عزز الفلسطينيون في إسرائيل من تعاطفهم مع الانتفاضة؟

في الحقيقة، عبّر العرب في إسرائيل، معنوياً ومادياً، عن تعاطفهم وتضامنهم مع الفلسطينيين في المناطق المحتلة منذ بدء الانتفاضة وحتى نهايتها.

وينبغي علينا التأكيد، أن موضوع هوية العرب في إسرائيل كان قد أثار وما زال يثير نقاشاً مستمراً في المجتمعين، العربي واليهودي. وثمة مجموعة من الباحثين (غينات 1989؛ سموحة 1989، 1992؛ ليمان - فيلتزيغ 1993) تدعي أن الأقلية العربية تمر بعملية أسرلة. ففي رأيهم، إن العرب في إسرائيل يتجهون أكثر صوب الاندماج في المجتمع الإسرائيلي، ويعرفون أنفسهم كمواطني إسرائيل، وأن كفاحهم اليومي هو من أجل التعايش الطبيعي بغية الحصول على حقوق مدنية ومساواة كاملة. وتوحي حقيقة اقتصار دعم العرب في إسرائيل للانتفاضة على الناحية المعنوية والمادية، حسب دعاة هذا المنهج، إلى نمو الأسرلة وتقويتها. وفي مقابل هذا، فإن المجموعة الأخرى (لستك 1980؛ لاندو 1984، 1989؛ سوفير 1986، 1989؛ كوهين 1989؛ ريجف 1989؛ ريخس 1989) تدعي بأن العرب في إسرائيل يربطون هويتهم بالفلسطينيين في المناطق المحتلة والشتات، ليس فقط سياسياً وإنما ثقافياً. وحسب هذا التوجه، حفزت إعادة توحيد الفلسطينيين في الضفة الغربية وقطاع غزة مع الفلسطينيين منذ عام 1967 عملية تغريب العرب في إسرائيل. ويعرف هذا المنحى باسم "الفلستنة".

في غمرة هذين المنحيين، يقترح أمارة وكبها (1996) طريقة توفيقية، إذ يقولان

8 أصبح خط ترسيم الهدنة بين دولة إسرائيل الناشئة والضفة الغربية، التي سيطر عليها الأردن، يُعرف بالخط الأخضر. وبالرغم من اختفاء الخط الأخضر عملياً باحتلال الضفة الغربية عام 1967، فإن الإغلاق المستمر للضفة الغربية أثناء الانتفاضة يحييه من جديد.

بأن الخيار الثنائي هو سطحي. ومن دواعي التناقض أن الانتفاضة قوّت الهويتين: الفلسطينية والإسرائيلية، على حد سواء. إن المصدر الرئيسي لعصرنة العرب في إسرائيل هو المجتمع الإسرائيلي. وفي الوقت نفسه، عبرت الفلسطنة عن رغبتهم في المحافظة على هويتهم. وبينما يسمح لهم التقارب مع المجتمع الإسرائيلي بتحقيق جزء من تطلعاتهم في الحياة اليومية، كمواطنين لهم قدر كبير من الحقوق المدنية، فإن الارتباط بثقافة إخوانهم الفلسطينيين يشبع رغباتهم في تنمية هوية قومية ووحدة ثقافية.

هنالك باحثون يتحدثون عن هامشية العرب في إسرائيل في الهوية الإسرائيلية وفي الهوية الفلسطينية، ما سُمي بالهوية الهامشية المزدوجة.⁹ هنالك من تحدث عن هوية واحدة ممكنة، الهوية الفلسطينية، ذلك لارتباطها بالبعد العاطفي (روحانا، 1997).

فالانتفاضة خلقت توترا بين الأقلية العربية والأغلبية اليهودية في إسرائيل. فجاءت اتفاقيات السلام بين الفلسطينيين لتبشر ببدء حقبة جديدة من العلاقات الإسرائيلية-الفلسطينية. جاء مؤتمر مدريد، في تشرين الأول 1991، مباشرة بعد حرب الخليج الأولى¹⁰ كمكافأة لدعم عدد من الدول العربية للحملة الأميركية ضد العراق. وانتهاز الأمريكيون الفرصة، وعمقوا من تدخلهم الدبلوماسي العريض في الصراع العربي-الإسرائيلي.

يُحدد المبدأ الأساسي، والذي يوجه العرب في إسرائيل بشأن عملية السلام مع الفلسطينيين، من خلال المعادلة التالية: المقبول على الحركة الوطنية الفلسطينية مقبول أيضاً على معظم الأحزاب العربية حتى وإن كان ذلك على حسابها (روحانا، 1997: 77). من هذا المنطلق، كان الدعم للفلسطينيين في اتفاقيات السلام تلقائياً.

توفر عملية السلام مع الإسرائيليين نوعاً من الارتياح للعرب في إسرائيل،

9 فهم هامشيون كمواطنين في إسرائيل، وهامشيون على مستوى الحركة الوطنية الفلسطينية، (الحاج، 1993، 1997، غانم، 1996؛ سليمان، 1999)، حيث لا تعتبرهم الأخيرة جزءاً من القضية الفلسطينية، ولا يتم إدراجهم في البرنامج الوطني والمشروع السياسي الفلسطيني، ولا طرح قضاياهم على طاولة المفاوضات (غانم، 1996).

10 بعد احتلال العراق للكويت في آب 1990، شنت الولايات المتحدة وبعض الدول الأوروبية وبعض الدول العربية حرباً ضد العراق في كانون ثان من عام 1991. ونجم عن الحرب هزيمة العراق وانسحابه من الكويت.

لأنهم رأوا، وللمرة الأولى، بارقة أمل في إمكانية حل القضية الفلسطينية بالطريقة السلمية. أظهرت معظم استطلاعات الرأي التي جرت بعد اتفاقيات أوسلو بأن أغلبية حاسمة دعمت الاتفاقية (أوساتسكي - لازار وغانم، 1993).

خلال هذه الفترة، حدّد العرب في إسرائيل هويتهم مع دولة إسرائيل أكثر من أية فترة أخرى.¹¹ وأصبح هذا الطرح ممكناً بعد عملية السلام بين إسرائيل والفلسطينيين، وفي ضوء بعض التحسن في المكانة المدنية للعرب أثناء حكومة رابين (أمارة، 1997).¹²

ومن المنطقي الافتراض، أن السلام سيقبل من القلق الأمني لإسرائيل، ولذلك، سيكون للسلام أثر عميق على ديناميكيات الإطار السياسي الإسرائيلي - الداخلي، لأن التناقض بين الديمقراطية والأمن سوف يضعف، والتناقض بين دولة ديمقراطية ودولة يهودية سيبرز كأكثر التناقضات جوهرية في العلاقات بين العرب واليهود (روحانا، 1997: 78).

لكن العملية السلمية لم تسر بالاتجاه الصحيح ولم تقم الدولة الفلسطينية. فاندلعت الانتفاضة الفلسطينية الثانية عام 2000، أو ما تم تسميتها بانتفاضة الأقصى، وواكبتها هبة أكتوبر وتداعياتها التي ما زالت ترافقنا إلى يومنا هذا.

وقع في هذه الفترة حدثان هامان: أولاً، توسيع دائرة المظاهرات الشعبية التي قام بها العرب في إسرائيل في تشرين الأول 2000، والتي انتهت باستشهاد 13 متظاهراً عربياً، وصدمت المجتمع العربي في إسرائيل. بعد هذه الأحداث، شرع العرب في إسرائيل بالتساؤل حول هويتهم المدنية "كإسرائيليين". ثانياً، تعميق النقاش السياسي حول مكانة المواطنة للعربي في إسرائيل، وربط هذه المكانة بالطابع اليهودي للدولة. حيث يطمح العرب إما إلى تحويل إسرائيل إلى دولة ديمقراطية غير صهيونية، وإما إلى الاعتراف بحقوق العرب في إسرائيل كأقلية قومية. من خلال

11 انظر، على سبيل المثال، ملحقات الصنارة (1995/11/7)، وكل العرب (1995/11/11) حول ردود الفعل الغاضبة والحداد وجميعية العرب من اغتيال رابين.

12 من المنطق القول، بأن علاقة الحكومات الإسرائيلية بالعرب هي الباروميتر الذي يحدّد نوعية علاقتهم بالدولة. ومن الممكن تقوية هذه المقولة من خلال المقارنة بين فترتين للحكومة: فترة حكم حزب العمل برئاسة رابين وبييرس (1992 - 1996)، حيث تعاطف العرب مع الدولة، مقابل فترة حكم الليكود برئاسة نيتياهو (1996 - 1999). ففي هذه الفترة، انحرفت عملية السلام عن مسارها، وأصبح الوضع الاقتصادي للعرب أسوأ نتيجة تخفيض المخصصات التي كانت قد منحت للعرب في نواحٍ مختلفة.

تحدي التركيبة الأساسية للدولة العبرية ومدلول الهوية الذي تبلور بين العرب على مر العقود الأخيرة.

في هذه المرحلة بدأت تساؤلات جوهرية حول العلاقات العربية-اليهودية في إسرائيل وجوهر المواطنة. وبدأت تتصاعد الأصوات في المجتمع العربي أن هنالك حاجة لمراجعة العلاقة مع الدولة وتحدي طابع الدولة اليهودي والحديث عن مواطنة غير مشتقة من رحم ماهية الدولة اليهودية الصهيونية وإنما على أساس مفهوم المواطنة، ولذلك يتوجب تغيير نظام الحكم والذي يضمن الحقوق الجماعية للعرب. وصلت هذه الطروحات أوجها بالنصوص التي سُميت التصورات المستقبلية كما سنشير إليها لاحقاً.

3.3 الإسقاطات اللغوية

للسياقات الداخلية والإقليمية

أثرت كل من السياقات الداخلية والإقليمية على المخزون اللغوي للفلسطينيين في إسرائيل، بدأت التغيرات اللغوية بفقدان الحاضرة الفلسطينية التي كانت مفعمة بالحيوية لغوياً وثقافياً. فاللهجات التي كانت حاضرة، بعد قيام إسرائيل، هي القروية. والارتفاع في نسبة المتعلمين أدى إلى معرفة الفصحى واستعمال بعض من مظاهرها في اللغة العامية.

إن قيام دولة إسرائيل أدى إلى انقطاع العرب-الفلسطينيين إلى التواصل مع العالم العربي بشكل مباشر. فبداية كان التواصل عن طريق المذياع، ومن ثم التلفزيون وبعد حرب 1967 بواسطة الكتب التي وصلت قطاع غزة والضفة الغربية. وبعد التوقيع على اتفاقيات بين مصر والأردن، كان هنالك احتكاك مباشر مع عرب من تلك الدول. وكذلك الحج إلى الديار المقدسة بدءاً من عام 1979م الذي مكن الآلاف من الاحتكاك مع العرب والمسلمين سنوياً. والانفتاح الأشمل بدأ في عصر الفضائيات. كل هذه العوامل وجدت لها طريقاً وتأثيراً على المخزون اللغوي للفلسطينيين في إسرائيل.

في هذه الفترة دخلت اللغة الانجليزية في المخزون اللغوي الفلسطيني وبدأ الانتداب الانجليزي لفلسطين، وبعد ذلك كون الانجليزية لغة عالمية، وتأثيرها على

العالم سواء اقتصاديا، علميا أو تكنولوجيا.

دخلت العبرية القاموس الفلسطيني في إسرائيل بقوة كبيرة كونها اللغة المهيمنة على المجالات العامة، ووضعية أغلبية يهودية وأقلية عربية ضعيفة تعتمد على الأغلبية اقتصاديا.

في الفصول القادمة سنناقش هذه القضايا بإسهاب. فالفصلان الرابع والخامس يطرحان قضية مكانة اللغة العربية في إسرائيل، ومميزات العربية الفلسطينية. أما الفصول من السادس إلى الثامن فهي تطرح هيمنة اللغة العبرية في إسرائيل وتأثيرها على اللغة العربية.

الباب الثاني:

سياقات وخصوصية اللغة
العربية في إسرائيل

الفصل الرابع
مكانة اللغة العربية
في إسرائيل



4.1 الوضع اللغوي في إسرائيل

تتميز إسرائيل كونها دولة تضم عددا كبيرا من اللغات. يورد كتاب الـ Ethnologue 36 لغة متواجدة في إسرائيل، منها 33 لغة حية و3 لغات ميتة، يرجع ذلك لأن إسرائيل دولة قائمة على الهجرة، الأمر الذي يعلل جزئيا سبب هذا التنوع اللغوي. اللغتان العربية والعبرية هما اللغتان الرسميتان في الدولة. حيث يقدر وجود حوالي أربعة ملايين ونصف المليون إسرائيلي يتمتعون بكفاءة وظيفية باللغة العبرية، مقابل مليوني إسرائيلي (من العرب واليهود) يتمتعون بكفاءة وظيفية في اللغة العربية (Spolsky & Shohamy, 1999). إن العبرية هي اللغة الأكثر سيادة وحضورا في كافة المجالات الحياتية في إسرائيل، يتم تعلمها كلغة أم في معظم المدارس اليهودية (باستثناء بعض مدارس المتشددين دينيا من اليهود والتي يتم التدريس فيها بالايديش) في جميع مراحل التعليم. كما يتعلم العرب اللغة العبرية كلغة ثانية بدءاً من الصف الثالث وحتى الثاني عشر، وعلينا ألا نغفل بأن العبرية المعاصرة هي لغة اليهود القومية.

بما أن دولة إسرائيل هي دولة قائمة على الهجرة كما اشرنا أعلاه فإن اللهجات العبرية فيها منوطة بأصل الوالدين، وليس بالمناطق الجغرافية التي يقطنان بها. الإسرائيليون الذين هاجروا من الدول العربية في خمسينيات القرن الماضي كانوا يتحدثون العبرية الشرقية، أما اليوم فقد تحول العديد من اليهود الشرقيين من أبناء الجيل الثاني والثالث للتكلم باللهجة الاشكنازية (اليهودية الغربية)، والعبرية

الشرقية تكاد تختفي إضافة لكونها موصومة اجتماعيا.

اللغة العربية هي لغة الأم واللغة القومية الأساسية لأكثر من مليون عربي، مواطني الدولة. كما أن العربية هي لغة طائفية يتحدثها آلاف اليهود الشرقيين. وتعتبر العربية اليوم لغة أقلية في إسرائيل، وهي لغة معترف بها قانونيا كلغة رسمية ثانية. يتعلم الطلاب العرب اللغة العربية كلغة أم في جميع المدارس العربية في إسرائيل بدءاً من الصف الأول وحتى الثاني عشر، كما يتم تدريسها في عدد من كليات تأهيل المعلمين، إضافة إلى أن عشرات الآلاف من الأطفال اليهود يتعلمون العربية كلغة أجنبية (انظروا أمانة 2002، أمانة ومرعي 2002).

بالمقابل فإنّ الانجليزية تعتبر اللغة الأكثر شيوعاً كلغة أجنبية في إسرائيل. فهي تستخدم على صعيد الحياة العامة والخاصة (كالتعليم العالي، ووسائل الاتصال الالكترونية، لافتات الشوارع، ولافتات المتاجر). كما تنشر قوانين الدولة، وان بعد مرور وقت، في ترجمة انجليزية. نشير بأنّ الانجليزية هي موضوع تعليم إلزامي بدءاً من الصف الرابع فصاعداً. والانجليزية هي لغة الأم لأكثر من مائة ألف إسرائيلي. يتم تعلّم اللغة الفرنسية كلغة أجنبية ثانية (موضوع اختياري) بدءاً من الصف الخامس وحتى الثاني عشر. ويمكن تعلّم الفرنسية بدلا من العربية (في المدارس اليهودية). يتم تعلّم الفرنسية في إسرائيل نظراً لمكانتها الخاصة في العالم لأسباب تاريخية، ثقافية، اجتماعية، تجارية وسياسية.

لا تزال الهجرة اليهودية تؤثر على المشهد اللغوي في إسرائيل. إذ لا يزال اليهود الذين هاجروا إلى البلاد في السنوات الأخيرة، خاصة المليون مهاجر روسي والـ 75.000 مهاجر إثيوبي، يستخدمون لغاتهم الأصلية في بيوتهم وفي أحيائهم السكنية. يقترح جهاز التعليم اللغة الروسية كلغة اختيارية على المهاجرين اليهود الجدد. لا شك أنّ معظم المهاجرين القدامى لا يزالون يحافظون على لغاتهم (كالبولندية، الرومانية، الفرنسية، الألمانية، العربية والتركية) في ظروف محددة في بيوتهم وفي أوضاع محددة في مجتمعاتهم الطائفية الأصلية. اللغات اليهودية العديدة التي تنامت في الشتات (كاليهودية الاسبانية، الايديش، والعربية - اليهودية) تجد نفسها تتراجع أمام اللغة الرسمية - العبرية. عدا الايديش، والتي لا يزال يستعملها بعض المتشدددين دينيا من اليهود، فان لغات اليهود آخذة في الانقراض في إسرائيل.

الأفراد غير الإسرائيليين - كالسياح والعمال الأجانب (كالتايلانديين، الصينيين، الفيليبينيين والرومانيين) - يستخدمون لغاتهم عندما يتعذر عليهم استخدام اللغة العبرية؛ وبعضهم يلجأ إلى الإنجليزية كلغة بديلة. وقد ظهر نوع جديد من العبرية يسمى العبرية البسيطة (pidginized Hebrew) الآخذة في التطور بين العمال الأجانب (Elhanan- Granik, 2001).

4.2 مكانة اللغة العربية في إسرائيل: التفاعل بين القانون والمجتمع

إن المكانة الرسمية للعربية في إسرائيل بعيدة عن الوضوح. حين يتكلم الباحثون عن مكانة العربية، فإنهم يتطرقون في معظم الأحيان إلى المادة 82 من المرسوم الملكي في مجلس الحكم من سنة 1922 (لانداو 1987، كوفلفيتش 1992، سبولسكي 1994، سبولسكي وشوهامي 1999 أ، 1999 ب). ومهما يكن الأمر، فإن الاعتماد على تلك المادة من العام 1922 لا تسهم بما فيه الكفاية في توضيح وفهم المكانة الحقيقية للغة العربية في إسرائيل. إضافة لذلك فإننا نحتاج إلى دراسة مصادر التأثير المختلفة حول قانونيتها في المجال العام (مثل المحكمة العليا، المستشار القانوني للدولة، القوانين الأساسية في إسرائيل مثل "كرامة الإنسان"). إن وضع اللغة له أهمية خاصة في إسرائيل، لأنه، وحسب معرفتي، فإن إسرائيل هي من الدول القومية الإثنية القليلة التي تتمتع فيها لغة الأقلية بمكانة رسمية. إن التعريف والفهم لإسرائيل على أنها دولة قومية اثنية، وإن اليهود هم القومية الوحيدة المعترف بها قانونياً. أما العرب فإنهم أقليات دينية من الناحية القانونية، وليسوا أقلية قومية. وحول الحقوق الممنوحة للعرب فهي بمثابة حقوق على المستوى الفردي بدلا من أن تكون على المستوى الجماعي (أنظر سموحا، 1999). إن وجهة نظري تتلخص بأن المكانة المعيارية للعربية كأحدى اللغتين الرسميتين للدولة، تمثل أعظم حق جماعي بعيد المدى يُعطى لأقلية حسب القانون في إسرائيل.

في هذا الفصل أطمح إلى إلقاء الضوء على رسمية اللغة العربية في إسرائيل، من خلال التركيز على سؤالين رئيسيين:

ما المعاني المختلفة والأبعاد للمكانة الرسمية للعربية في إسرائيل؟

هل بالإمكان تغيير مكانة اللغة العربية الاجتماعية - السياسية من خلال الجهاز القضائي؟

في هذا الفصل، سأقوم بفحص مكانة اللغة العربية في إسرائيل، وإمكانية تغيير مكانتها الاجتماعية - السياسية من خلال الجهاز القضائي (للتفاصيل، أنظر سبان وأمارة 2002، 2004).

لو أمعنا النظر في مكانة اللغة العربية القانونية، لتبين لنا أن الفجوة القائمة بين مكانتها القانونية ومكانتها الاجتماعية - السياسية اقل بقليل مما يتبادر إلى الذهن للوهلة الأولى. فالقضاء الإسرائيلي لم يضع هيكلية شاملة "لثنائية لغوية" رسمية، صحيح انه يمنح اللغة العربية أبعادا هامة جدا بوصفها "لغة رسمية"، لكن من المرجح انه لا يمنحها مكانة كاملة وشاملة.

حتى وان كانت الفجوة بين مكانة اللغة العربية القانونية ومكانتها الفعلية اقل بقليل مما يتم ادعاؤه أحيانا، فإنها تبقى فجوة كبيرة. هذه الفجوة هي في أساسها حصيلة فجوات صارخة في قوة ونفوذ المجموعتين اللغويتين في إسرائيل، وتصميم مجموعة الأكثرية اللغوية على توظيف هذه الفجوات على نحو معين. وقد رسّخت هذه الفجوات التبعية الاقتصادية، سوق العمل "العبري"، قوة التأثير الثقافي والممارسة السياسية، الأمر الذي دفع أفراد الأقلية القومية لتبني ثنائية اللغة. بالمقابل فإن الواقع لا يفتح "شهية" مجموعة الأكثرية لتبني ثنائية اللغة. وبالتالي فقد تبلورت ثنائية لغوية أحادية الاتجاه، من قبل الأقلية وحدها. الممارسة السياسية الأساسية هي التي دفعت الأقلية إلى تبني الثنائية اللغوية، وهي قائمة أساسا على الاعتماد الكلي على اللغة العبرية في الهيئات السلطوية في إسرائيل (عدا السلطات المحلية العربية).

الأمر الآخر الذي أغلق دائرة التغييرات التي ساهمت في بناء الفجوة بين مكانة اللغة العربية الاجتماعية - السياسية ومكانتها القانونية، هو حقيقة عدم مواجهة الممارسة السلطوية أحادية اللغة الأنفة، على امتداد عدة عقود، لأية تحديات، سواء كان ذلك من قبل الأقلية القومية أو من قبل جهات أخرى في المجتمع المدني في إسرائيل. على الرغم من أن هذه الممارسة غالبا ما كانت تتناقض تناقضا صارخا مع مكانة اللغة العربية القانونية. إن انعدام التحدي القانوني مرتبط بالعديد من العوامل، منها، أولا: - تأخر ظهور المنظمات القضائية بقيادة عربية، فهذه المنظمات هي التي تتبنى أجندة تحويلية للمجتمع الإسرائيلي. ثانيا: - تخوف الأقلية على مدار سنوات طويلة من الصدام المباشر مع صبغة الدولة كدولة قومية

- عرقية. ولهذا التخوف مسوغاته، فجزء كبير من مكانة اللغة العربية القانونية غير محمي دستوريا؛ وبالتالي فإن النسق المعياري الخاص باللغات قابل للتغيير بسهولة نسبيا، إذا اعتبر انه يشكل خطرا على "بديهيات" مجموعة الأكثرية. على الرغم من ذلك فقد طرأ تغيير محدود في السنوات الأخيرة على هذا الوضع. فمنذ النصف الثاني من سنوات التسعينيات تحاول منظمات حقوق الإنسان - بحذر شديد - استغلال مكانة اللغة العربية القانونية لإحداث تغيير على مكانتها الاجتماعية - السياسية. وقد حقق هذا الأمر نجاحات لا يستهان بها في قرارات المحكمة العليا، وفي عمليات سن القوانين الفرعية في الوزارات الحكومية وفي توجيهات المستشار القضائي للحكومة.

من جهة أخرى هناك ادعاء وجيه، أختتم به هذا النقاش، بان "الرافعة" القانونية في إسرائيل (حتى وان لم يتم "قص أجنحتها" لاحقا من قبل مجموعة الأكثرية) تملك هوامش قوة ضيقة لإحداث تغيير في الواقع اللغوي. ولن يكون بالإمكان إحداث أي تغيير جذري على مكانة اللغة العربية الاجتماعية - السياسية في الإطار القضائي والسياسي الحالي في إسرائيل.

عند الإسهاب في النقاش يتوجب علينا الإلمام في النص القانوني المعياري الرئيسي الذي تبني عليه مكانة اللغة العربية في إسرائيل - أي البند 82 من المرسوم الملكي في مجلس الحكم 1922. والحديث هنا عن تشريع من عهد الانتداب، تم تبنيه كجزء من القانون الإسرائيلي عند قيام الدولة عام 1948. فتحت العنوان الفرعي "اللغات الرسمية" ينص البند 82 على ما يلي:

جميع الأوامر، الإعلانات الرسمية والنماذج الرسمية التابعة للحكومة، وجميع الإعلانات الرسمية التابعة للسلطات المحلية والبلديات في المناطق التي سيتم تحليدها بناء على أمر المندوب السامي، سوف تنشر بالانجليزية، بالعربية وبالعبرية. سيتسنى في جميع الأنظمة التي سيضعها المندوب السامي توظيف اللغات الثلاث في الوزارات الحكومية وفي المحاكم.

وقد تبني أمر تدابير السلطة والقضاء، 1948 - وهو التشريع الذي ينص على التدابير الأولية في الدولة - جميع التشريعات الانتدابية التي كانت سارية المفعول عام 1948، كجزء من القانون الإسرائيلي، مع إدخال بعض الإلغاءات التشريعية

الطفيفة هنا وهناك. وكان احد هذه الإلغاءات هو المادة 15 (ب) لأمر تدابير السلطة والقضاء، والذي يلغي جميع التعليمات القانونية الملزمة باستخدام اللغة الانجليزية. هذه الخطوة عبّرت عن تصميم المشرع الإسرائيلي على عدم المس بمكانة اللغة العربية ك "لغة رسمية" (كريتشمير، 2002 ; Tabory, 1981).

وقد أصبح الآن البند 82 تشريعا "عاديا"، يتمتع بنفس المكانة المعيارية كأى تشريع رئيسي (التشريع في الكنيست). من هنا فان تحليل مكانة اللغة العربية القانونية يركز - بقدر كبير - على شرح ودلالة البند 82 من المرسوم الملكي. وهنا يتبادر إلى أذهاننا للوهلة الأولى بان الأقلية تملك، بموجب القانون - أكثر من مجرد حرية استخدام لغتها. حيث كان الهدف من هذا التدبير هو تشكيل إطار تتواجد فيه "لغتان رسميتان"، ويفرض على السلطة واجب تنفيذه، أي انه ليس (مجرد) واجب الحماية أو الامتناع عن عرقلة حرية الأقلية - إنما واجب استخدام اللغة العربية.

ماذا يمكن أن نستدل من ذلك بالنسبة لمكانة اللغة العربية في دولة إسرائيل؟ لا تزال دولة إسرائيل والمجتمع الإسرائيلي برمته بعيدين كل البعد عن ثنائية اللغة الفعلية. مكانة اللغة العربية ك "لغة رسمية" الممنوحة لها في القانون الإسرائيلي لا تزال فارغة من أي محتوى - لحد كبير- من الناحية العملية في الحياة العامة. فاللغة العبرية، في حقيقة الأمر، هي اللغة الحصرية المتداولة على الصعيد الاجتماعي العام، وهي اللغة التي "تحدثها" الأغلبية في إسرائيل في جزء كبير جدا من الحيز العام، وهي لغة البيروقراطية السلطوية، لغة التعليم الأكاديمي، لغة الغالبية العظمى من وسائل الإعلام الالكترونية العامة في إسرائيل، ولغة معظم سوق العمل. فالدلالة الأساسية لمكانة اللغة العربية تتجلى خارج صعيد المجتمع العام في إسرائيل، حيث تبرز من خلال آلية الدفاع عن الحياة الداخلية التي تعيشها الأقلية فيها: أساسا قدرة أطفالها على التعلم بلغتهم.

يظهر استمرار تراجع مكانة اللغة العربية في أبعاد أخرى متنوعة. سنكتفي هنا بتفصيل مقتضب لبعدين منها. الأول، موقف الطلاب العرب من تعليم اللغة العربية، كما يظهر من خلال تقدمهم لامتحانات البجروت (اجتياز المرحلة الثانوية) في اللغة العربية وآدابها. هذا الامتحان بالمستوى الأساسي 3 وحدات تعليم هو إلزامي في المدارس العربية، أما التعليم الموسّع 4 أو 5 وحدات في اللغة العربية فلا يختاره غير قلة من الطلاب (تراوحت نسبهم من خمس إلى ثلث الطلاب

خلال العقد الماضي (Amara & Mari, 2002). أما الأمر الثاني فهو "المشهد اللغوي" في المدن والقرى العربية نفسها كما سنين لاحقاً بالتفصيل. وقد تبين أن اللغة العبرية حاضرة كلياً في اللافتات المحلية، بما فيها اللافتات التي تزدان بها المصالح التجارية المحلية. أكثر من نصف اللافتات تضمنت مفردات عبرية، وظهرت اللغة العبرية في أكثر من ثلث اللافتات كلغة أولى (Ben-Rafael, Shohamy, 2006, 2004 - Amara & Trumper - Hecht). وبإيجاز لم يطرأ أي تغيير على مكانة اللغة العبرية الحقيقية (الاجتماعية - السياسية) في إسرائيل.

ورغم ذلك يبقى سؤال هام له علاقة بالقانون والمجتمع: ألم يكن بالإمكان توظيف القانون الإسرائيلي، والأدوات القانونية بفاعلية أكبر؟، وإدخال تغيير اجتماعي لغوي - بواسطتها - أكثر عمقا مما تحقق حتى الآن؟ نقول بهذا الصدد بأن هذا الأمر قد تعذر للأسباب التالية:

1. إذا كان الهدف هو توطيد دعائم "ثنائية اللغة" الحقيقية، فإن هذا يعني قدرة الأقلية الفعلية على استخدام لغتها في الحياة العامة وفي الحياة اليومية على حد سواء. حتى وإن افترضنا أن هذه الأقلية قد تمكنت من فرض مكانة اللغة العبرية كـ "لغة رسمية" بالكامل، بل لنفترض أن هذه المكانة ستحظى بكافة الجوانب المترتبة على هذا الأمر - فإن هذا الانجاز لن يتحقق إلا على صعيد الحياة العامة أساساً. صحيح أن اللغة السلطوية تعتبر شريكة في الممارسات اللغوية التي يتبناها أفراد المجتمع، لكن يبقى تأثيرها محدوداً، بل وحتى هامشياً، بالموازنة مع عوامل أخرى، كسوق العمل ولغته. فحياة الأفراد اليومية تدور إلى حد كبير في ظل اللغة التي يعملون بها، أو من المتوقع أن يعملوا بها. وليس هناك أي تدبير قانوني يتناول لغة العمل و"اللغات الرسمية" في الدولة، كذلك - كما سيتبين لنا لاحقاً - من الصعب جداً اتخاذ تدابير قانونية انفرادية تجاه هذه اللغة.

إن العامل الرئيسي الذي يؤثر في الواقع الاجتماعي في إسرائيل، هو تبعية أفراد الأقلية لسوق العمل الذي يتبنى اللغة العبرية بشكل شبه تام. صحيح أنه بإمكان القانون أن يؤثر على مدى عمق هذه التبعية، لكن تبقى قدرته على إحداث تغييرات جذرية على مبنى القاعدة الاقتصادية الاجتماعية محدودة. إضافة إلى ذلك فإن هنالك ظروفاً جيو-سياسية محددة، والتي من غير المتوقع أن يطرأ عليها أي تغيير على المدى القريب، لا تفتح حالياً آفاق التعاون على نطاق واسع - من الناحيتين الاقتصادية والسياسية - مع العالم العربي، أمام الأقلية

- العربية الفلسطينية. من هنا فإن نطاق التبعية لـ "السوق العبرية" تبقى كما هي.
2. لا تملك الأقلية العربية- الفلسطينية أية سلطة سياسية على منطقة نفوذ وسيادة شبيهة بالدولة - بل أنها لا تملك حتى الاوتونوميا (حكم ذاتي) في المجالات الثقافية، ونظرا للافتقار إلى "رافعة" تغيير تتيح تغيير الواقعين السياسي والاقتصادي، من الصعب معرفة كيف يمكن تغيير ميزان القوى (والتبعية)، الذي ترجح كفته في الوقت الحالي لصالح اللغة العبرية بشكل صارخ.
3. لو افترضنا متنبئين بتحقق واقع ثنائي اللغة في إسرائيل، فعلينا أولاً أن نتبنى ثنائية القومية. وهذا الأمر لا يلوح في الأفق أبداً. زيادة على ذلك فإن استمرار الصراع الفلسطيني الإسرائيلي يلقي ظلالاً ثقيلة حتى على خيارات تغيير على نطاق أضيق (سبان، 1999 : 97-99).
4. على الرغم من ذلك ألا يمكن أن نتحدى بقدر أكبر هذا التنافر القائم بين الوعود المستشفة من البند 82 والقانون الأساسي: كرامة الإنسان وحرته والواقع الاجتماعي والسياسي للغة العربية في إسرائيل؟ يمكن الرد بالإيجاب على هذا السؤال بخلاف ثنائية القومية السابقة، لكن تبقى له حدود واضحة.
- فمن جهة من المتوقع أن يؤدي نشاط المجتمع المدني، أساسا المجتمع المدني العربي- الفلسطيني، إلى إحداث تغييرات متزايدة أخرى على مكانة اللغة العربية. فقد تم تحقيق إنجازات قانونية هامة كما تقدم (للمزيد من المعلومات انظروا : عدالة، 2000: 32-38). ومن جهة أخرى، فإن جزءاً كبيراً من مكانة اللغة العربية القانونية غير محمي بقدر كاف. إذ لم يتضح حتى الآن مدى حماية المداميك الدستورية في إسرائيل لمكانة اللغة العربية كـ "لغة رسمية"، كما أن إدخال تغييرات دستورية في إسرائيل يعتبر أمراً مهماً بوجه خاص مقارنة بالدول الأخرى (سبان، 2002 : 296 -7). الأمر الذي يجعلنا أكثر حذراً: فقد تتغير مكانة اللغة العربية القانونية - للأسوأ - بسهولة نسبياً إذا اعتُبرت مهددة لـ "بديهيّات" مجموعة الأكثرية اليهودية (انظر حيدر، 2008).

هذه الأمور تجعلنا نتوصل لاستنتاجات محتملة حول التفاعل بين القانون والواقع الاجتماعي. هذه الاستنتاجات تتعلق بكيفية تبلور التغييرات الاجتماعية الجذرية

- وبالنسبة لنا فإن المقصود هو كيفية التحول إلى ثنائية اللغة الحقيقية.

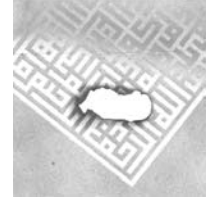
تستدعي ثنائية اللغة الحقيقية توفر معطيات هيكلية محددة. ودون أن نحدد بشكل قاطع، هل المقصود بهذه المعطيات توفر شروط ضرورية؟ أم أنها مجرد "شروط مُرضية" (favorable conditions)، فإننا نعني هنا أساسا الشرطين التاليين: تسيير سوق العمل (والذي غالبا ما يكون منقسما) باللغتين، وثقافة سياسية تدعم، أو على الأقل تتحمّل، وجود نظام حكم ثنائي القومية (أو مدني متعدد الثقافات)، بكل ما يترتب على هذا الأمر على الصعيدين الرمزي والاقتصادي. عند مقارنة الوضع في كندا فإن سوق العمل ثنائي اللغة يستدعي، من جهته، توفر مقومات إدارة مجموعة الأقلية لشؤونها الخاصة بنفسها على نطاق واسع جدا، وثنائية اللغة على صعيد الدولة تستدعي - من جهتها - نمط علاقات بين المجموعات ثنائي القومي أو مدني متعدد الثقافات. بعبارة أخرى فإن التشريع الذي ينص على أن لغة الأقلية هي إحدى "اللغات الرسمية" - حتى وإن تم فرضه جيدا - لا يشكل غير جزء بسيط من مجمل التغييرات التي من المفروض بالمجتمع أن يمر بها (أو يحققها) قبل أن تتحقق فيه ثنائية اللغة الحقيقية.

وإجمالا لما أشرنا إليه، رغم التعريف "الضبابي" للغة العربية على أنها لغة رسمية بالاسم، وستبقى كذلك بدون تغيير يُذكر لسنوات طوال، لأن العوامل الأساسية التي ذكرناها سابقا لن تتغير في السنين القادمة كون إسرائيل دولة اثنوقراطية، حيث أن هنالك إجماعاً وطنياً إسرائيلياً كبيراً، بصدد المحافظة على الهيمنة اليهودية، وبسبب ضعف الأقلية العربية وعدم استطاعتها القيام بعملية اختراق للدولة الإثنية لا بالوسائل السلمية ولا غير السلمية. فضعف العربية في الحيز العام، هو نتيجة لضعف ناطقيها خارج إسرائيل وداخلها.

الباب الثاني:

سياقات وخصوصية اللغة
العربية في إسرائيل

الفصل الخامس
سمات العربية الفلسطينية
في إسرائيل



5.1 العربية الفلسطينية في إسرائيل

تُعتبر العربية لغة الأم واللغة القومية للعرب في إسرائيل، الذين يشكلون قرابة خمس سكان الدولة. وفي أواخر فترة الانتداب البريطاني في فلسطين، قررت لجنة التعليم لدولة إسرائيل أن تكون لغة التدريس، في مدارس الدولة الجديدة، اللغة الأم لأغلبية التلاميذ في كل مدرسة (سبولسكي وشوهامي، 1999: 108). بناء على ذلك، استمرت جميع المدارس العربية بتدريس اللغة العربية بعد عام 1948 في جميع المراحل وحتى نهاية المدرسة الثانوية.

تعتبر العربية، أيضاً، لغة التعليم في مؤسسات إعداد المعلمين العرب، كالقسم العربي في كلية "كي" في بئر السبع، معهد إعداد المعلمين في كلية بيت بيرل، كلية التربية في حيفا، أكاديمية القاسمي في باقة الغربية، كلية سخنين، القسم العربي للتعليم الخاص في كلية دافيد يلين في القدس، وفي القسم العربي للتعليم في كلية "أحفا". ويعتقد لاندو (1993: 48) أن الهدف من اتخاذ هذا القرار هو أن "تكون الثقافة العربية مركزية في أهميتها البحثية، ولتساعد العرب في الحفاظ على قيمهم الدينية والتاريخية والأدبية".

وفي داخل المجتمع العربي في إسرائيل، تستعمل اللغة العربية في المجالات التالية وتشكل مع الحيز اللغوي في المجتمع: البيت، المدرسة، الحياة اليومية،

التجارة وفي الصحافة. إنها لغة الاتصال اليومي في أماكن العمل، رغم هيمنة الكثير من المفردات العبرية على العربية المحكية نتيجة للاتصال اليومي المباشر مع المجتمع اليهودي وفي مؤسسات التعليم، لا سيما التعليم العالي، وفي المعاملات التجارية والمصرفية والصحية وفي الخدمات العامة.

5.1.1 هل هنالك "صيغة" فلسطينية متميزة

في إسرائيل؟

ليست بالمهمة السهلة تناول ماهية التغيرات الطارئة على لغة أو لهجة ما بشكل قاطع وحاسم. بل من الصعب محاولة نسب التميز والفرادة لها لأن المعايير ليست لغوية فحسب وإنما اجتماعية أيضا. فعلى سبيل المثال، التعرف على أن جميع اللهجات العربية هي لهجات وليس لغات - رغم وجود الفوارق الشاسعة بينها إلى حد صعوبة التفاهم بين متكلميها - غير مبني على اعتبارات لغوية فقط وإنما سياسية - دينية أيضا (العربية لغة القرآن ورمز الوحدة العربية). بالمقابل، نرى أن هنالك لغات والتقارب بينها كبير جدا ويخاطب الواحد الآخر بلغته على درجة عالية من الفهم (مثل اللغات السويدية، الفنلندية والنرويجية) ورغم ذلك لا يطلق عليها لهجات. مثال آخر هو اللغة الأردية (إحدى اللغات الرسمية واللغة القومية في باكستان) واللغة الهندية في الهند (إحدى اللغات الرسمية الهامة هناك). لو كان الاعتبار الأساسي في هذه الحالة هو المعيار اللغوي لقلنا أنهما لهجتان وليس لغتين، لأن الفوارق بينها ضئيلة جدا تتمثل بالمفردات والخط المختلف لكتابتهما. هذه الأمثلة تبين أن إطلاق مصطلح لغة أو لهجة على صيغة ما (variety - تستعمل كمصطلح أكثر حيادية بدلا من مصطلحات مثل اللغة، اللهجة، الأسلوب الخ وذلك لأن جميع هذه المصطلحات مشحونة بالعاطفية، التحيز والآراء المسبقة) ومربوط بعوامل لغوية واجتماعية. من هنا تبرز إشكالية تحديد مسألة التميز لتغيرات طارئة على اللغة.

لا شك أن الإشكاليات المطروحة سابقا ترافقنا في فحص قضية تميز الصيغة العربية الفلسطينية في إسرائيل. بماذا تتميز هذه الصيغة عن صيغ عربية أخرى؟ ما انعكاسات هذا التميز؟ هل هنالك أساس متين يُعتمد عليه، والادعاء أننا بصدد صيغة عربية-فلسطينية متطورة لها تمايزها عن باقي الصيغ العربية؟ في

هذا الفصل سأحاول بشكل أولي فحص بعض هذه الأسئلة. سأتناول ذلك اعتماداً على تأثير الصيغ العربية عليها من جهة، وتأثير اللغة العبرية والإنجليزية عليها من جهة أخرى.

5.1.2 تأثيرات من صيغ عربية أخرى

يتكلم العرب من مواطني إسرائيل العربية-الفلسطينية. إن المتكلمين بهذه اللهجة معروضون لوسائل الإعلام العربية، خصوصاً التلفاز والراديو والانترنت، التي تساهم في تقوية العربية الفصحى. فعلى مدى نصف القرن الماضي، حصل تحسن واضح على نسبة وسنوات التعليم بين الناطقين بالعربية. وإحدى التأثيرات الهامة لهذا التغيير كانت زيادة في معرفة واستخدام العربية الفصحى خصوصاً المفردات، الأصوات والعبارة. عملياً تم استبدال عدد كبير من الكلمات من العربية الفصحى وأصبحت هذه الكلمات شائعة في اللهجة المحلية. كذلك تأثير الصوت (\ك\، \k\، \č\، \q\، \ق\، \أ\، \ك\، \چ\، \a\، \k\، \g\). وقد كان للعربية الفصحى الحديثة تأثير حتى على أولئك من ذوي المستوى المتدني في التعليم. ولقد دخلت مظاهر من اللهجات العربية غير الفلسطينية (بشكل رئيسي بواسطة التلفاز) إلى اللهجة المحلية. وقد كان هنالك أيضاً تأثير هام من اللغة الإنجليزية واللغة العبرية (أمانة، 1986؛ كوبلوفيتش، 1992). (Koplewitz 1992).

رغم أننا نستطيع أن نتحدث عن لهجة فلسطينية واحدة في إسرائيل، إلا أن هناك فروقاً لغوية متواضعة (سواء كان ذلك بالأصوات، بالمفردات أو بالقواعد) حسب الموقع الجغرافي: الجليل، المثلث والنقب. لغة المدينة محكية في العديد من البلدات في الجليل والمدن المختلطة وسمتها البارزة \أ\، لغة المثلث معروفة باللغة الفلاحية وسمتها الصوت \تش\، والنقب معروف بلغته البدوية وسمتها الواضحة الصوت \چ\، الأمثلة واردة للتوضيح وليس للحصر.

كان لغة المدينة الأثر الواضح على اللهجة الفلاحية والبدوية، فدخلت بعض المظاهر المدنية ذات المكانة العالية إلى لغة القرية الفلسطينية والعشائر البدوية

في إسرائيل. وبالإضافة إلى التغيرات الثقافية والاقتصادية التي حصلت لدى القرويين والبدو، فقد كانت هنالك بالطبع تغييرات في تركيبة المجتمع العربي نفسه. إن القرويين والبدو والأوائل الذين أنهوا التعليم الثانوي في المدن القريبة من قراهم وأماكن سكنهم، أحضروا معهم قيماً ثقافية جديدة وأنماطاً سلوكية جديدة تم قبولها بدون تردد من قبل السكان كمؤشرات للمكانة العالية للغة المدينة. إن بعض هذه الأنماط هي لغوية، سواء كان ذلك في الأصوات مثل استعارة الصوت \أ\ بدلاً من الأصوات \ك\، أو \چ\ استخدام الصوت /ك/ بدلاً من الصوت القروي أو البدوي \تش\ أو بالمفردات (أمارة، 1986).

وبالإضافة إلى التعليم، فقد لعبت التجارة دوراً هاماً. وغالباً سافر القرويون والبدو إلى المدينة لكي يبتاعوا الأشياء التي لم تكن متوفرة في أماكن سكنهم. إن مصادرة الأراضي للفلسطينيين في إسرائيل بعد عام 1948 وهبوط مكانة الزراعة كثفت من الاتصال الخارجي. وقد سافر الكثير من القرويين والبدو للعمل في المدن المجاورة ومكث عدد لا بأس به منهم بعيداً عن البيت لمدة أسبوع أو أسبوعين. وكان هنالك أيضاً زواج متداخل من نساء مدنيات.¹

وفي الماضي كان الاتصال الوحيد مع اللهجات الفلسطينية الأخرى من خلال التجارة، وبشكل شامل من قبل التجار، وبصورة محدودة جداً بواسطة النشاطات الاجتماعية. واليوم يوجد اتصال يومي مكثف بين المدنيين من جهة والقرويين والبدو من جهة أخرى، في مجالات التعليم والتجارة والنشاطات الاجتماعية. فضلاً عن الفضائيات التي أدخلت جميع اللهجات العربية إلى كل بيت.

الصيغة المدنية الفلسطينية في إسرائيل لم تتأثر بالصيغ الفلسطينية الأخرى بشكل ملحوظ، سواء من البدوية أو القروية. التأثير على صيغة المدينة كان من الفصحى كما بينا ذلك سابقاً، واللهجات العربية الأخرى كما سنين لاحقاً.

1 في دراسة قام بها محمد أمارة في قرية زلفه (أمارة، 1985) وجد بأنه في العقود الأربع الماضية تزوجت ثلاثون امرأة مدنية من قرويين وقدمن للعيش في القرية التي كان عدد سكانها 2000 نسمة فقط آنذاك. ولم تتخل معظم النساء عن لهجتهم المدنية بسبب مقامها العالي ومكانتها. نتيجة لذلك فقد تبنى أطفال هذه العائلات لهجة أمهاتهم حتى سن 4-5 سنوات. وعندما أصبح أطفال هذا الزواج المتداخل بالغين، فقد مال الأبناء إلى تبني لغة القرية مع بقايا لهجة أمهاتهم ومالت البنات إلى استخدام لهجة أمهاتهم جزئياً أو كلياً. إن أكثر الحقائق أهمية حول هذا الزواج هي أن النساء أحضرن مظاهر لغوية جديدة من لهجاتهم المدنية، خصوصاً في الأصوات والصرف بالرغم من حقيقة كون تأثيرهن يعتبر محدوداً بسبب عددهن القليل بالمقارنة مع عدد سكان القرية.

تتأثر العربية الفلسطينية بالصيغ الأخرى، سواء كانت الفصحى، الفلسطينية أو العربية، واستعارة مزايا لغوية منها لا يعطيها صفات خاصة لأن هذا الوضع قائم حقيقة في معظم الصيغ العربية.

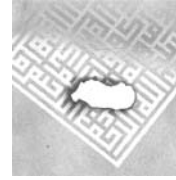
إذا أين يبرز التميز؟ الاستعارة المعتدلة من الإنجليزية ليس الشيء المميز لأن ذلك أيضا يعتبر مماثلا في دول عربية أخرى. التميز هنا في استعارة الكثير من الكلمات الإنجليزية عن طريق اللغة العبرية. لكن التأثير الواضح على الصيغة الفلسطينية آت من العبرية. فالاستعارة منها مكثفة في كل مجالات الحياة ومن قبل جميع الفلسطينيين في الداخل وان كان ذلك بنسب غير متساوية.

العربية تتأثر أيضا من اللغات الأجنبية، والتأثير الأكبر يأتي من العبرية. ففي الفصول القادمة سنبين هذه التأثيرات كجزء من هيمنة العبرية، وإسقاطاتها على اللغة العربية وناطقها.

الباب الثالث:

العربية في ظل هيمنة العبرية

الفصل السادس
العربية لغة مهيمنة
في إسرائيل



6.1 مقدمة

في هذا الفصل والفصلين القادمين سأتناول هيمنة العبرية (ما اسميه العبرنة) بإسهاب ومن جوانب مختلفة لما لها من تداعيات على اللغة العربية وحيويتها والوظائف التي تقوم بها. سنرى لاحقاً أن العبرنة لم تنجح بين اليهود فقط، وإنما سببنا أنها أثرت كثيراً على المخزون اللغوي العربي الفلسطيني في إسرائيل. لقد ارتكز المشروع الصهيوني على ركائز عديدة منها: إحصار اليهود إلى فلسطين أي نفي المنفى كما جاء في الخطاب الصهيوني، العمل العبري، الاستيطان وإحياء اللغة العبرية وجعلها لغة التواصل الوحيدة بين اليهود على اختلاف مللهم. لقد ربطت الحركة الصهيونية هويتها باللغة العبرية (سيولسكي، 1996: 181)، وأن المنحى الأيديولوجي الذي انتهجته هو خلق هوية جديدة لليهودي الإسرائيلي، هذه الهوية تختلف كلياً عن هوية اليهودي في الخارج وسميت بهوية الشتات. وحول العلاقة الوثيقة بين الصهيونية واللغة العبرية تقول شوهامي (1995: 250):

من الناحية الأيديولوجية تلعب اللغة العبرية دوراً مركزياً في دولة إسرائيل نتيجة صلتها بالصهيونية، وهي الحركة التي عملت على عودة اليهود إلى وطنهم، ودأبت على بناء أمة جديدة ومستقلة. لقد نشطت عند عودة اليهود إلى أرض إسرائيل، حركة إحياء اللغة العبرية. ونعني تحويلها من لغة مكتوبة تستخدم للصلاة، إلى لغة محكية تستخدم في جميع المجالات الحياتية، والتي لعبت دوراً مركزياً في بناء الأمة الجديدة.

اتخذت الحركة الصهيونية عدة طرق لتعزيز مكانة اللغة العبرية في المجتمع اليهودي قبل قيام الدولة وبعدها، وبالمقابل عملت بقوة على تهميش وطمس معالم اللغة العربية بعد قيامها، كما سنوضح هذه المسألة في هذا الفصل والفصول اللاحقة. إن الانتداب البريطاني منح اليهود مكانة خاصة في فلسطين، ودأب اليهود الذين قدموا إلى فلسطين على تعزيز العبرية واستخدامها فيما بينهم. فعملية إحياء العبرية ارتبطت ببناء هوية اليهودي الجديد. لكن تحول العبرية إلى لغة قوية، كان بالإمكان بعد أن سيطر اليهود على الأرض، وأقاموا دولة إسرائيل. فبهذا بدأوا يشكلون الفضاء الجديد، والذي كانت فيه العربية الحاضر الأقوى، وأصبحت العبرية اللغة المهيمنة.

أرست الحكومات الإسرائيلية المتعاقبة دعائم اللغة العبرية في الدولة، وقد تقبلها المهاجرون الجدد "كلغة وطنهم وكلغتهم الأم في عملية اتخاذ هويتهم الجديدة كيهود إسرائيليين" (سبولسكي وشوهامي، 1999: 83). فقيام دولة إسرائيل كان منعطفًا مهما في إعلاء شأن اللغة العبرية، وفرض سيادتها في الحياة اليومية والمدارس والقضاء والجيش والعلوم التقنية الحديثة وغيرها. كما وأن التطور اللغوي واكب التغيرات التي نجمت عن الواقع السياسي الاجتماعي، وبكلمات أخرى أن الأحداث اليومية الديناميكية الخاصة التي تميّز دولة إسرائيل، ولدت مفردات كثيرة أصبحت جزءاً من المعجم اللغوي، وعملت الدولة على ترسيخ العبرية في الأطر الآتية:

6.1.1 بناء هوية اليهودي - الإسرائيلي

اتبع صنّاع القرار سياسة "بوتقة الصهر" والتي استهدفت توحيد الأمة اليهودية على مختلف انتماءاتها العرقية وتحويلها إلى "يهود إسرائيليين". لعبت العبرية الدور الرئيسي في تنفيذ هذه الايدولوجيا، حيث استخدمت كلغة الاتصال الأساسية بين أبناء الطوائف المختلفة. وأصبحت اللغة العبرية الرمز الرئيسي، بل الناقل لهوية قومية جديدة، بينما تم تهميش الهويات القديمة التي أحضرها المهاجرون الجدد اليهود إلى فلسطين من الشتات، وكذلك تم تهميش اللغات الأم أو تركها كلياً (سبولسكي وشوهامي، 1999: 82). مارست الحكومات الإسرائيلية الضغط على المهاجرين للتخلي عن لغاتهم الأم الأصلية، واتباع سياسة "أحادية اللغة"، هذا ونظر

إلى المحافظة على اللغات الأم، وحتى اللغات الأخرى، بأنه تعبير عن الكراهية ومقاومة الهوية القومية الجديدة (شوهامي، 1994؛ سبولسكي وشوهامي، 1999؛ وانظر أمارة، 2002 : 20).

6.1.2 وضع العبرية على الأجندة القومية

بدأ التغيير اللغوي الجوهرى قبل نصف قرن من إنشاء دولة إسرائيل، وكان إحياء اللغة العبرية ودخولها في الحلبة عنصراً رئيسياً في تغيير الصورة اللغوية - الاجتماعية في فلسطين. وقد ارتبط إحياءها بالقوميين اليهود والأيديولوجيين، ومن بينهم أولئك الذين سعوا على إحياء اللغة العبرية والهوية العبرية في فلسطين. تعرف هذه الحركة اليوم باسم "الحركة الصهيونية"، وهي حركة اشتراكية إقليمية عملت من أجل بناء شخصية اليهودي الجديدة. وحسب هذا التوجه، فإن الشخص العبري الجديد سيتحدث العبرية في أرض الأجداد (هار - شاف، 1993).

في الواقع، لم يكن إحياء العبرية أمراً سهلاً أو سلساً، فقد كان عليها أن تنافس لغة اليهود المسيطرة في ذلك الوقت وهي الإيديش وأن تكافح ضدها. بدأت المعركة بين العبرية والإيديش في أوروبا (فيشمان، 1991 أ، 1991 ب) وفي فلسطين (بيلاوسكي، 1985) في القرن التاسع عشر، وخرجت العبرية من الصراع منتصرة. بوسع المرء أن يرى تطبيق هذه الأيديولوجية - العبرية في ظل ممارسات السلطات السياسية وعند الأفراد. ويرى كاتس (1995) أن في العديد من الحالات كان هدف تسمية المواقع الجغرافية، هو تعزيز هوية السكان من خلال الرموز القومية. ففي دراسة عن أسماء الشوارع في 23 مدينة، بين بار-جال (1989) أن هذه الأسماء مرتبطة بالأيديولوجية، حيث اعتمدت أسماء الآباء الصهيونيين، والأبطال العسكريين، والشعراء القوميين، والمؤلفين، والحاخامات المشهورين. ويدعي ستال (1994) أن سياسة إطلاق أسماء عبرية على المهاجرين الجدد خدم هذا المنحى الذي بدأ يتراجع منذ الثمانينيات. فحين كانت الأيديولوجية الصهيونية أقوى، عبرت الأسماء الشخصية عن المثل العليا والتطلعات مثل ايتان (القوي)، غيئولاه (الخلاص)، تحيا (الإحياء). ولاحقاً، أي بعد تأسيس الدولة، أراد الناس أن يعبروا عن تمسكهم بالأرض، فتم اختيار أسماء مثل تومر (شجرة نخيل)، فيرد (وردة) وزئيف (ذئب).

ثمة موضوع آخر جدير بالاهتمام، وهو عبرنة أسماء الأماكن. فمنذ عام 1925 وحتى إنشاء الدولة العبرية، عملت إلى جانب الصندوق القومي اليهودي "لجنة أسماء المستوطنات"، وتبنت إطلاق الأسماء على المستوطنات اليهودية الناشئة. وبعد قيام الدولة شكل دافيد بن غوريون (7 تموز، 1949) "اللجنة لتحديد الأسماء في النقب". وعكفت هذه اللجنة على إطلاق أو إعادة أسماء عبرية لأماكن كانت أسماؤها عربية لمدة قرون، والأمثلة كثيرة حول هذا الموضوع (زيف، 1998). على سبيل المثال، شاعارها-غاي (وهو ترجمة للاسم العربي "باب الواد")، ناحال بوليع (الاسم العربي "وادي الفائق")، حمات غادر (الاسم العربي "الحمة") وغيرها. كما استمرت مؤسسة أسماء المستوطنات في المناطق المحتلة بعد عام 1967، وتم إطلاق أسماء عبرية محرّفة عن الأسماء العربية في المستوطنات التي أقيمت بالقرب من القرى الفلسطينية. فمثلاً، تم بناء مستوطنة أطلق عليها اسم "عيناف" بالقرب من القرية العربية عنبتا التي تقع في الضفة الغربية، أما بالقرب من "الحفصة" فقد تم بناء مستوطنة أطلق عليها اسم "أفني حيفتس" (أنظر الفصل التاسع في هذا الكتاب الذي يتحدث باسهاب عن عبرنة الأسماء).

دأبت الحركة الصهيونية، من أجل تحقيق الحلم اليهودي، فضلاً عن أمور أخرى، على تعزيز اللغة العبرية كلغة يهودية في الدولة اليهودية.¹ ويدعي بن-رفائيل (1994) أنه في المرحلة الأولى (بعد قيام الدولة)، تم استبدال تعددية اللغات اليهودية التقليدية بأحادية اللغة العبرية لدوافع إيديولوجية. أما المرحلة الثانية، فقد حدثت في السبعينيات مع الانتشار العالمي للغة الإنجليزية، وبدأ نوع جديد من ثنائية اللغة العبرية - الإنجليزية في التطور (فيشمان، 1977).²

6.1.3 تعليم العبرية

كان تعليم العبرية للقادمين الجدد جزءاً لا يتجزأ من بناء اليهودي الجديد. فهي

1 ينص قرار مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة رقم 181 في 29 تشرين الثاني 1947 على تقسيم فلسطين وإنشاء دولتين، يهودية وعربية. ووافق اليهود على هذا القرار، ولكن الفلسطينيين رفضوه. وتبع ذلك حرب عربية - إسرائيلية عام 1948 نجم عنها هزيمة العرب. أنشأ اليهود دولتهم اليهودية التي تدعى إسرائيل على مساحة تفوق ما خصص لها في قرار الأمم المتحدة رقم 181.

2 في أروقة المحاكم عندما يتطلب الأمر تفسيرات مختلفة لقانون مصاغ في اللغات الثلاث، فإن الفقرة 32 من القانون تعطي الأفضلية للغة العبرية على اللغتين العربية والإنجليزية.

تقع في خانة "بوتقة الصهر"³، والتي شكلت أحد دعائم المشروع الصهيوني ودولة إسرائيل. فموجات الهجرات المتتالية التي ملأت البلاد بعد قيام الدولة ألزمت صنّاع القرار اتخاذ إجراءات سريعة لاستيعاب المهاجرين الجدد. وُضعت قضية تعليم العبرية في مقدمة سُلّم الأولويات كمهمة مقدسة من الدرجة الأولى. وشاركت في هذه الحملة عدة جوانب: معاهد تعليمية درّست العبرية في مساقات مكثفة، ومتطوعون علّموا العبرية في العِبَّارات (תורבות) (مساكن مؤقتة من الخشب والخيام أقيمت في إسرائيل مع قيام الدولة لاستيعاب القادمين الجدد) وفي المساكن الثابتة، وشارك في الحملة أيضاً الجيش في الثكنات العسكرية، إذ وظفت الطاقات التربوية بتصنيف الشباب إلى مجموعات وتعليمهم العبرية حسب مستويات. يضاف إلى ذلك انتشار الزواج المختلط بين الأزواج الشابة والتحدث فيما بينهم بلغة مشتركة - العبرية. ذلك إلى جانب اللبانيين (مدارس خاصة لتدريس العبرية للقادمين الجدد) العديدة لتعليم اللغة بشكل مكثف.

وكان لوسائل الإعلام العبرية دور في انتشار العبرية. فقد أصدرت صحف بالعبرية المبسطة تساعد المبتدئين على اكتساب اللغة العبرية خلال فترة زمنية قصيرة. وعملت دار الإذاعة على بث برامج خاصة للقادمين تعنى بشؤون الحياة في الدولة ونشر الأخبار بلغة سهلة.

وأقيم المجمع اللغوي الذي ساهم في إضفاء الشرعية اللغوية للمفردات المستحدثة. مما لا شك فيه ان فكرة إقامة المجمع كانت خطوة هامة نحو الأمام في تعزيز العبرية. فاليهود قدموا من بلدان عدّة واكتسبوا لغات أمّ متعددة يتحدثون بها في داخل المجموعة، وإذا تركت لكل مجموعة التحدث بخليط لغوي وفق اللهجات الأجنبية البعيدة عن القوالب اللغوية العبرية، فان ذلك يضعف من مكانة اللغة العبرية. لذا عمل المجمع اللغوي على شرعنة بعض الألفاظ الأجنبية الدارجة على ألسن المهاجرين الجدد من خلال عبرنتها، أي التحدث بها وفق اللغة العبرية.

إضافة إلى ذلك فقد اتخذ صنّاع القرار العبرية وسيلة لمحو الأمية لدى اليهود المهاجرين. ففي السنوات 1954-1958 تبين أن 15% من الشباب اليهود لا يعرفون القراءة والكتابة إطلاقاً، وأن 55% من النساء والرجال الذين قدموا من دول العالم الثالث هم أميون. تعليم العبرية استهدف أيضاً القضاء على الأمية.

3 معناها أن يتنازل المهاجرون الجدد عن ثقافتهم الأصلية ولغاتهم، لصالح الثقافة الإسرائيلية.

6.2 إسقاطات العبرنة

بداية، لا بد من التمييز اصطلاحاً بين العبرية وبين العبرنة، فالعبرية هي اللغة ذاتها، أما العبرنة فهي عملية ومسار تتم من خلالها إعطاء العبرية طابعا إيديولوجيا وسياسيا.

من إسقاطات العبرنة هو تهميش اللغة العربية وطمس المعالم العربية. فلكي تنجح العبرنة، إيديولوجية أحادية اللغة، فلا بد من تعزيز العبرية بين اليهود أنفسهم وهذا ما بيناه في القسم السابق، وأيضا تحويل العبرية اللغة الحاضرة والمهيمنة على المجالات الحياتية العامة: بدأ باليا فطاط، مرورا بأماكن العمل، المرافق الحكومية، المحاكم، والمؤسسات الأكاديمية. هذا يعني أن العبرية هي لغة المجالات العامة والاتصال الواسع، والعربية تعيش على هامشها. لقد وضحنا في الفصل الرابع، انه لا توجد ثنائية لغوية في المشهد العام، وان كانت فهي من جانب الطرف العربي.

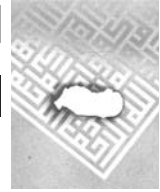
كانت العديد من المحاولات لإلغاء مرسومية اللغة العربية في الكنيست: ⁴ منذ قيام الدولة وحتى اليوم تجري عدة محاولات من قبل أعضاء كنيست يهود، الذين ينتمون إلى الأحزاب اليمينية، لإلغاء مرسومية العربية، وأن جميع هذه المحاولات، حتى الآن، باءت بالفشل. برأيي جميع المحاولات لإلغائها فشلت لان العربية لا تشكل أي تهديد بأن يكون لها حضور ذو جدوى وجوهري على المشهد العام. في الوقت الذي تبدأ العربية تأخذ مكانها كلغة لها قيمة فعلية، ستكون هنالك محاولات جادة لجعلها فقط لغة الأقلية العربية.

فالعبرنة قد طالت أيضا المواطنين العرب، ليس فقط عن طريق تهميش العربية، وإنما تعليمهم العبرية ليس فقط لأهداف اتصالية، وإنما لمعرفة ثقافة اليهود على مدى تاريخهم، وذلك لشرعنة الوجود اليهودي في هذه البلاد ماضيا وحاضرا، وكان تعليم العبرية أحد هذه الأدوات كما سيبين لنا الفصل القادم.

4 كانت المحاولة الأولى عام 1952 وتصدى لها آنذاك رئيس الحكومة، دافيد بن غوريون (منشورات الكنيست، 1952، مجلد 12: 2250)، والمحاولة الأخرى كانت عام 1980، وفي عام 1998 طرح الفكرة على وسائل الإعلام، عضو الكنيست ميخائيل كلاينز. أما المحاولة الأخيرة (2005) تبناها عضو الكنيست آرييه إداد من حزب التكتل الوطني الذي قدّم اقتراحا ينص على إلغاء مرسومية اللغة العربية، بحيث تبقى العبرية اللغة الرسمية الوحيدة في الدولة، والعمل على إزالة جميع اللافتات العربية المنصوبة في الشوارع، ما عدا الأماكن التي يسكنها غالبية ناطقة بالعربية. واقترح إداد أن يستمر العرب في التعلم باللغة العربية شريطة ألا يمسّ هذا، بوجود تعلم العبرية كلغة أساسية، ويضمن معرفة الجمهور العربي بملكة اللغة العبرية على أكمل وجه (معاريف، 5—1—2005: 14).

الباب الثالث:
العربية في ظل هيمنة العبرية

الفصل السابع
العبرية المؤدجة وتعليمها
للطلاب الفلسطينيين في إسرائيل



في هذا الفصل سنتناول بإسهاب العبرية وتعليمها للطلاب الفلسطينيين في إسرائيل وذلك لنبين كيف تغلغت العبرنة إلى الفلسطينيين في الداخل. تعتبر المدرسة من أهم المؤسسات المجتمعية، لأنه تتم فيها عمليات تنشئة لا تقل أهميتها عن البيت، وللدولة تأثير كبير على السياسيات والممارسات.

نشير بأنه في عهد الانتداب البريطاني لفلسطين 1920-1948، تعلم العرب العربية كلغة أم والانجليزية كلغة ثانية. في الأيام التي سبقت إعلان دولة إسرائيل عام 1948 مباشرة، اتخذت لجنة المعارف قراراً بعيد المدى، وذلك للحفاظ على العربية كلغة تعليم في المدارس حيث كانت أغلبية التلاميذ من العرب. وقررت، أيضاً، إلزام الأقلية العربية تعلم العبرية، وهو قرار تم تقويته على مر السنين. هذا القرار يعني أن العبرية أصبحت لغة تدريس إلزامية بين العرب-الفلسطينيين من مواطني إسرائيل وجزءاً هاماً من مخزونهم اللغوي. التعليم هو أحد الميادين الهامة لترسيخ لغة ما، وبدخول العبرية لهذا المجال يعني أنه سيكون لها حضور وتأثير، وستتنافس مع لغتهم الأم العربية، وخاصة أنه في مرحلة معينة بدأ تعليمها مبكراً، من الصف الثالث الابتدائي، وفي مدارس معينة تم تعليمها بدءاً من الصف الثاني.

في هذا الفصل سنفحص فقط ثلاث مسائل ترتبط بتعليم العبرية: المواقف من تعليم العبرية للعرب؛ أهداف تعليم العبرية ومناهجها؛ وكذلك الكتب والمضامين.¹

1 لقد فحص أمارة ومرعي موضوع تعليم اللغة العبرية لدى العرب من نواحي متعددة، للتفاصيل، أنظر أماره ومرعي (1999، 2001، 2002، أمارة 2007).

7.1 المواقف من تعليم العبرية للعرب

نحن لا نتطرق إلى سياق اعتيادي تتفاعل فيه علاقات أقلية وأغلبية. وإنما لمنطقة معينة كانت لغتها المهيمنة العربية، وبين ليلة وضحاها أصبحت لغة جديدة تهيمن على المجالات العامة، والعرب مطالبون بأن يتعلمونها كلغة ثانية. والسؤال الذي يطرح ماذا كان موقف العرب واليهود من تعليم العبرية للعرب والذين أصبحوا مواطني الدولة؟

لقد أثار تعليم العبرية الجدل بين العرب واليهود على حد سواء. وتمخضت الجدالات عن أربعة مواقف رئيسية في هذه القضية بين مؤيد ومعارض (كوهين 1968: 663).

جاءت المعارضة لتنفيذ سياسة تعليم العبرية للعرب من كلا الطرفين: اليهود والعرب. وادعى اليهود اليمينيون أن العرب الذين يعرفون العبرية سيشكلون خطراً على أمن الدولة، وعارض المنتمون إلى أقصى اليسار تعليم العبرية لتكرها ثنائية القومية.

وعارض بعض اليهود المتدينين تعليم اللغة المقدسة للغير. أما العرب، فقد عارضوا تعليم العبرية من منطلق خوفهم على مصير اللغة العربية، وهي لغة القرآن المقدس لدى المسلمين، والرمز الرئيسي للأمة العربية، والعامل الأكثر أهمية في توحيد العالم العربي. وأكثر من ذلك، فقد شعروا بأن تدريس العبرية سيؤدي إلى دمج الشباب العربي في المجتمع الإسرائيلي وثقافته، وسيبعده عن الثقافة العربية التقليدية والأمة العربية.

بالمقابل، اتخذت مجموعة أخرى من اليهود والعرب موقفاً أكثر تطرفاً، وأصرت على تعليم جميع المواضيع في المدرسة باللغة العبرية، بغية حل مشكلة الأقلية العربية في إسرائيل، ورأت أن هذه الوسيلة تُعد حلاً مناسباً لدمج العرب في حياة الدولة. ووفق هذا التصور، فإن المعرفة التامة للغة العبرية هي مفتاح لعملية الاستيعاب والدمج.

وفضلت مجموعة ثالثة تعليم العبرية لأسباب عملية وتربوية - بيداغوجية، إذ واجه التعليم العربي في بدايته مشكلتين أساسيتين: قلة المعلمين الأكفاء، وعدم توفر الكتب المقررة المناسبة (بن-أور، 1951: 8). وكان رأي المربين، من اليهود والعرب، أن التغلب على هاتين المشكلتين يكمن في تأهيل المعلمين بالعبرية،

واستعمال الكتب نفسها للوسطين.

واعتمدت مجموعة رابعة أن تعليم العبرية، في المؤسسات التعليمية العربية، يشكل وسيلة لرعاية المواطنة الإسرائيلية، ويسمح بالمشاركة الفاعلة للعرب في حياة المجتمع الإسرائيلي، والتأكد من الولاء لقوانين الدولة ومؤسساتها (كوهين، 1968: 666). ويمكن رؤية القرار النهائي كحل وسط عملي: المحافظة على العربية كلغة التعليم، وجعل العبرية مادة إلزامية كلغة ثانية في جميع المراحل التعليمية. (أماره ومرعي، 2002).

المواقف المختلفة تجاه تعليم العبرية مرتبطة بمفهوم الهوية لكل طرف ونوعية العلاقة المرغوب بها بين العرب واليهود. لم يكن صدفة أن تكون الغلبة للرأي الرابع وذلك لأنه يعكس الواقع الجديد أفضل من التوجهات الأخرى، التي ارتأت إما الرفض المطلق أو استخدامها للدمج التام بين الإسرائيليين.

7.2 سياسة تعليم العبرية:

أهداف ومناهج

يُعتبر تعليم العبرية جزءاً لا يتجزأ من المنهاج في جميع المؤسسات التعليمية العربية في إسرائيل (كوهين، المصدر نفسه، 667). بين عام 1948 وعام 1958، حدثت ثلاثة تغيرات في صياغة أهداف منهاج اللغة العبرية، وأجمعت هذه المناهج على أن الهدف من تعليم العبرية للأقلية العربية يتلخص في ترسيخ المعرفة بالشعب اليهودي وثقافته، وإيجاد وسيلة للاتصال المباشر مع الناطقين بالعبرية في الكتابة والمحادثة، ورعاية المواطنة الإسرائيلية (شالمون، 1957: 95). وعملياً، تؤكد هذه الأهداف على الجوانب السياسية، وتتجاهل القضايا التربوية، وتظهر حساسية قليلة تجاه مشاعر التلاميذ والمعلمين. كما يؤكد واضعو منهاج تعليم العبرية على الشخصية اليهودية لدولة إسرائيل، راغبين بذلك تعزيز الأسرلة بين الأقلية العربية للمحافظة على الولاء للدولة العبرية (أماره ومرعي، 2002).

وعلى سبيل المثال، يهدف منهاج المدرسة الثانوية من سنة 1968 إلى ما يلي ذكره:
1. تنمية المعرفة الأساسية الدقيقة والشاملة، عند الطالب العربي، للغة العبرية، مع القدرة على فهم العبرية المكتوبة، والتمكن من اللغة في الكتابة والحديث، تلبية للحاجات العملية والثقافية.

2. أن تمنح الفرصة للطالب العربي التعرف على ثقافة إسرائيل وقيمها، في الماضي وفي الحاضر، وأن يقدرها حق تقدير، وهذا ما يسهل عليه فهم الحياة الاجتماعية وثقافة السكان اليهود في دولة إسرائيل.

المقصود من تعليم العبرية، هو أن تستخدم، أولاً، كأداة للتواصل الاجتماعي بغية دمج العرب في إسرائيل في حياة الدولة، وثانياً، "أن تفتح البوابات على ثقافة إسرائيل". ويعني هذا الهدف، بشكل واضح، إضعاف القيم والهوية القومية العربية. ولأجل طمس هذه المعالم والرموز "يتوجب على معلمي العبرية زرع المحبة لدولة إسرائيل، وقيم الفكر الإسرائيلي" (أرشيفات الدولة، 1223/145 ج، مقتبس لدى الحاج 1996: 107).

في الأساس، هذا التوجه هو انعكاس للسياسة التي وضعها يادلين عام 1976 (صياغة أهداف التعليم العربي). وقد علق عليها سامي مرعي (1978: 53) بقوله:

يبدو أن وثيقة يادلين لا تحاول فقط أن تقلل من الهوية القومية للعرب في إسرائيل، وأن تجعلها غير واضحة، وإنما أيضاً تحاول طمس ثقافتهم، وأن تفرض عليهم القيم والمبادئ الأخلاقية المقبولة لدى المجتمع الإسرائيلي، وبشكل رئيسي، بواسطة الجهاز التعليمي الذي يخضع لإشراف الحكومة. لم يبق إلا التساؤل عما سيبقى في الثقافة بعد أن يقتلع المرء منها "مظاهره الاجتماعية" والقيم التي تحدد العلاقات الاجتماعية و"القيم العائلية"، والرابطة بين الفرد والمجتمع.

إن معرفة الثقافة اليهودية (التوراة المكتوبة والشفوية، الأساطير، وإنتاج أدبي بلغة الحكماء) أصبحت تسيطر على المنهاج في المدرسة الثانوية، وتلعب دوراً هاماً في المدرسة الإعدادية (أماره ومرعي، 2002).

يواجه التلميذ العربي مشكلتين في هذه المناهج، أولاً: إن المادة مكتوبة بلغة قديمة بعيدة عن عالم التلميذ، والنصوص محشوة بمفردات لا تستعمل في العبرية الدارجة. ثانياً: يشعر الطالب العربي بأنه يتعلم عن اليهودية أكثر مما يتعلم عن دينه وتراثه.

أثارت مضامين هذه المناهج النقاش والانتقاد بشكل دائم، وأشار كوبلفيتش (1974: 328) في السبعينات إلى أنه: "تم الادعاء بأن المناهج متحيزة، بشكل غير لائق، ضد معرفة الثقافة العربية، لأن الطلاب يتعلمون التوراة أكثر من القرآن،

ويتعلمون تاريخ إسرائيل أكثر من التاريخ العربي، ولا يوجد مكان في المدرسة العربية لتدريس قصائد بيالك أو قصص شالوم عليخم أو مقالات أحاد هاعام". ويضيف كوفليفيتش ويؤكد (في نفس المصدر): "من الصحيح أن نعود ونفحص من وقت إلى آخر، محتوى المنهاج آخذين بعين الاعتبار احتياجات وتوقعات وتطلعات الجمهور العربي، وكذلك احتياجات ومتطلبات دولة إسرائيل".

طُرأت بعض التغييرات على المناهج التي أعدت في نهاية السبعينات. تنسجم الكتب المقررة الجديدة مع مستويات الطلاب، وتهدف إلى إتقان اللغة العبرية في التحدث والاستماع والقراءة والكتابة. وتختلف الأهداف الجديدة، بشكل كبير، عن الأهداف القديمة، إذ أخذ بعين الاعتبار عمر الطلاب ومستوياتهم، والبيئة الاجتماعية التي يعيشون فيها، ومدى مساهمة دراسة العبرية في دمجهم مستقبلاً في الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية في الدولة (أماره ومرعي، 2002).

يحافظ المنهاج الجديد للمدرسة الابتدائية على اهتمامه بالدمج اللغوي والثقافي للطلاب العرب في إسرائيل. والأهداف المذكورة هي: التواصل الفعال بين السكان العرب واليهود في الدولة، والعمل على التفاهم بين اليهود والعرب، وتشجيع "ولاء" العرب لدولة إسرائيل؛ كما ويهدف إلى التعرف على التقاليد الثقافية والأدبية للعبرية على مر الأجيال؛ والدمج المستقبلي للمتعلمين في حياة الدولة؛ وأيضاً على التأثيرات الثقافية المتبادلة بين الشعبين عبر الزمن؛ وتطوير الذوق الجمالي والتعليم الخلقى بين الطلاب (وزارة المعارف، 1980).

واصلت هذه الأهداف التي أعدت بعد ثلاثين عاماً من إنشاء الدولة، تجاهلها لأي اعتراف بالثقافة القومية المتميزة للأقلية العربية.

بالنسبة لأهداف المرحلة الإعدادية، فقد استخدمت الأهداف التي صيغت للمدرسة الابتدائية، وأضيفت إليها ثلاثة أهداف للمدرسة الإعدادية، وهي: تحضير خريجي ما بعد المرحلة الابتدائية في المدارس العربية للدراسة في مؤسسات التعليم العالي في إسرائيل، حيث أن لغة التعليم هي العبرية؛ تعزيز التربية الأخلاقية عن طريق تحديد المتعلم لهويته بالصور الإيجابية والقيم الإيجابية في النتاجات الأدبية؛ والتعرف على نواح متشابهة ومختلفة في مجال اللغة والأدب، العربي والعبري.

تُركز الأهداف المضافة على نقطتين أساسيتين، هما: تعزيز القيم الأخلاقية من

خلال الشخصيات الواردة في النص، وأبطالها في معظم هذه القصص هم يهود غير واضح؛ وتحضير التلميذ لمواصلة الدراسات الأكاديمية في مؤسسات التعليم الإسرائيلية، التي لا تستخدم العبرية (أماره ومرعي، 2002).

صدر منهج اللغة العبرية وآدابها، لمرحلة المدرسة الثانوية العبرية في العام 1977. يواصل منهج المدرسة الثانوية أهداف المدرسة الابتدائية والمدرسة الإعدادية ويضيف على ذلك دعم الذوق الجمالي للطلاب بواسطة تعليم وظائف التعابير اللغوية في الشعر والنثر. وقد بقيت القيم الثقافية اليهودية في صميم منهج العبرية للتلاميذ العرب (أماره ومرعي، 2002). في منتصف التسعينات من القرن الماضي، أقرت سياسة لغوية جديدة لتعليم اللغات في المدارس الإسرائيلية نهجاً، نوعاً ما يعتبر عملياً أكثر في التعامل مع العبرية.

"يجب على الطلاب الذين لغتهم الأم هي العبرية أن يصلوا، بالإضافة إلى الكفاءة في العبرية المكتوبة والمحكية، إلى مستوى أعلى من الكفاءة في العبرية المكتوبة والمحكية، خصوصاً، في العبرية المهنية والتجارية والأكاديمية. وذلك لمساعدة الخريجين للوصول إلى التعليم العالي، بغية دمجهم اقتصادياً بشكل جيد". (منشور المدير العام 1996، وزارة المعارف والثقافة)

وتمشياً مع الاتجاهات المتبعة في كل مكان في تعليم اللغة الثانية، فإن هذه السياسة تجعل البداية مبكرة أكثر، وتتطلب تعليم العبرية ابتداءً من الصف الثاني، مع إمكانية تعلمها في الصف الأول. إن لهذا المنحى أهدافاً تربوية وسياسية بعيدة المدى، والمقصود منها هو تقوية العبرية وثقافتها بين السكان العرب. وثمة تغيير ثان، غرضه تعلم العبرية بمستوى راق، يسمح بإضافة ساعات إضافية على مستوى المدرسة الثانوية لتعليم العبرية على حساب اللغة الأم ودراسة الثقافة العبرية.

تأتي السياسة المقترحة الجديدة لتعزز مكانة العبرية، وتحسن تعلم العبرية بين التلاميذ العرب. وبالرغم من أن بعض الاقتراحات لها علاقة أكثر بالناطقين بالعبرية (مثلاً، الوصول إلى أعلى مستوى من الكفاءة باللغة)، فإن السياسة الجديدة تركز على أهمية العبرية كوسيلة يومية للتواصل، وتساعد على اندماج العرب في حياة الدولة، وأن اللغة لن تكون حاجزاً أمام تقلد مناصب رفيعة، أو إكمال تعليمهم العالي في الجامعات الإسرائيلية. لكن، بالرغم من أننا نفكر أن هذه القضايا

والأهداف تعتبر هامة وجديدة بالنسبة للعرب في إسرائيل، فإن صلة العرب بهويتهم القومية والثقافية ليست أقل أهمية، وهي الشيء الذي لا يتم ذكره على الإطلاق في السياسة الجديدة لتعليم اللغات (أماره ومرعي، 2002).

7.3 منهج جديد للغة العبرية:

هل من جديد؟

تم إعداد منهج جديد للغة العبرية للطلاب العرب لجميع المراحل: الابتدائية، الإعدادية والثانوية. يحمل المنهج الجديد في طياته اختلافات واضحة وكبيرة مقارنة بالمنهج القديمة. بالإمكان تلخيص الاختلافات البارزة بالنقاط التالية:
أ- في المنهج الجديد هنالك تأكيد على أهمية المهارات المختلفة من كلام وكتابة واستماع وفهم المقروء. في المقابل فإن المناهج القديمة ركزت على الأدب والثقافة والقواعد.

ب- القواعد المقترح تعليمها هي قواعد ووظائفية، أي تعليم القواعد من خلال سياقات وليست كقوالب لغوية مجردة كما كان الحال في المناهج القديمة.
ت- هذا المنهج سمته الأساسية تأكيده على الأهمية الاتصالية للغة (גישת תקשורתית). بمعنى أن اللغة هي بهدف التواصل مع الآخر. ولذلك الخطابات المتنوعة ولإغراض مختلفة لتعليم اللغة العبرية هي أساس مضامين المنهج. وهنا الاختلاف الأكثر بروزا بالمقارنة بالمنهج القديمة والتي كان إنطلاقها ثقافي-قومي. فأتت المواد التعليمية مشبعة بالثقافة اليهودية ولم تكن متنوعة من حيث المجالات الحديثة المرتبطة بحياة اليهود في إسرائيل.

ث- المنهج الجديد لكل المراحل. يبين المنهج الجديد الترابط والاستمرارية بين المراحل العمرية المختلفة. بمعنى آخر النظر إلى اللغة كظاهرة متطورة (أماره، 2007).

تبين هذه النقاط أن هنالك توجه جديد لتعليم اللغة العبرية، التحدي الكبير سيكون عند إعداد المواد التعليمية. هل ستعكس المواد التعليمية كما ونوعا هذه التوجهات؟ أم أنها ستبقى أهداف لا تترجم على أرض الواقع وستبقى الصورة مشابهة للماضي؟

على أية حال، لا شك أننا أمام مرحلة جديدة من مسألة تعلم اللغة العبرية للعرب. هذه المرحلة أتت لتعكس النهج الدارج في العالم من حيث تعليم اللغة

في سياقاتها الواسعة وأيضا التأكيد على الوظائف الاتصالية للغة (المصطلح الشائع اليوم لهذا التوجه هو التربية اللغوية). اتبع منهاج اللغة العبرية كلغة أم للمدارس اليهودية وسمي "تربية لغوية- العبرية للغة أم، أدب وثقافة للمدارس الابتدائية...". هذا هو النهج السائد اليوم في إسرائيل لتعلم اللغات، وكان موضوع اللغة الانجليزية في البلاد سباقا حيث بدء بتطبيقه منذ بداية التسعينيات من القرن الماضي. ولربما هذا يعود لان اللغويين البارزين اليوم في إسرائيل يؤكدون على التربية اللغوية في سياقاتها الشمولية، وإيمانهم أن التأكيد على الأهداف اتصالية يجب أن يصب على الكلام والفهم أكثر من قضية الأدب والثقافة التي حظيت بحصة الأسد في المناهج القديمة. إضافة فإني أسوق الافتراض الآتي: منذ تولي وزراء التربية والتعليم الإسرائيلي من أحزاب يسارية منذ بداية التسعينات (شوليت ألوني، أمنون روبنشتاين، ويوسي سريد، ويولي تمير) كان هنالك تعزيز لبعض القيم الليبرالية في المضامين وتقليل من القيم اليهودية-الصهيونية (هذا الافتراض بحاجة لفحص منهجي وشمولي).

بايجاز، التغيير في منهاج التعليم الجديد هو لربما نتيجة لمفاهيم جديدة في الاكاديميا حول تعليم اللغة والفكر الأكثر لبرالي الذي ادخله وزراء يساريين إلى وزارة المعارف.

7.4 كتب ومحتويات

أتت الكتب الدراسية للعبرية المخصصة للمدارس العربية لتعكس أهداف تعليم العبرية مرسخة المعرفة بالشعب العبري وثقافته، وإيجاد وسيلة للاتصال المباشر مع الناطقين بالعبرية في الكتابة والمحادثة، ورعاية المواطنة الإسرائيلية. فالكتب التي أعدت في الخمسينات تعج بمواضيع مأخوذة من الحياة اليهودية، بعيدة عن عالم الطالب العربي، مثل الهجرة وأيام العطل والمناسبات الدينية اليهودية وغيرها. وكانت الكتب المكتوبة للمهاجرين الجدد مشحونة ومليئة بالروح الأيديولوجية الصهيونية. كما أن اللغة لم تكن مناسبة، لأنها صيغت، أساساً، للناطقين بالعبرية وليس لتعليم لغة ثانية.

حرص مخطوطو منهاج الخاص بالعرب على اختيار مواد تعليم اللغات للعرب. ويأتي هذا الحرص لتعزيز مكانة إسرائيل كدولة يهودية، وهي قضية لاحظها بن-أور

(1951:8): "كيف سيتم تنمية العروبة الإسرائيلية بدون الحث على إنكار التطلعات العربية، من جهة، ودون السماح بدعم العداة للقومية العربية، من جهة أخرى؟". واعتقد بيرس وآخرون (1968:27) أن هذه العبارة وضعت "معياراً لتقييم إسهام المنهاج في بلورة هوية الإسرائيلي اليافع من بني الأقليات، ولإيجاد طريقة تضمن له توازناً بين تفانيه للقومية العربية، وإخلاصه للدولة التي يعيش فيها".

وفي نهاية الستينات، أقرت وزارة المعارف كتابين للقراءة لدراسة العبرية في المدارس الابتدائية العربية من الصف الرابع إلى الصف الثامن. إن كتاب القراءة الأول، "ألوموت" (حزم السنابل)، هو كتاب قراءة للمدارس الحكومية العربية وفق المنهاج الذي نشر عام 1967 من قبل يوسف دانا ونجيب نبواني. ويدعي المؤلفان أنهما استعملا طرائق تعليمية مبتكرة وأنهما اختارا المفردات بعناية كبيرة. ثمة تركيز في هذا الكتاب على بيئة الطالب في القرية العربية، وعلى البيئة الإسرائيلية واليهودية التي يتصل بها الطالب العربي في حياته اليومية.

وقد انتهى تأليف كتاب القراءة الثاني "شليم رشونيم بعفريت" (مراحل أولية في العبرية) عام 1967 من قبل آرييه كاسبي ونمر سعيد خطيب. واشتمل الكتاب المقرر على عرض قضايا في مجال القواعد. وكذلك على مقتطفات من التوراة، وفصول من الثقافة اليهودية في إسرائيل، ومن الإسلام والعهد الجديد، ومن مجتمعات مختلفة تعيش في البلاد. ويشمل الكتاب كلاً من العبرية القديمة والحديثة.

يظهر هذان الكتابان الأخيران تقدماً في كل من الناحية البيداغوجية- التربوية والمضمون. وكان التغيير نتيجة الضغط الذي بذله الجمهور العربي والمربون العرب على وزارة المعارف. في تلك الفترة، قبل العرب في إسرائيل بوجود إسرائيل كدولة مستقلة، ولانت السياسة الإسرائيلية نحو الأقلية العربية، وانتهى الحكم العسكري للقرى والمدن العربية. وقد عكس المنهاج هذا التغيير في النصوص المختارة. (أماره ومرعي، 2002)

وفي الثمانينات والتسعينات من القرن الماضي صدرت العديد من الكتب للمدارس الابتدائية والإعدادية (شاحر (فجر)، مفعاش (لقاء)، عفريت زي كيف (العبرية متعة)

إن الطرق والأساليب التي استخدمت لتعليم العبرية في الكتب الأولى، فشلت

في التمييز بين تعليم لغة أم وتعليم لغة ثانية. إن مهارة الاستماع أو الإصغاء لم تلاق أية عناية خاصة. إن البدء بالعملية التعليمية، كما يتجسد الأمر في الكتب الأولى، بتعليم القراءة أولاً، يخلق فجوة بين العمر النفسي للمتعلم وعمره الزمني. وبالرغم من أن هذه الكتب يمكن أن تؤدي إنجازات مرضية في الصفوف الثالثة والرابعة في قراءة العبرية، على مستوى فك الرموز، فقد كان مستوى الاستيعاب محدوداً، وكان المقصود بالكتاب الجديد معالجة هذا الضعف (أماره ومرعي، 2002). رغم هذه التغيرات، لا تزال الكتب العبرية مشبعة بالثقافة اليهودية.

رغم أن المنهاج الجديد يؤكد على أن تكون المواد التعليمية في كتب القراءة متنوعة، وأن تركز على المواضيع المأخوذة من البيئة الاجتماعية والتربوية للتلميذ. لكن، في الواقع، يستمر التركيز على الثقافة اليهودية. وتظهر هذه المواضيع بطريقتين: أ. أدب ديني - حاخامي، مثل التوراة وآغادا (الأسطورة) ومدارش (التفاسير).

ب. قصص وقصائد لها علاقة بحياة الشعب اليهودي مثل، وصف وضع اليهود في الشتات قبل إنشاء الدولة، وكذلك أشعار ذات طابع قومي بشكل واضح. علينا الإشارة، بأنه حتى الكتب الحديثة ما زالت تشتمل على نسبة عالية من المادة اليهودية. لكن، مقارنة مع الكتب القديمة، فإن النسبة آخذة بالنقصان. من الطبيعي تضمين الثقافة كجزء متمم لتعليم اللغات الثانية والأجنبية، ولكن، كمية الثقافة التي يتعلمها التلميذ تثير أسئلة حساسة. النصوص الكثيرة التي تدور حول الثقافة والأدب العبري في منهاج العرب في تعليم اللغة العبرية هي موضع نقاش. ويدعي الكثير من العرب أن الغرض من الاستخدام المبالغ فيه للثقافة اليهودية، هو تربية العرب ليكونوا موالين أكثر للدولة اليهودية بدلاً من خلق مواطنة حقيقية، وأيضاً جعل الثقافة اليهودية المرجعية لهم، والقبول بالرواية التاريخية اليهودية. وسواء كان هذا يمت إلى الصحة بصله أم لا، فإن النزاع الإسرائيلي-العربي، وعدم توفر الثقافة الإسرائيلية العامة العليا (التي يشترك فيها كل من العرب واليهود)، ستثير دوماً الشكوك في تعليم جوانب من الثقافة والأدب اليهودي للأقلية العربية في إسرائيل، مهما كانت حصتها في المنهاج.

7.5 إسقاطات العبرنة على التعليم

دخول العبرية وحضورها في مجال التعليم العربي يعني أن العبرية أصبحت جزءاً من المخزون اللغوي العربي-الفلسطيني في إسرائيل وان تأثيرها يتعدى كونها وسيلة اتصالية-تواصلية مع الآخر كما رأينا في هذا الفصل. فالمسألة تتعداها إلى أمور ثقافية وهوياتية.

من الطبيعي تضمين الثقافة والأدب اليهودي في منهاج اللغة العبرية، ولكن تضمينها يثير مسائل حساسة. ومن السهل رؤية أهداف تعليم العبرية بين العرب في إسرائيل نحو الاعتبارات السياسية التي تؤكد على الطابع اليهودي للدولة وفي مركز البعد الثقافي المتمثل بالعبرنة، وحقاً، على العناصر اليهودية في تعليم العبرية. ويدعي السياسيون والمربون وحتى الباحثون العرب، أن الغرض من الاستعمال الزائد للثقافة والأدب اليهودي هو تربية العرب ليكونوا مخلصين للدولة اليهودية أمنياً، عوضاً عن خلق المواطنة الحقيقية (الحاج، 1996).

ورغم حاجة العرب في إسرائيل للعبرية لأسباب عملية وبنفعية، لم تأخذ المناهج بعين الاعتبار الحاجات الحقيقية والخاصة لهؤلاء السكان، على ما ينعكس في المضامين الخاصة بالمواضيع بالعبرية، والتي تركز على الثقافة والأدب وتأهيل المعلمين. لا شك أن تعليم العبرية المشبعة بالقيم اليهودية لم يكن اعتبارياً وإنما جاء لاعتبارات سياسية المنطلقة، أساساً، بأيدولوجية دولة قومية عرقية. بكلمات أخرى، تعلم العبرية كان أحد الأدوات التي استخدمتها المؤسسة، مثل المواضيع الأخرى ومن ضمنها التاريخ والجغرافيا والمدنيات، لتشكيل هوية عربية جديدة، وهي هوية "العربي-الإسرائيلي"، هوية أقل ما يقال فيها ان البعد القومي مغيب أو مشوه، والمواطنة منقوصة.

تأثير العبرية ليس فقط في تدريس موضوع اللغة العبرية، وإنما في الكثير من المواضيع والجوانب. نرى أنه في العديد من المدارس، وخاصة الثانوية، يدرسون العلوم بكتب باللغة العبرية، أو كتب مترجمة عن العبرية. وحتى أن المعلمين الذين يدرسون بكتب باللغة العربية، نرى استعمالاً مكثفاً من اللغة العبرية. والتغير الجذري يتم عند الانتقال من المدرسة العربية إلى الجامعة وتصبح العبرية لغة التدريس² (أنظر

2 تظهر العبرية في الحيز العام المدرسي ويمكن معاينة ذلك من خلال:

أبو غزالة، 2009).

تتسرّع هيمنة العبرية عند الانتقال إلى الجامعة وتذوت في الطالب العبرية. فالسياسة اللغوية التي تبناها الجامعة من خلال التدريس في العبرية وعدم حضور العبرية في المشهد اللغوي، والتعامل مع اللغة العربية كلغة هامشية جداً في الجامعة، يؤثر على الممارسات اللغوية ليس فقط بين الطالب العربي والجامعة، بل أيضاً بين الطلاب العرب مع بعضهم البعض وهذا يفرز أن اللغة العربية المحكية واللغة المكتوبة بين الطلاب متأثرة كثيراً جداً بالعبرية، وهذه المرحلة وهي الانتقال من المدرسة إلى الجامعة عبارة عن صدام حضاري ولغوي لا يغيب فقط الثقافة العربية، بل أيضاً يغيب الهوية الذاتية عند الطالب العربي كما بين أبو غزالة في أطروحته.

1. استخدام كلمات عبرية بشكل مكثف في المعاملات المدرسية مثل كلمة حاشد (مشكوك)، زكاي (مجاز)، موعيد (موعد)، ميكود (تركيز)، شألون (نموذج)، حاسام (عائق). وهذه العبرنة تذوت في الطالب الثقافة اليهودية.

2. استخدام اللغة العبرية في المشهد اللغوي ويتأتى ذلك، أولاً : معظم المكاتبات بين وزارة المعارف والطالب تكون في اللغة العبرية مثل الاستئناف، كما أن الموقع لوزارة المعارف في معظمة باللغة العبرية، وكما أن جل التعليمات التي تبعثها الوزارة هي باللغة العبرية مثل التحذير من الغش في الامتحانات، فكثير من التعليمات التي ترسلها الوزارة للطالب هي مهمة في نزاهة الامتحانات، تقوم المدرسة بتعميمها على الطلاب دون ترجمتها إلى العربية. ثانياً : تتوشح العبرية في اليافطات المختلفة المعلقة على أروقة المدرسة.

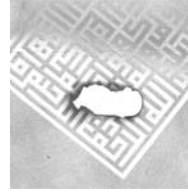
3. تدريس مواضيع العلوم والرياضيات يتم من خلال الاستناد إلى الكتب العبرية وخاصة الرياضيات وهذا ما ينفر الطالب من اللغة العربية ويشعر أن اللغة العربية منحصرة أكثر في دروس المخصصة لها، كما أن المؤسسات الخاصة التي تصدر امتحانات " البجروت " تنشر معظمها في اللغة العبرية مثل شركة "أنكوري وشركة ليمان"، فالطلاب العرب هم جزء لا يتجزأ من جمهوره القراء. لذا يقوم بعض الطلاب العرب باختيار تمارين الرياضيات العبرية، لأنه اعتاد على ذلك، فهذا الاعتياد من شأنه أن يضعف الملكة اللغوية في اللغة العربية عند الطلاب.

الباب الثالث:

العربية في ظل هيمنة العبرية

الفصل الثامن

تغلغل العبرية
إلى "قلب العربية"



8. مقدمة

بيّنا في الفصل السادس كيف أصبحت العبرية اللغة المهيمنة، وهذه الهيمنة جاءت في سياق العبرنة، أي ايدولوجية أحادية-اللغة. إنّ تعزيز العبرية بين اليهود وفي المشهد العام جاء على حساب اللغة العربية، والتي أصبحت إلى حد بعيد هامشية. فالعبرنة امتدت لتصل مواطني إسرائيل العرب-الفلسطينيين، كما سعت إسرائيل عن طريق تعليم العبرية المؤدجلة للعرب، كما ورد في الفصل السابق. في هذا الفصل سنركز على دخول العبرية إلى قلب العربية، لنلقي الضوء على الاستعارة من العبرية إلى العربية وتأثيراتها على المخزون اللغوي في صفوف الفلسطينيين في إسرائيل.

تعدّ العبرية اليوم لغة مركزية في المخزون اللغوي للفلسطينيين، مواطني دولة إسرائيل، وتأثيراتها ليست مقصورة على مجالات حياتهم المختلفة فقط، وإنما تتجاوزها إلى مسألة الهوية والثقافة.¹

في البداية سيناقش الفصل موضوع احتكاك الحضارات وانعكاساته اللغوية، وبعدها سيتم التطرق إلى أهمية دراسة العبرية بين العرب في إسرائيل.

1 المواد في هذا الفصل نُشر معظمها في مقالات سابقة (أنظر أمانة 1986، 1996، 1999، 2006، 2007).

8.1 مدخل-احتكاك الحضارات وانعكاساته اللغوية

لاحتكاك الحضارات ببعضها البعض، العديد من الأسباب المباشرة وغير المباشرة. إحدى النتائج الهامة للاحتكاك الحضاري يتمثل في استعارة حضارة ما من الأخرى. ومن المحتمل أن تنعكس الاستعارة سلوكيا، ماديا، أو لغويا على الحضارة الأخرى (أنظر أماره، 1988: 5-6)

ميّز هيغا (Higa, 1979) في نموذجهِ للتبادل الحضاري بين الحضارات المسيطرة والثانوية، فعندما تكون الحضارتان متساويتين، فإن الاستعارة تكون متبادلة بين الطرفين. وفي حالة عدم التوازن فإن الحضارة الثانوية (أي التي أقل شأنًا ومركزًا ثقافيا، تكنولوجيا وعسكريا) هي على الأرجح التي تستعير من الحضارة المسيطرة. بينما الاستعارة والإعارة بين الحضارات الثانوية فهي متبادلة، كما هو الحال في الحضارات المسيطرة. إن الإعارة، حسب تعريف هيغا "مؤشر للتقدم الحضاري، الاقتصادي والعسكري".

إن من الأسباب المباشرة للاحتكاك الحضاري، هو تعايش الشعوب جنبا إلى جنب في دولة واحدة، أو عن طريق الاحتلال أو الاستعمار. فنرى، على سبيل المثال، أنّ في الدول الاسكندنافية يفهمون بعضهم البعض، رغم أنهم يتحدثون بلغات مختلفة (النرويجية، السويدية والفلمندية)، وأن سبب التقارب اللغوي يعود إلى الجوار والاحتكاك المباشر بين شعوب تلك المنطقة عبر العصور. أما بالنسبة إلى الاستعمار، فبالإضافة إلى ما يخلفه من آثار في جوانب الحياة المختلفة، فهناك الامبريالية اللغوية (Linguistic Imperialism).² مثال جيد على ذلك هو الاستعمار الأوروبي في قارة أفريقيا. فالمستعمر الأوروبي في أفريقيا قمع لغاتهم المحلية. ونرى اليوم في كثير من البلدان الإفريقية، بأن اللغات الأوربية هي لغات رسمية فيها (البارزة منها الإنجليزية والفرنسية) ولها حضور واضح في الممارسات اللغوية اليومية.

تتجلى الانعكاسات اللغوية للاستعمار بأشبع صورها، عندما يفرض المستعمر

2 في كتابه Linguistic Imperialism (الاستعمار اللغوي)، يناقش روبرت فلبسن (1992) أن الاستعمار الغربي استخدم الإنجليزية كأداة للامبريالية لكي يسيطر على مستعمراته.

على الدول المستعمرة (خير مثال على ذلك فرنسا) لغته. هدف المستعمر من القمع اللغوي هو نقل طرق معينة من التفكير إلى المستعمر بهدف السيطرة عليه وتدجينه. وبواسطة الإمبريالية اللغوية يحاول المستعمر نقل معايير السلوكية إلى المستعمر. وكثيراً ما تنجح عمليات الإمبريالية اللغوية، ويصبح المستعمرون غير مدركين لعملية الاستعمار اللغوي-الثقافي. وإن التأثير اللغوي يرافق الأمم المستعمرة حتى بعد زوال الاستعمار لسنوات طويلة، كما هو الحال في دول المغرب العربي.

إن الاحتكاك الحضاري بين الشعوب ونتاجاته اللغوية، هي سمة واضحة في تاريخ البشرية. والعقود القليلة الماضية من القرن العشرين، حفزت بل عجلت عملية الاحتكاك الحضاري غير المباشر. وبسبب سرعة المواصلات والاتصالات، وخاصة بعد أن أصبح التواصل عن طريق الحاسوب متيسراً للأفراد، فإن الاحتكاك الحضاري أصبح أكثر سهولة وسرعة، وليس منوطاً بقرارات دولة بفتح أو عدم فتح أبوابها أمام شعبها للاحتكاك بالشعوب الأخرى (كما فعلت بعض الدول في التاريخ الحديث، بما يُعرف بسياسة "الباب المغلق"، أي الانغلاق على العالم الخارجي).

يستطيع الفرد اليوم التواصل مع من يشاء ومتى يشاء. ففي ظل الظروف المتغيرة وحضور مسألة العولمة، أصبحت الانجليزية اليوم تؤثر على العالم بأسره بدون منافس، بالرغم أنه في كثير من الأماكن يندم الاحتلال أو الاحتكاك المباشر مع الناطقين بالانجليزية (Crystal, 2002). إن التكنولوجيا المتطورة جداً، كمجال الطب، التجارة، والسيطرة الاقتصادية والعسكرية لأمريكا في العالم وشيوع الموسيقى والأفلام الأمريكية، أسهمت إسهاماً كبيراً في نشر حضارة الناطقين باللغة الانجليزية (وخاصة الأمريكية والبريطانية).

تعتبر اللغة من أقوى وأرسخ المظاهر للحضارة. عندما يكون احتكاك حضاري بين الشعوب، تكون اللغة المرآة الشفافة والعاكسة لذلك الاحتكاك. نبذة قصيرة عن اللغة العربية واحتكاكها باللغات الأخرى، يبين لنا مدى تأثير وتأثر الحضارات ببعضها البعض وانعكاساته اللغوية.

تاريخياً، كان للغة العربية احتكاك مع كثير من لغات العالم، وشكلت في بعض اللغات لغة المصدر من جانب (أي اللغة المستعارة منها "source language")، وذلك لهيمنتها الدينية، العسكرية والسياسية، نخص بالذكر عندما كان الإسلام في أوجه (من القرن السابع إلى القرن الحادي عشر). ومن جانب آخر، فإن العربية

استعارت واستوعبت الكثير من المفردات اللغوية من العديد من اللغات.

في العراق وسوريا، كان للعربية احتكاك مع اللغة الآرامية، التي كانت في ذلك الحين لغة متداولة (Lingua franca) في الشرق الأوسط (القرن السادس والسابع ميلاديا). لا شك أن الآرامية أثرت على اللغة العربية ليس فقط من ناحية تزويد العربية بمفردات لغوية (اليسوعي، 1960: 170) بل أثرت أيضا على حديث الناطقين باللهجات العربية، كما يدعي إبراهيم أنيس (1970: 277).

إن العربية حلت محل الآرامية، لكن الآرامية أثرت على اللهجات العربية سواء في اللفظ أو في قواعد اللغة. في حين كانت اللاتينية لغة الحكام، لم يكن هناك احتكاك مباشر بين اللاتينية والعربية.

كانت القبطية في مصر هي اللغة السائدة لدى معظم المصريين، واستبدلتها العربية بدون معضلة معينة. كما وأن العربية حلت محل اللغات البربرية في شمال إفريقيا، وان تلك اللغات أثرت على اللهجات العربية المتداولة بين السكان في شمال إفريقيا، وما زال تأثير البربرية على العربية في شمال إفريقيا حتى يومنا هذا (أنيس، 1970: 278).

تاريخيا، كان الوضع في فارس مختلفاً. تأثرت العربية بالحضارة الفارسية المتطورة والمزدهرة جداً آنذاك، وأثرت عليها العربية لان الفرس دخلوا الإسلام، فضلا عن ذلك فاللغة اليونانية كانت لا تزال متداولة في بعض أرجاء العراق وسوريا. لكن عندما فتح العرب تلك البلاد، استبدلتها العربية، في حين أنها استعارت منها بعض المزايا (خاصة المفردات اللغوية). وفي العصور الوسطى تأثرت الاسبانية من العربية، وبعض المزايا من العربية استعارتها لغات أوروبية عديدة. لقد امتدت الانجليزية بالمفردات من العديد من اللغات، والعربية تُعد من أبرزها في ميادين الحياة المختلفة. أمثلة على دخول كلمات عربية إلى الانجليزية: عفريت (afreet)، الجبر (algebra)، قهوة (coffee)، القيثارة (guitar)، تعرفه (tariff)، سمت الرأس (zenith)، الزعفران (zaffer).

وعندما قطن اليهود اسبانيا وشمال إفريقيا، كان لهم احتكاك وثيق ومكثف مع العرب وتأثرت العربية من العربية، ليس فقط في المفردات، وإنما تعداها إلى الكتابة بالعربية ولكن بأحرف عبرية (طريقة النسخ). هذا عدا عن التأثير الثقافي الواسع واستخدام المضامين الأدبية والفنية.

إن استعارة الكلمات التركية أو إعاره الكلمات العربية للتركية، كان بسبب احتلال العثمانيين للدول العربية لعدة قرون. كذلك الأمر بالنسبة للانجليزية والفرنسية والاطالية. إن احتكاكهم المباشر بالعرب نجم عن الاحتلال العسكري للدول العربية. إضافة إلى التأثير المباشر، فإن الحضارات الأوروبية المزدهرة جداً والقوة العسكرية لبعض الدول الأوروبية أدى إلى تأثيرات حضارية غير مباشرة على الدول العربية (وحقاً، على سائر دول العالم).

إن أحد المظاهر الحضارية، والذي له أعظم التأثير في الاحتكاك الحضاري هو اللغة. وعودة قصيرة إلى التاريخ الحديث، نرى أن سياسة بريطانية في البلاد التي استعمرتها كانت تتمحور حول تقوية العلاقات التجارية واستغلال ثروتها قدر المستطاع. وبذلك اعتقدوا أنهم يستطيعون السيطرة على البلاد المستعمرة، نغني استعماراً مادياً.

خلافاً للسياسة البريطانية، فإن السياسة الفرنسية كانت مبنية على مبدأ المدارس في مستعمراتها وتدرّس اللغة الفرنسية من الصفوف الأولى وطمس لغة الأم، نغني استعماراً روحانياً. إن أحد الأمثلة لذلك شمال إفريقيا العربي (تونس، الجزائر والمغرب) والتي ما زالت تعاني من أزمة كبيرة، حتى يومنا هذا في مجال تدرّس واستخدام اللغة العربية. إن اللغة هي إحدى الروابط الكبرى لحضارة واحدة ونهضة قومية. إذن، فقدان لغة الأم واستبدالها بلغة أخرى أو مظاهر منها، يؤثر على البنية الحضارية للشعب والمفهوم الانتمائي القومي.

8.2 أهمية دراسة العبرية

في حين أنّ من الناحية التاريخية تأثرت العبرية بشكل كبير باللغة العربية، وبخاصة إبان العصور الوسطى، والنتيجة أن الكثير من المفردات العربية تغلغت إلى اللغة العبرية والتي ما زالت تشكل لبنات مهمة في نسيجها. خلال الستين سنة ونيّف الماضية، منذ قيام إسرائيل، فإن العربية-الفلسطينية المحكية في إسرائيل، وحتى المكتوبة كما تبين ردينه حامد (2009)، بدأت تستوعب الكثير من المزايا اللغوية من اللغة العبرية.

رغم أن حالة الاحتكاك اللغوي بين العربية والعبرية في إسرائيل، تشابه حالات كثيرة في العالم، إلا أن لها مميزاتا السياسية والاجتماعية المغايرة. ثمة أهمية

كبيرة لفهم عميق لهذا النتاج اللغوي، وذلك لان العرب في إسرائيل يُعتبرون الأقلية غير- اليهودية الكبرى داخل إسرائيل وخارجها، والتي تتقن العبرية جيداً. هذا إضافة إلى أن العرب موجودون في صراع مع الأغلبية اليهودية في إسرائيل في قضيتين مركبتين: الأمور الداخلية- تعريف إسرائيل وإدراكها على أنها دولة يهودية وصهيونية، ومكانة العرب المدنية والقومية في إسرائيل. والأمر الخارجي- ويتمثل بالسياق الواسع للعلاقات العربية-الإسرائيلية في ظل الصراع العربي-الإسرائيلي. إن دراسة اللغة العبرية لها أهميتها الخاصة، وذلك لفهم الاحتكاك الثقافي بين الشعبين من ناحية، وانعكاسات الصراعات المذكورة آنفاً لغوياً من ناحية أخرى. فاللغة تستطيع أن تكشف لنا عن جوانب مهمة في شكل ونوع العلاقة، والاحتكاك مع المجتمع اليهودي-الإسرائيلي وإسقاطاته على المجتمع العربي الفلسطيني، سواء من الناحية الثقافية أو من ناحية الهوية.

لا شك أن الحالة اللغوية في فلسطين تشابه الخلفية اللغوية مع معظم الدول العربية، وذلك لأن لغات أخرى (بسبب الاستعمار) أثرت وما زالت تؤثر عليها إلى الآن. لكن الفرق الجوهري أن الاستعمار الأوروبي زال من جميع الدول العربية، فكان بمقدور الدول المتحررة السيطرة على المشهد اللغوي والقيام بعملية تعريب شمولية كما حصل في دول المغرب العربي. ولكن في إسرائيل، أصبحت العربية لغة أقلية بعد أن كانت لغة أكثرية ولغة مهيمنة، وحلت محلها اللغة العبرية.

على رغم من أهمية اللغة العبرية لفهم قضايا متشعبة في المجتمع العربي وما لها من إسقاطات قريبة وبعيدة المدى عليه، إلا أن العبرية حظيت باهتمام قليل (مقارنة بدراسة جوانب متعددة للمجتمع العربي) من قبل بعض الباحثين: أماره (Amara 1986, 1991, 1995, 1999a, 1999b, 2001, 2007)؛ أماره ومرعي (Amara and Spolsky, 1986, 2002)؛ أماره وسبولسكي (Amara and Spolsky, 1986)؛ بن-رفائيل (Ben-Rafael, 1994)؛ بدير (1990)؛ حامد (2009)؛ دغش (1993)؛ كوبلوفتش (Koplewitz, 1990)؛ سبولسكي وأماره (Spolsky and Amara, 1995, 1997)؛ سكارس (Skaaras, 2009)؛ شوهامي ودونيتسا-سمث (Shohamy and Donitsa-Schmidt, 1997)؛ سبولسكي وشوهامي (Spolsky and Shohamy, 1999a, 1999b). معظم الأبحاث اللغوية-الاجتماعية تركزت حول المعرفة اللغوية، والأبحاث الأخيرة تركزت حول التربية والسياسة اللغوية.

8.3 معرفة العبرية واستعمالها

مع أن العرب في فلسطين بدأوا احتكاكهم مع اليهود منذ زمن مبكر، قبل النكبة، فإن التواصل الواسع بدأ بعد إنشاء إسرائيل في عام 1948. وبين عامي 1948 و 1966 انحصر التواصل في الشباب، لأن التواصل الرئيسي بين الشعبين كان في مجال العمل. وقلل الحكم العسكري، الذي فرض على العرب في تلك الأيام، من التواصل المباشر مع السكان اليهود ليس فقط في مجال العمل، بل في مجالات أخرى أيضاً.

هنالك اتصال اليوم في إسرائيل، مكثف مع اليهود بشكل يومي تقريباً، في جميع مجالات الحياة: في العمل، وفي مؤسسات التعليم العالي، وفي المكاتب الحكومية، وفي المؤسسات الصحية، وبدرجة أقل بكثير في العلاقات الاجتماعية. وبصرف النظر عن العمر أو الجنس أو الثقافة، فإن معظم الفلسطينيين في إسرائيل يعرفون العبرية ويستعملونها. لقد أصبحت اللغة العبرية لغة هامة في المخزون اللغوي للفلسطينيين في إسرائيل.

كذلك فإن الكفاية في اللغة العبرية بين الفلسطينيين مواطني المدن المختلطة، أعلى من الكفاية اللغوية عند فلسطينيين آخرين، في أماكن غير مختلطة، وهذا بفضل الاحتكاك اليومي مع اليهود في الحارات المختلطة أو عن طريق مؤسسات مشتركة، أو بشكل بسيط عن طريق الفعاليات اليومية (أنظر Skaaraas, 2009).

هذا الأمر يعتبر صحيحاً بالنسبة للشباب العرب الدرّوز، وذلك في أعقاب الخدمة الإجبارية في الجيش، والاحتكاك المكثف مع اليهود خلال خدمة الجيش، وهذا يولد فرص انكشاف للعبرية وهذا ليس موجوداً لدى العرب الآخرين. وينطبق الأمر كذلك على بعد القرية أو المدينة العربية من مراكز المدن اليهودية: فكلما كانت البلدات العربية قريبة أكثر من مركز المدن اليهودية، كلما زاد الاستعمال بالعبرية في الحياة اليومية. وفقاً لهذا، فإن استخدام العبرية بشكل عام في المثالث والنقب أعلى منه في منطقة الجليل (نستثنى من هذا المدن المختلطة وأولئك الذين يخدمون في الجيش).³

3 لا توجد أبحاث في هذا المجال لتدعم هذا الادعاء. ولكن محادثاتي مع أشخاص من أماكن مختلفة بين العرب، يتضح في كل مرة لي في اللقاءات المختلطة بين الناس من تلك الأماكن، ان الأفراد في المثالث والنقب يستخدمون العبرية بكثافة، أكثر من أشقائهم في الجليل.

إن العلاقات غير المتساوية بين الفلسطينيين واليهود في إسرائيل (أي، سيطرة اليهود في كل مجالات الحياة، حيث أن اليهودي هو المشغّل في أغلب الأحيان)، وهامشية المجتمع الفلسطيني، التي نشأت في الحلبة الاجتماعية-السياسية، والتي بالإمكان تسميتها "صعوبة اختراق المجموعة المهيمنة"، أثرت على اكتساب اللغة العبرية بينهم. في هذا الواقع فإن اكتساب العبرية بالأساس لأسباب نفعية.⁴ هذا يعني، أنه وبشكل عملي فإن تعلم العبرية مُدرك بين الفلسطينيين بالأساس كوسيلة، ولربما هذا هو الدافع المهم، لاكتساب أنماط تربوية، اقتصادية، واجتماعية مشابهة لتلك الموجودة لدى الغالبية اليهودية المهيمنة (أماره وسبولسكي، 1986).

في حين أن هدف تعليم العبرية للمهاجرين اليهود هو استبدال العبرية بلغاتهم الأصلية، فإن هدف تعليم العبرية للعرب هو استكمالها، أي تعليم العبرية كلغة إضافية. وبالنسبة لغالبية العرب في إسرائيل، تُعتبر العبرية اللغة الثانية الأهم، فهي أكثر أهمية من الإنجليزية، وفي بعض الأحيان أهم حتى من العربية ذاتها (شوهامي ودونيتسا - شميدت، 1998). إن عدم معرفة العبرية يضع قيوداً على العرب في إسرائيل، خاصة، في المكاتب الحكومية وفي العمل وفي التعليم العالي. إن عدم التمكن من العبرية يشكل عقبة أمام العربي سواء من ناحية تدبير أموره بمراقف الدولة، أو التقدم في مجالات العمل.

تُدّرّس العبرية في الأطر الرسمية، وفي الأطر غير الرسمية. وبما أن العبرية هي إحدى اللغات الرسمية للدولة، فإن الفلسطينيين في إسرائيل يتعلمونها كلغة الدولة (فينتر، 1981؛ هليل وسبولسكي، 1993). وبالفعل، يبدأ تدريس العبرية في المدرسة منذ الصف الثالث أو الثاني، ولكن تأثيرات الأطر غير الرسمية، والاتصالات الخارجية المباشرة والمستمرة مع اليهود هي أكبر بكثير (ريفز، 1983). وتحافظ كل الجماعات، في جميع الأعمار، على التواصل مع اليهود الإسرائيليين بمستويات ودرجات مختلفة.

لذلك، فإن استعمال الدخيل من المفردات وشبهة الجمل وحتى الجمل العبرية التامة، منتشر على نطاق واسع بين الفلسطينيين في إسرائيل، ويعكس مدى هذا الانتشار مستوى معرفة الفلسطينيين في إسرائيل بالثقافة اليهودية (أماره، 1986. 1995 ب؛ سبولسكي وأماره، 1986. 1996؛ أمارة وسبولسكي، 1995. 1997).

4 حول الدوافع النفعية، أنظر جاردنر ولامبرت (1959، 1972).

8.4 استعارة مفردات من العبرية: دمجها وانتشارها

للاستعارة دوافع ظاهرة ودوافع خفية. من الدوافع الهامة للاستعارة المكانة العالية للكلمات المستعارة، وحاجتها لسدّ فراغ لغوي في اللغة المستعيرة. الأمور المحرمة (taboo) هي دافع آخر. بمعنى، أن هنالك مواضيع لا يرغب الإنسان أن يتحدث بها بلغته، لأنها بنظر المجتمع أمور محرمة، فيلجأ إلى لغة أخرى لأنها أكثر حيادية. فعلى سبيل المثال، يستخدم الكثير من العرب في البلاد الكلمة العبرية שיירותים [شيروتييم] بدلا من كلمة مراحيض (حمام). من هنا، هنالك العديد من العوامل الاجتماعية، الثقافية والنفسية التي تؤثر على استعارة الكلمات. اللغة العربية في إسرائيل تستعير كلمات من أجل سدّ فراغ لغوي، مكانة المفردات العبرية العالية، واستخدامها في مواضيع تعتبر محرمة (مثل أمور متعلقة بالجنس).

بين السكان العرب هنالك نزعة متزايدة لاستعارة الكلمات من العبرية ودمجها في الحديث بالعربية. ولا تقتصر هذه الظاهرة على شريحة معينة من المجتمع العربي، بل هي منتشرة في جميع المستويات والأعمار، وتبرز، بشكل خاص، بين الأكاديميين، وتشكل استعارة المفردات من العبرية جزءاً لا يتجزأ من العربية-الفلسطينية المحكية في إسرائيل.

للمتعلمين والعمال الذين لهم احتكاك مكثف باليهود يستخدمون العبرية في حياتهم اليومية أكثر من غيرهم، ليس عند احتكاكهم باليهود فحسب، وإنما أيضا فيما بينهم. إلى جانب ذلك، تختلف نسبة الاستخدام وفقاً للموضوع، ففي المواضيع الحديثة كالإنشاء والطب، على سبيل المثال، هناك استعمال للعبرية أكثر من المواضيع التقليدية. إن ظاهرة التأثير اللغوي تعكس مدى تأثير الحضارات اليهودية على العرب في البلاد، وتبدو مظاهر الحضارات اليهودية جذابة للشباب العرب. إن مكانة ومركز العبرية مرتبطين بتقدم إسرائيل في مجالات عديدة، منها العلمية والتكنولوجية.

فالكلمات مثل צומת [تسومت] (مفرق)، רמזור [رمزور] (أشارة ضوئية)، כדורגל [كدور ريجل] (كرة قدم)، אופנוע [أوفنوع] (دراجة نارية)، בסדר [بسيدير] (نعم)، תחנת דלק [تحنات ديلك] (محطة تزويد الوقود)، קופת חולים [كوبات

حوليم] (صندوق المرضى)، בבקשה [بيكشاه] (من فضلك)، אחי [أخي] (أخي)، לתפל [لطبيل] (يعالج)، גלידה [جليده] (بوظة)، כאב ראש [كئيف روش] (وجع رأس)، מחשב [مأحشف] (حاسوب)، קניון [كينيون] (مجمع تجاري)، מיץ [ميتس] (عصير)، שיש [شايش] (رخام) שמנת [شمينت] (لبن دسم)، שניצל [شنيستل] (شرائح دجاج)، פלאפון [بيليفون] (تلفون خلوي)، אזעקה [أزعاها] (صفارة إنذار)، משמר גבול [مشممار جفول] (حرس الحدود)، מכשיר [مخشير] (جهاز)، מיקוד [ميكود] (الرمز البريدي) من ضمن مئات الكلمات المستعارة والتي أصبحت جزءاً من المعجم اللغوي لهجة الفلسطينيين داخل إسرائيل. فيما يلي تفصيل لبعض المجالات التي أثرت عليها اللغة العبرية.

8.4.1 مجال البناء

بعد أن كانت معظم البيوت العربية-الفلسطينية تُبنى من الطين والحجر، أصبحت بيوتهم اليوم مبنية من الباطون المسلح والحديد. صحيح أن هذه التقنية من البناء أصبحت عالمية، إلا أن التغيير في هذا المجال تسارع بسبب الاحتكاك بين فلسطيني الداخل واليهود. لا نغفل أيضاً أن هنالك احتكاكاً مكثفاً بين العرب واليهود، وذلك لأن نسبة كبيرة من العرب تعمل في هذا المجال كعمال ومقاولين في المجتمع اليهودي.

لقد تأثر العرب من طراز بناء البيوت الحديثة، حيث أن التغيير لم يقتصر فقط على مواد البناء، بل على التصميم الداخلي والخارجي للبيت. عدا عن ذلك، فإن استخدام البيت في الماضي يختلف عما عليه اليوم. في حين عاش جميع أفراد الأسرة الواحدة في بيت واحد، ونام وأكل عشرات الأفراد سوية، فقد تغير هذا النمط من الحياة، حيث نشاهد اليوم غرفاً للوالدين، للذكور وللإناث. هذا بالإضافة إلى غرف الاستقبال المصممة على طراز غربي. إن المطبخ أيضاً بأثاثه ومحتوياته شبيه جداً بالمطبخ الغربي، وإلى جانب المطبخ غرفة الطعام أو ما يسمى بالعبرية אכיל [أكل] [أدخل].

إذن، لم يكن التغيير في العمارة مقصوراً على مواد البناء أو التصميم وإنما استخدام هذه العمارة وفق النمط الغربي في أغلب الأحيان. واليهود هم الذين جلبوا معظم مظاهر العمارة الغربية إلى هذه البلاد في العقود القليلة الماضية. إن التأثير

على العرب في هذا المجال ينعكس بالتسميات العبرية الكثيرة والشائعة. نورد على سبيل المثال الكلمات الآتية: קורה [كوره] (ميدة الأساس)، תקרה [تكراه] (سقف)، גג (سطح البيت)، חלון צרפתי [حلون تسرفتي] (شباك فرنسي)، בית מדרגות [بيت مدرجات] (بيت الدرج) والى آخره من عشرات الكلمات في هذا المجال.

8.4.2 الطعام

إذا انتقلنا إلى موضوع الطعام، حيث آثار اليهود واضحة فيه، نرى أن كثيراً من أنواع الأطعمة، مثل منتجات الحليب دخلت مع مسمياتها العبرية مباشرة إلى معجم العرب في البلاد، مثل שמנת [شمينت]، אשל [ايشل]، תשע אחוז [تيشع احوز]، פרילי [بريلي]، קרמلي [كرملي]. فكثير من منتجات الأطفال المعدة للتسلية في العبرية مثل: במבה [بمبا]، בסלי [بسلي]. وكذلك أيضاً في المشروبات وحتى وان وجدت الكلمات العبرية. فاستعمال אשכוליות [ايشكوليوت] (كريفوت)، תפוזים [تبوزيم] (برتقال) كأسماء لمشروبات لهي شائعة جداً. إن هذه التسميات تبرهن على مدى تأثير نمط معيشة حياة اليهود في هذه المضمار.

8.4.3 الخدمات الصحية

يظهر مضمار آخر نتيجة لتأثير الاحتكاك باليهود في الخدمات الصحية. أُسست الخدمات الصحية في فلسطين بشكل كبير من قبل الانجليز في فترة الانتداب البريطاني. هناك مستشفيات في أجزاء عديدة من البلاد والتي سميت على اسمهم (على سبيل المثال، المستشفى الانجليزي في الناصرة). فالكلمات في هذا المضمار كثيرة، نذكر الكلمات المعربة منها: دكتور (طبيب)، نارسي (ممرضة)، اسبتار (مستشفى)، فلونزا (بدل انفلونزا)، أسيرين.

بعد سنة 1948، حل النظام الصحي الإسرائيلي محل النظام البريطاني. واليوم، جميع العرب هم أعضاء في صناديق المرضى المختلفة، وتأثير العبرية في هذا المجال نلمسه بوضوح، نذكر على سبيل المثال: קופת-חולים [كوبات حوليم] (صندوق المرضى)، תיק [تيك] (ملف)، פנקס [بنكاس] (دفتر)، אקמול [اكمول] (دواء

لخفض الحرارة وتقليل الألم)، רופא [روفيه] (طبيب) בית-חולים [بيت-حوليم] (مستشفى)، ניתוח [نيتوح] (عملية)، סבל [سيفل] (معاناة)، תעודה רפואית [تعوداه رفوئيت] (شهادة طبية).

إن الاستعارة من العبرية تنتشر في كثير من المجالات. فهناك استعارة مكثفة في مجال الرياضة، السياسة، الاقتصاد ومجالات أخرى عديدة. فالأمثلة الواردة أعلاه هي فيض من غيض للاستعارة من اللغة العبرية. فاستعارة الكلمات العبرية تكاد تكون في جميع مجالات الحياة، وتمتد لتشمل مجالات مثل الصحافة ووسائل الإعلام، المصطلحات العلمية، السير على الطرقات، الموسيقى وغيرها (أنظر أماره 1986؛ كويلفتش، 1989؛ حامد 2009) وإجمالاً، فإن مظاهر من الحضارات اليهودية-الإسرائيلية منعكسة لغوياً في العربية المحكية والمكتوبة، وخاصة في الصحافة والمواقع الالكترونية، بين العرب في البلاد، سواء كان ذلك في العمارة، الطعام والملابس، الصحة، والعديد من مجالات الحياة.

وبناء على دراسات أمانة المختلفة (أمانة 1986، 1991، 1995، 1999) ودراسة كويلوفيتش (1989) حول دمج المفردات من العبرية إلى العربية، من الممكن التوصل إلى النتيجة الآتيتين:

1. إن اللغة العبرية الآن هي المصدر الرئيسي للابتكار ليس للكلمات العبرية فحسب، وإنما أيضاً للكلمات التي هي في الأصل انجليزية. ففي الماضي غير البعيد، كانت الانجليزية من المصادر الرئيسية للاستعارة.
2. إن التنوعات في التجديد العبري التي أفرزتها الميزات الاجتماعية، تعكس صورة للعملية المستمرة لانتشار ودمج المفردات من العبرية. بمعنى آخر، العبرية هي من أهم مصادر الاستعارة في العربية-الفلسطينية في إسرائيل.

8.5 الاستعارة ومميزاتها اللغوية

إن الاستعارة من العبرية إلى العربية هي من جميع أقسام الكلام. لكن معظم الدراسات تبين أن معظم الكلمات المستعارة هي من الأسماء (أنظر كويلفتش، 1990، حامد 2009).

وتتم استعارة الكلمات من العبرية بطرق شتى (مرعي، 2002):

1. هنالك الكثير من الكلمات التي تستعيرها العربية من العبرية دون أية تغييرات، وبهذا تحافظ على معناها وشكلها الصوتي. أمثلة على ذلك: אשף [ديشه] (مخضرة)، שיירותים [شيروتيم] (مراحيض)، לאסק [عيسك] (عمل)، מעלות [معليت] (مصعد)، בגרות [بجروت] (بجروت)، שולחן [شلاط] (جهاز التحكم عن بعد).

2. هنالك الكثير من الكلمات العبرية المستعارة التي يتم عليها تعديل صوتي، ولكنها تحافظ على المعنى الأصلي لها. أمثلة:

جدول 8.1. أمثلة على كلمات عبرية مستعارة يتم عليها تعديل صوتي، ولكنها تحافظ على المعنى الأصلي.

الكلمة الأصلية- عبرية	الشكل المعدل في العربية	المعنى
יטפל	يُطبل	يعالج الأمر
ישכפל	إيشخبل	يستنسخ
ימרח	يمرح	يدهن
אל תדחוף אותי	ما تدحفيش	لا تدفعني
פקק	بقت الطريق	اختناقات مرورية

لاحظ أن الأربعة كلمات الأولى المستعارة هي أفعال. بشكل عام استعارة الأفعال من اللغة الأخرى قليلة، وعندما تزداد استعارة الأفعال فهذا يدل على مدى التأثير باللغة الأخرى.

3. هنالك كلمات مستعارة من العبرية التي بالإمكان استخدام معها لواحق من العربية أو العبرية. استعمال لاحقة أو أخرى يعتمد على المميزات الاجتماعية للمتكلم وأيضا على السياق العام. يميل المتعلمون (أصحاب الثقافة فوق الثانوية) إلى استخدام اللواحق العبرية في معظم الكلمات والسياقات. أمثلة:

جدول 8.2. أمثلة لكلمات عبرية مستعارة مع لواحق عربية ولواحق عبرية.

الكلمة المستعارة	الكلمة المستعارة +لاحقة عربية	الكلمة المستعارة + لاحقة عبرية
תלוש	תלושות	תלושים
מחסום	محاسيم أو محسومات	מחסומים

4. ليس هنالك استعارة كلمات فقط، وإنما أيضا كلمات مركبة أو شبة جمل. أمثلة: תחנת דלק (محطة وقود)، בנק דסקונט (بنك دسكونت).

5. هنالك الكثير من الاستعارات المترجمة (LOAN-TRANSLATIONS) سواء كانت في الصيغ العربية المحكية أو المكتوبة. أمثلة:

جدول 8.3. أمثلة على استعارة مترجمة من العبرية.

العبرية	الترجمة العربية	الاستعمال المقبول في العربية
עבר את המבחן	عبر الامتحان	نجح في الامتحان
סגר את העסקה	سكر صفقة	عمل صفقة
גיוס כספים	تجنيد أموال	استقطاب أموال

6. هنالك كلمات مستعارة لم تكن موجودة في العربية واستعارتها العربية مترجمة. هذه بالأساس كلمات أكاديمية أو علمية. أمثلة: سيرورة (תהליך)، امتحان المردود (משוב)، مسح (מיפוי)

7. ثمة أيضا توسيع لمعنى كلمات موجودة في العربية عن طريق العبرية: أمثلة: نقال (טלפון נייד) [تلفون نياد]، امتحان دخول (בחינת כניסה) [بحينات ساف].

8. استعارة كلمات غير مألوفة في العالم العربي. أمثلة:

جدول 8.4 أمثلة لكلمات غير مألوقة في العالم العربي.

العبرية	العربية في إسرائيل	العربية في العالم العربي
מפקח [ميفكيح]	مفتش	موجه فني
מנהל [مينهيل]	مدير	ناظر
בית-ספר יסודי [بيت-سيفر يسودي]	مدرسة ابتدائية	مدرسة أساسية
בית-ספר תיכון [بيت-سيفر تيون]	مدرسة ثانوية	مدرسة متوسطة
לוח [لوح]	لوح	سبورة

8.6 استنتاجات

تشمل تأثيرات المجتمع اليهودي الإسرائيلي على الإنسان العربي-الفلسطيني في إسرائيل العديد من مجالات الحياة. ويمتد هذا التأثير ليشمل أيضا الناحية اللغوية (أمارة، 1999ب). تستعير العربية المحكية (وأياها المكتوبة، وبخاصة الجرائد العربية والمواقع الالكترونية، ولكن بنسب أقل) باستمرار مظاهر لغوية من العبرية، لا سيما، كلمات التي لها صلة بالحياة اليومية (دانا 1995؛ مرعي 1997: 73).

إن مستوى التمكن من العبرية هو نتيجة مدى وفاعلية الاتصال بالمجتمع اليهودي، فعلى سبيل المثال، العرب في المدن المختلطة (كحيفا وبافا والرملة واللد) وأيضا العرب الدرور (أبو ربيعة 1996: 7) والبدو الذين يخدمون في الجيش، متمكنون من العبرية بصورة أفضل من العرب الآخرين، وذلك بدافع عمق التفاعل مع المجتمع اليهودي (أماره ومرعي، 2002).

إن العبرية ضرورية لكل عربي-فلسطيني في إسرائيل، لأنها اللغة المستعملة والحاضرة في جميع المجالات العامة تقريبا سواء في أماكن العمل، في المكاتب الحكومية، في التعليم العالي، في المؤسسات الصحية، أو في وسائل الإعلام والكنيست. ومن الصعوبة للناطق بالعربية أن يدبر أمورهم بدون اكتساب معرفة كافية بالعبرية خارج مكان سكناه.

لأيديولوجية العبرنة تأثيرات بعيدة المدى ليس فقط على اليهود، وإنما على العرب أيضاً. وينعكس نجاح الأيديولوجية والهيمنة اليهودية في الانتشار الواسع للغة العبرية واستخدامها العريض في كافة مناحي الحياة، في المحادثات والبنوك وفي المراكز الطبية.

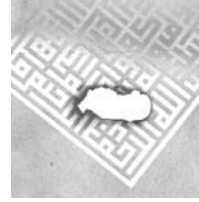
لقد وضحنا في هذا الفصل أن هنالك استعارة مكثفة لمزايا مختلفة للغة العبرية إلى اللغة العربية-الفلسطينية في إسرائيل. فنرى أن معظم مجالات الحياة أصبحت متأثرة بالثقافة اليهودية-الإسرائيلية، واللغة في هذا السياق هي المرآة العاكسة لهذه الاستعارة. فالاستعارة تأثيرها يتعدى الجانب الثقافي ويؤثر بالتالي على الهوية والانتماءات المختلفة.

لم يقتصر تأثير العبرية على الاستعارة في المجالات المختلفة وقاموس الأفراد، وإنما تعداها ليصل إلى المشهد اللغوي أي إلى الحيز العام للفلسطينيين وذلك عبر حضورها في اليافطات، الإعلانات، البطاقات الشخصية، واجهات الحوانيت.

هذا الاستخدام جاء في ناحية منه لدوافع داخلية من العرب أنفسهم، وأخرى من المؤسسة الإسرائيلية التي دأبت على عبرنة وتهويد المكان. بالطبع هذه العمليات أثرت على الفلسطينيين وحصلت عمليات من تفرغ المشهد من عربيته وعربيته. هذا ما سنبينه في الفصول، التاسع والعاشر والحادي عشر.

الباب الرابع:
المشهد اللغوي

الفصل التاسع
عبرنة الأسماء
والمواقع العربيّة



9.1 مقدمة

إن الهيمنة اللغوية هي جزء من العلاقة بين المستعمر والمستعمِر، وتتراوح العلاقة بينهما بين اندثار لغة المستعمر أمام هيمنة وزحف لغة المستعمِر كما حدث في أمريكا الجنوبية، حيث ضاعت واندثرت لغات الشعوب الأصلية أمام لغة المستعمِر الإسباني، أو كما حدث مع مجموعات لغوية كثيرة في أفريقيا، وهنالك الحالة التي تحافظ فيها الشعوب الأصلية على لغتها كجزء من هويتها وخصوصيتها الثقافية، حيث أن اللغة بمثابة ماهية الثقافة وجزء منها، وليست مجرد أداة لنقل الثقافة، كما حدث مع الأقليات الإثنية في منطقة الاتحاد السوفييتي السابق وغيرها من الأقليات في غرب أوروبا، وهنالك الحالة التي تتم فيها عملية زحف للغة المستعمِر إلى مواقع لغة المستعمِر دون أن تؤدي إلى اندثارها، إلا أنها تؤثر عليها، وفي حالات معينة تشوهها كأداة ثقافية ومعرفية، وحتى كلغة أداتية للاتصال بين أفراد المجموعة اللغوية.

يملك كل فرد ذاكرة تاريخية، ولكن هنالك ذاكرة تاريخية جماعية لكل شعوب الأرض، والذاكرة التاريخية هي جزء من تكوين الجماعات والشعوب كشعوب متخيلة، فالذاكرة التاريخية هي ذاكرة متخيلة يشترك فيها كل أبناء المجموعة، وإذا اعتبرنا أن المجموعات الحديثة هي مجموعات متخيلة كما يصف ذلك بعض منظرو تشكل المجموعات الحديثة (اندرسن، 1991)، فإن الذاكرة التاريخية هي عامل هام وحيوي في تكوين وبناء الأمة. فلا يمكن بناء أمة بدون ذاكرة تاريخية.

والذاكرة التاريخية هي ذاكرة يتم إنتاجها وإعادة إنتاجها بشكل دائم، فهي حيوية وغير ساكنة، متغيرة وغير ثابتة، ولكنها هامة في عملية بناء الأمة، لذا فإن هذه العملية لا تتم بشكل تلقائي أو بسبب تلاحق الأحداث السياسية، بل يعمل وكلاء كثيرون على بناء ذاكرة تاريخية.

تلعب الأسماء دوراً هاماً في الذاكرة التاريخية وتحديد المواقع التي تستوعبها الذاكرة، ويلعب مصطلح مكان الذاكرة أو مواقع الذاكرة places of memory دوراً مركزياً في بلورة هوية الفلسطينيين عموماً. والنكبة هي أحد هذه المواقع التي لا يمكن الاستغناء عنها كونها أصبحت أحد العناصر التكوينية في الهوية الفلسطينية. بل هي حادثة تاريخية، ولكنها مكان وموقع للذاكرة الجمعية.

وفي أعقاب الأعمال الريادية لعلماء بحثوا صيرورة الشعوب والهوية مثل بنديكت أندرسون (Anderson, 1983) في كتابه الجماعات المتخيلة (Imagined communities)، أو ادوارد سعيد (1997) في كتابه الثقافة والإمبريالية، أو أريك هسباوم (Hobsbawm, 1992) في كتابه ابتكار التقاليد (The invention of tradition)، فإن الاتجاهات البحثية اتجهت نحو فحص العلاقة بين الهوية ومواقع الذاكرة وما تحمله هذه المواقع من أسماء.

لعب الصراع اللغوي دوراً مركزياً في الصراع الفلسطيني-الصهيوني، وقد برز هذا الصراع في الأساس في مسألة الرواية التاريخية للصراع، حيث تم استحضار اللغة في تأكيد كل طرف على حقه على الأرض وفي الأرض، وبدأ الصراع اللغوي حول تسمية البلاد، فالحركة الصهيونية استحضرت اسماً دينياً "أرض إسرائيل" بدلاً من تسمية فلسطين، التي استخدمها الفلسطينيون وحتى استخدمتها حكومة الانتداب، التي كانت تسمى حكومة عموم فلسطين (أمانة ومرعي، 2008).

وفي سياق الحديث عن اسم فلسطين، يقول شموئيل كاتس مؤسس حركة "أرض إسرائيل الكاملة"، "إن صلة الشعب اليهودي "بأرض إسرائيل" فريدة من نوعها في تاريخ الشعوب، وقد فرض اسم فلسطين عليها من قبل القيصر ادريانوس". ثم يتناول تاريخ البلاد حتى الاحتلال البريطاني (1918) زاعماً أنه طوال هذه القرون لم يفلح أحد في القضاء على الوجود اليهودي في "أرض إسرائيل"، وعلى الرغم من حكم البلاد من قبل 14 جهة أجنبية، فقد كان التراث الحضاري اليهودي هو الوحيد والأحد الذي تميز به واقع "أرض إسرائيل". ثم يعزو وجود العرب في البلاد

إلى هجرة أبناء المناطق المجاورة في القرنين الماضيين (مقتبس عن: عبد الكريم، 2001).

لقد تطرقت الكثير من الأدبيات التاريخية والعلمية للجهد الذي بذلته الحركة الصهيونية في مسيرة عبرنة الأسماء (عراف، 2004، مرعي، 2006، بنبنشتي، 2001، كيدمان، 2008، عبد الكريم، 2001).

بالمقابل، لم تول الأدبيات العربية أو الفلسطينية أهمية كبيرة لتهويد الأسماء أو عبرنتها، وذلك ربما لأنها كانت مشغولة أكثر في مسألة تهويد المكان ومصادرتة والاستيطان فيه. ولم تنتبه المصادر العربية والفلسطينية إلى الطريقة المنهجية التي تمت فيها عبرنة الأسماء وصبغ المكان الفلسطيني بأسماء يهودية تراثية أو عبرية مكتسبة أو حديثة، وجاء الاهتمام العربي والفلسطيني بهذه المسألة متأخرا نسبيا، وخصوصا في عقد التسعينيات عندما بدأ الاهتمام بدراسة قضايا مثل الذاكرة، سياسات الذاكرة (سعدي، 2003)، الهوية الفلسطينية والمكان والذاكرة التاريخية (كبها، 2006)، ودراسة المكان الفلسطيني وموقعه في الذاكرة التاريخية (الخالدي، 1998)، وليس فقط دراسة التاريخ المجرد للقضية الفلسطينية والشعب الفلسطيني كما فعل المؤرخون الفلسطينيون من الجيل الثاني (انظر مثلا: الكيالي، 1993، الحوت، 1993).

لقد أولت الحركة الصهيونية أهمية خاصة للأسماء في الصراع، وفي صياغة هوية جماعية لليهود القادمين إلى فلسطين، وليس صدفة أن تولي الحركة الصهيونية كحركة قومية أهمية لإحياء اللغة العبرية (أمارة ومرعي، 2004)، ويمكن اعتبار عملية إحياء اللغة العبرية أعظم انجاز للحركة الصهيونية، وكان الهدف من إحياء اللغة العبرية صياغة هوية جماعية وهوية سياسية وبلورة أمة حديثة. إلى جانب إحياء اللغة العبرية، فقد قامت الحركة الصهيونية بعملية مرافقة لها تتلخص في استحضر الأسماء العبرية القديمة أو خلق أسماء جديدة للمكان الفلسطيني، وذلك لتهويده ليس على مستوى الاستيطاني والتوسع واستقبال الهجرة فحسب، وإنما على مستوى صبغ المكان بأسماء عبرية تراثية.

يؤكد بنبنشتي هذا التوجه، حيث يشير إلى أن الحركة الصهيونية أولت أهمية "لتحديد حقائق على الأرض، وإنتاج الخارطة العبرية كانت إحدى الأدوات لتحقيق ذلك، وشكل ذلك أهمية لا تقل عن شق الطرق أو بناء مستوطنات" (بنبنشتي،

(2001). والحقيقة انه من الصعب فصل الحيز عن الأيديولوجية وتهويد المكان وعبرنته في الحالة الصهيونية.

لقد نظر العديد من المفكرين والباحثين إلى العلاقة الجدلية بين الحيز والمنظومة الأيديولوجية في الحالة الصهيونية، على أنها علاقة تؤسس إحداهما الأخرى (بشير، 2004، يفتحييل، 1999). وهذا الربط بين نمط الاستيطان والسيطرة على المكان في البداية ثم تهويده وعبرنته فيما بعد وبين الأيديولوجية، هو جوهر المشروع السياسي الصهيوني بالمفهوم البسيط.

نشير بأن الأيديولوجية حددت أنماط الاستيطان وأهدافه، ولا يمكن فهم العلاقة بين الأيديولوجية والاستيطان بانفصالهما عن بعضهما البعض، فالمشروع الصهيوني ارتبط بالأرض، والأرض ارتبطت بالأيديولوجية وكل منهما سوغ الأخرى ومنحها المصادقية الفكرية والسياسية في نظر المستوطنين اليهود، الذين بحثوا في التراث عن أسماء لهذا الحيز كجزء من السيطرة عليه، فعملية إنقاذ الأرض (הגותא) هي إحدى الأسس الفكرية الثلاثة التي ارتكز عليها الفكر الصهيوني.

لا يتوقف المشروع الصهيوني في نقطة السيطرة على المكان، بل يسعى إلى تهويده أيضا. يلخص نبيه بشير هذه الفكرة بمصطلح السيادة اليهودية، ورد لديه:

إن هوس الاستيطان الصهيوني نابع من المفهوم الصهيوني واليهودي للمكان ومن ضرورة تهويده. فالمكان يعتبر غير يهودي ما دام لا يستوطن عليه أي شخص يهودي ولا يخضع للسيادة اليهودية، وإن كان صك الملكية يشير إلى يهودية المكان. ويتخذ هذا الأمر بعده وفعاليته الكبيرين في حال وجود غير يهود في حدود المكان فإن مجرد هذا الوجود لغير اليهود في المكان يهدد يهوديته. (بشير، 2004، 81)

وأكد بن غوريون، أن عبرنة الأسماء العربية، هو جزء من عملية الاحتلال التي قام بها الجيش الإسرائيلي في عام 1948، ففي سياق حديثه عن النقب في لجنة النقب للمسميات (انظر لاحقا)، أشار إلى أن "تحديد أسماء عبرية لكل مساحات النقب... هو استكمال للعملية التي قام بها جيش الدفاع الإسرائيلي من تحرير النقب من الحكم الأجنبي، أتمنى أن تستمروا بعملكم حتى يتم إنقاذ كل مساحة أرض إسرائيل من السيطرة اللغوية الأجنبية" (كيدمان، 2008: 52).

وقد كشف مؤخرا أن بن غوريون قد قال للمسئولين عن تسمية المواقع، في إحدى

هذه الوثائق، في الرابع من أكتوبر عام 1949: "لقد استعرضت قائمة اقتراحاتكم لتسمية 95 بلدة". .. "واسمحو لي، رغم أنني لست خبيراً، أن أبدي ملاحظة عامة. إذا كانت هنالك أية وثيقة تاريخية (بحسب روايتنا) لأي اسم، فمن المفروغ منه أن تعطى الأولوية لهذه الأسماء (العبرية).. ولكن في الأمكنة التي تنعدم فيها الوثائق التاريخية، وهذا، على ما يبدو، هو الطاعني على الأمكنة المختلفة، فنحن لا تربطنا بالطبع أية علاقة بالأسماء العربية القائمة، وبالتالي ليست هنالك أية حاجة لترجمة هذه الأسماء العربية إلى العبرية، إلا إذا كان الاسم مناسباً للمكان من حيث انسجامه مع الطبيعة" (فصل المقال، 10\10\2008.1).

وقد شرح بن غوريون مقصده بوضوح وشفافية غير آبه بما يتجلى من تعليماته العنصرية، إذ قال: "إذا سمى العرب موقعا بـ "راس المصري"، أو "وادي المصري"، أو "جبل المصري"، فيجب ألا نقبل بهذه الأسماء التي تشي بأن المكان ينتمي إلى بلاد غريبة، تماما كما لا نقبل سيادة العرب السياسية على بلادنا - فنحن لا نعرف بسيادتهم الروحية ولسنا في حاجة إلى أسماء يشتتم منها روائح عربية" (فصل المقال، 10\10\2008.1).

يلخص "موشيه ديان" عملية السيطرة على الحيز وتهويد المكان وعبرنتها من خلال مخاطبته طلاب معهد "التخنيون" في حيفا بتاريخ 19/آذار/1969، حيث قال:

بنيت القرى اليهودية مكان القرى العربية، أنتم حتى لا تعلمون أسماء هذه القرى وأنا لا أؤمكم على ذلك. لأن كتب الجغرافيا لم تعد موجودة، وليس فقط أن الكتب غير موجودة بل لأن القرى غير موجودة. نهلال أقيمت في نفس مكان معلول، جفعات في مكان جيبتا، سريد في مكان خنيفس وكفار يهوشوع في مكان تل الشومان. ليس هناك مكان في هذه الدولة لم ينشأ على نفس المكان لقرية عربية. (هارتس، 1969\4\4).

وفي هذا السياق يؤكد شكري عراف (1992)، إن مدناً فلسطينية كثيرة اكتسبت أسماء تتناغم مع أصلها الكنعاني بعد احتلال فلسطين، فتحوّلت بئر السبع إلى "بئير شيبع"، والخضير إلى "حديرة" والمطلة إلى "مطولة" وصفورية إلى "تسيبوري"، وعكا إلى "عكو" وعين البيضا إلى "عين لفان" (عين الأبيض). فيما اكتسبت مدن أخرى أسماء مشتقة من الترجمة الحرفية أو أسماء جديدة أو تحوّلت إلى أماكن مهجورة.

ويؤكد عراف إنه قد تم "وضع قرابة 9 آلاف اسم لهذه المواقع، بعضها اتخذ اسماً صهيونياً جديداً، وبعضها كان ترجمة لأسماء المناطق العربية الأصلية، والبعض الآخر بقي فارغاً حتى اليوم ولم تقم عليه أية مستوطنات، وظلت أنقاضه باقية لتشهد على التطهير العرقي الذي حصل في فلسطين" (السفير، 15\5\2008).

بدوره، أكد الباحث في علم الآثار والتاريخ عبد الغني سلامة أن الإسرائيليين اعتقدوا بأن إعادة رسم الخرائط وإطلاق الأسماء التوراتية على الأماكن، سيكسبهم ذلك الحق بملكيتها، واعتقدوا أنه عن طريق تغيير أسماء القرى العربية وإطلاق أسماء توراتية عليها، سيثبتون أن لهم حقاً تاريخياً فيها، ولكن الحقيقة التي يجهلها الكثيرون، هي أن هذه الأسماء أصلاً فلسطينية كنعانية كانت سائدة قبل وأثناء وبعد وجود إسرائيل في فلسطين القديمة (السفير، 15\5\2008).

في بحث شامل لشكري عراف بعنوان "المواقع الفلسطينية بين عهدين - خريبتين"، أحصى فيه نحو 2780 موقعاً تم تغيير أسمائها، وعلى النحو التالي: 340 قرية ومدينة، 1000 خربة، 380 عين ماء، 560 وادياً ونهراً، 14 بركة وبحيرة، 50 مغارة، 28 قلعة وحصناً وقصراً، 198 جبلاً، و210- تلاً (عراف، 1992).

وفي نتائج أخرى أوردها الباحث فرج الله ديب في كتابه "معجم معاني وأصول وأسماء المدن والقرى الفلسطينية" وضح فيه أن تاريخ فلسطين أخضع للتزوير المتعمد، وغرّب الفلسطينيون واعتبروا غزاة من بحر إيجه، من خلال ممارسة الحركة الصهيونية تزوير الآثار وعبرنة أسماء الأماكن. وقد رصد المؤلف أسماء القرى والمدن والحرب مع جذورها ومعانيها في القاموس العربي، وما يماثلها من أسماء قرى ومدن وعشائر في المحيط العربي واليمن خاصة (ديب، 1991).

9.2 عبرنة الأسماء:

ترجمة التوجه الإيديولوجي والفكر السياسي

خلال القرن التاسع عشر قام باحثون بريطانيون بجمع حوالي تسعة آلاف اسم لأماكن مختلفة في فلسطين، وقد شملت الأسماء كل ما كان على وجه الأرض الفلسطينية من تجمعات سكانية، نباتات، حيوانات، قيادات محلية ورجال دين وغيرها من الأمور. وكان عشر هذه الأسماء ذا أصل عبري-آرامي أو يوناني، وبعضها كانت

أسماء عبرية بقيت من الفترات اليهودية القديمة وقيت ذات صبغة عربية مع بعض التغييرات التي أصابها (بنبنشتي، 1997).

تعود فكرة عبرنة الأسماء إلى مشروع كبير قامت به مؤسسة تسمى "صندوق استكشاف فلسطين" التي قامت بعملية مسح للبلاد بين أعوام 1871-1877، وجمع أسماء المواقع القديمة والخرائب والقرى، وأعدّ قوائم للأسماء التي تحوي أكثر من تسعة آلاف اسم نقلت بحروف إنجليزية. بعد ذلك طبع الصندوق خارطة لفلسطين على أربعة أشكال: الأولى، عليها الأسماء العربية الحديثة. الثانية، عليها أسماء العهد القديم (التناخ). الثالثة، عليها أسماء العهد الجديد (الإنجيل). الرابعة، عليها أسماء مصادر المياه وتوزيعها. ومن أهم النتائج التي أسفر عنها العمل، برأي العاملين في الصندوق، تحديد أعداد كبيرة من الأماكن المذكورة في التوراة لم تكن مواقعها معروفة سابقاً (622) اسما توراتيا في غرب الأردن كان قد تحدد منها 262 اسماً قبل عام (1870) (للاستزادة انظر: عبد الكريم، 2001).

وقد أولى المجتمع اليهودي في فلسطين في فترة "اليشوف" (أي الفترة التي سبقت قيام إسرائيل بعدة عقود) والحركة الصهيونية أهمية للأسماء وعبرنتها، حيث أسس الصندوق القومي (الكيرن قייامت) لجنة أسماء في العام 1925، وذلك لإطلاق أسماء عبرية على المستوطنات التي يقيمها اليهود في فلسطين. وحتى قيام الدولة عام 1948 حددت لجنة المسميات التابعة للكيرن قייامت 200 اسم عبري على أماكن مختلفة في فلسطين، وحتى العام 1951، أضافت إلى هذه القائمة 200 اسم آخر على مستوطنات وتجمعات يهودية أقيمت في هذه الفترة (كيدمان، 2008).

وعلى الرغم من العمل المكثف والكبير الذي قامت به لجنة مسميات الكيرن قייامت لصيغ الحيز العام بأسماء عبرية، إلا أن المسميات العربية بقيت حاضرة وشاهدة على الكثير من الأماكن مثل الوديان، الهضاب، التلال والجبال، أن الأمر الذي دفع بن غوريون إلى القول: "علينا إبعاد الأسماء العربية لأسباب سياسية، لأننا لا نعترف بملكية العرب في البلاد، ولا نعترف بملكيتهم الروحانية وبأسمائهم" (مقتبس لدى: كيدمان، 2008. 52).

لقد أولى بن غوريون أهمية كبيرة لعبرنة الأسماء، ويتميز بن غوريون بنظرته الشاملة للصراع العربي الإسرائيلي، فهو يُعتبر من الزعماء السياسيين الذي لم

يكتف بانتظار التاريخ أن يتناول فترته، بل هو قام بكتابة التاريخ، وشارك بشكل فعال في الرواية الإسرائيلية حول البلاد والصراع، ونتيجة أن بن غوريون أولى أهمية خاصة، كما هو معروف، لمنطقة النقب، فقد بقي لديه هاجس أن يبقى النقب عربيا بمسمياته على الأقل، ويروي بن غوريون في مذكراته انه خلال جولة قام بها إلى منطقة سدوم في النقب ثم إلى ايلات جنوبا، صادف إن كل الأسماء للحيز المكاني كانت عربية، حيث كتب في مذكراته: "تجهت إلى ايلات بتاريخ 11\6\1949 في يوم السبت، مررنا في منطقة العاربا، وصلنا إلى عين حاسوب، ثم إلى عين وهنة، لذا من الضروري إكساب هذه الأماكن أسماء عبرية قديمة، وإذا لم تتوفر أسماء كهذه، فلتعط أسماء جديدة (مقتبس لدى: مرعي، 2006، 15).

وعلى ضوء ذلك ففي عام 1949 تأسست لجنة النقب للمسميات والتي كانت تهدف إلى إطلاق أسماء عبرية للحيز في النقب، وقد ضمت اللجنة باحثين ومختصين في التاريخ، الجغرافيا، الآثار وغيرها من العلوم، وكانت تهدف إلى تبديل الأسماء العربية بأسماء عبرية. ومع انتهاء عمل اللجنة في عام 1951، كانت اللجنة قد حددت 533 اسما عبريا جديدا، استبدلت الأسماء العربية الجغرافية للمكان في النقب (بنبنشتي، 2001). أكثر من نصف الأسماء الجديدة استندت على أسماء عربية، من خلال ترجمة 175 اسما، أو تحديد اسما مشابهة للعربية في 150 حالة، أو من خلال إبقاء الاسم العربي على حاله، وكان ذلك في ثماني حالات فقط، أما باقي الأسماء فكانت أسماء تاريخية ووصل عددها إلى 120 اسما، كما تم تحديد 50 اسما توراتيا، واستحداث 30 اسما جديدا (كيدمان، 2008، 52).

إلى جانب لجنة المسميات في النقب، أقامت الدولة مركز الخرائط الإسرائيلي، والذي كان يهدف إلى تحويل الخرائط إلى العبرية بكل ما تحمل من أسماء عبرية جديدة للحيز الفلسطيني، حيث أسمى بنبنشتي هذه العملية "طمس المشهد المقدس" (بنبنشتي، 2001).

واستمرارا للمجهود الإسرائيلي في عبرنة الأسماء، تم تشكيل لجنة حكومية في عام 1951، سميت بلجنة "المسميات"، وتأسست هذه اللجنة من خلال دمج اللجنتين السابقتين: لجنة الكيرن قييمت ولجنة النقب. وقد ضمت أعضاء كنيست، وشخصيات من الكيرن قييمت، ممثلين عن وزارة الداخلية، مؤرخين، علماء آثار، جغرافيين ومحاضرين في معالم البلاد ومتخصصين في اللغة العربية. وقد كان هدف

هذه اللجنة أن تورّد أسماء للمواقع في إسرائيل، سواء كانت تجمعات جديدة، شوارع جديدة ومواقع جغرافية أخرى أو حتى الأسماء التي كانت قائمة، وقد تطلب أخذ موافقة لجنة الأسماء لكي تكون رسمية.

كما في عمل اللجنتين السابقتين، فقد أولت لجنة المسميات الحكومية أفضلية "لإحياء أسماء عبرية تاريخية" (كيدمان، 2008: 53). وقد كان هدف اللجنة ربط مشروع المسميات بالمشروع السياسي اليهودي في البلاد، فاخترت الأسماء العبرية من خلال إحياء الأسماء العبرية القديمة للمواقع في فلسطين، وذلك للإشارة إلى الرابطة التاريخية بين الشعب اليهودي وبين فلسطين، إما من خلال استحضار أسماء توراتية وإطلاقها على مواقع معينة وذلك لتعميق الرابطة الدينية بين القادمين الجدد وبين البلاد، أو لإقناعهم أن فلسطين هي "أرض إسرائيل" التاريخية (بنبنشتي، 2001).

إن تشكيل لجنة المسميات الرسمية ومركز الخرائط الإسرائيلي كان يصب في نفس الاتجاه، ويشير عبد الكريم (2001)، إلى أن إسرائيل أصدرت خارطة معدلة للخارطة التي وضعتها حكومة الانتداب البريطاني عام 1944 بمقياس 1:100,000، وبلغ عدد أجزائها 16 جزءاً، لكنها لم تدرس منطقة النقب. فلجأت إدارة المساحة الإسرائيلية إلى زيادة 8 أجزاء على هذه الخارطة لتلاني النقص في خارطة الانتداب، ثم أجرت تعديلات على أطوال الأجزاء، فصدرت الخارطة الكلية بمجموعة من 26 جزءاً ومقياس الرسم ذاته، شاملة جميع المناطق من أقصى الشمال حتى إيلات على البحر الأحمر. وكانت الطبقات الإسرائيلية المتعاقبة لهذه الخارطة تحمل الأسماء العبرية التي تم إطلاقها على الأماكن الفلسطينية. وفي العام 1996 صدر في إسرائيل "أطلس الطرق" بمقياس رسم 100,000 على شكل كراس مكون من نحو 100 صفحة متضمناً بالمثل الأسماء العبرية للطرق والمعالم المذكورة في هذا الأطلس. يشير مرعي (2006) إلى الطرق العديدة التي استخدمتها لجنة المسميات الحكومية لصيغ المواقع بأسماء عبرية، ويوجزها كالتالي:

1. إحياء أسماء تاريخية قديمة من فترة التوراة والمشناة والتلمود وغيرها، وتحتوي هذه المجموعة على 350 بلدة، أي حوالي 40% من مجموع البلدات، وهي تتكون من خمس مجموعات ثانوية: أسماء بلدات جديدة دعت

بأسمائها التاريخية التي ذكرت في التوراة، أسماء بلدات ارتكزت على أسماء أبطال أو أنبياء ورد ذكرهم في التوراة، أسماء ذكرت في المشناة والتلمود، أسماء وردت في التوراة والتلمود وموجودة في المراجع العربية، وأسماء قديمة لمستوطنات حديثة تعود جذورها إلى لغات الشعوب التي سكنت هذه الديار في الحقبات التاريخية المتوالية (مرعي، 2006، 20-22).

2. أسماء مستوحاة من الطبيعة والبنية الجغرافية والأرض، وسميت 167 بلدة بهذه الطريقة، وهي تنقسم إلى مجموعتين ثانويتين، الأولى تصف الأسماء الطبيعية والفيزيوجغرافيا للمكان، كنوعية الأتربة ومصادر المياه والجبال والتلال والهضاب والمروج، والمجموعة الثانية هي بلدات تعود أسماؤها إلى فلاحا الأرض، مثل هزوريع (المصدر السابق، 23).

3. أسماء ذات طابع قومي صهيوني، وتضم هذه الطريقة 146 اسما، مثل مدينة هرتسليا، كريات بيالك وغيرها (المصدر السابق، 24).

4. أسماء عامة، وتضم هذه المجموعة 65 بلدة، وتعتمد الأسماء على معاني الابتكار والجد والنشاط (المصدر السابق، 25).

5. أسماء معارك وأعمال بطولية، وتضم هذه المجموعة 85 بلدة، وهي ترمز إلى أحداث هامة، مثل المعارك التاريخية للشعب اليهودي (المصدر السابق).

6. أسماء شخصيات أجنبية، حيث أولت لجنة التسميات أهمية لشخصيات أجنبية دعمت المشروع الصهيوني، وضمت هذه المجموعة اسم 17 موقعا (المصدر السابق، 26).

7. أسماء ذات أصول عربية، وتضم هذه المجموعة 59 اسما، حيث أقيمت هذه البلدات قرب بلدات عربية، والهدف هو عبرنة هذه الأسماء (المصدر السابق، 27).

استمرت إسرائيل في السياسة ذاتها في مناطق عام 1967 المحتلة. ويغلب على أسماء المستوطنات التي أقيمت على أراضي الضفة أسماء عبرية، تتشابه مع أسماء القرى الفلسطينية المحاذية لها. والأمثلة على ذلك كثيرة منها مستوطنة "نعة" المقامة على أراضي قرية نعلين قرب رام الله، وكذلك مستوطنة «عطيرت» المقامة على أراضي عطارة قرب المدينة، ومستوطنة "أدورا" قرب قرية دورا في الخليل،

ومستوطنة "جيبون" إلى الشرق من بلدة الجيب قرب القدس.

وبرزت عبرنة الأسماء تحديداً في مدينة القدس لما تحمل من مكانة خاصة عند اليهود، حيث تجري في القدس عمليتان: الأولى تهويد الأرض، والثانية تهويد التاريخ أو الأسماء (مصطفى ولطفي، 2007)، كما يؤكد هذا التوجه الباحث سعيد يقين (2008)، من جامعة بير زيت، في دراسة بعنوان "الحركة الصهيونية وخطر التصفية والتزوير الحضاري والتاريخي في منطقة القدس"، يقول إن: "الحرب الصهيونية الحالية تنطوي ومنذ قيام دولة الاحتلال على شطب وتشويه كل ما هو ليس يهودياً وتدمير الآثار التي مرت عليها القرون". وأشار يقين إلى ما تعرضت له أسماء المدن والقرى العربية من تزوير وتهويد، مؤكداً أن تهويد المسميات عملية منظمة تستهدف التزوير الأسطوري الهادف، وأن عملية التهويد هذه تتم عن طريق "سلطة تسمية الأماكن الإسرائيلية"، وهي الهيئة الوحيدة المناط بها هذا العمل.

وأوضح يقين أن أوجه التحريف الصهيوني للأسماء، تعتمد على عدة طرق منها ترجمة الاسم إلى العبرية (العبرنة) مثل جبل الزيتون إلى "هار هزيتم" وجبل الرادار إلى "هار دار" شمال غرب القدس، وغيرها. وأضاف أن هناك أسلوباً آخر وهو تحريف الاسم العربي ليلائم اسماً عبرياً مثل كسلا أصبحت "كسلون" والجيب "جبعون"، مشيراً إلى أن التحريف يتراوح بين استبدال حرف بآخر، إضافة أو حذف. وعُدَّ يقين أكثر من خمسين مثالا لتحريف أسماء بعض الأحياء والأماكن داخل المدينة المقدسة وحدها، مؤكداً أنها مجرد أمثلة وأن هناك مئات الأسماء العربية لمواقع مختلفة في القدس تم تزويرها (يقين، 2008).

وقد انعكست عبرنة الأسماء على الكتب الدراسية الإسرائيلية وذلك بغية محو الأسماء الفلسطينية من هذه الكتب، وذلك انسجاماً مع الرواية الصهيونية، انه لم يكن هنالك تراث وثقافة شعب قائمة في البلاد، ويشير علي الخبتي¹ في دراسته حول صورة العرب والمسلمين في كتب الدراسة الإسرائيلية، انه جرت عملية (عبرنة) واضحة لأسماء البلدان العربية في فلسطين، وذلك حتى يتعرف عليها الطالب على أنها عبرية في الأصل وليس لها تسمية أخرى. ولكي تدعم الكتب الدراسية في إسرائيل هذا التوجه نجدتها تورد خرائط عليها مدن وقرى وأماكن عربية

1 أنظر إلى:

http://www.islamonline.net/arabic/arts/200501//article06_09.shtml.

بأسماء عبرية. فعلى سبيل المثال تخلو اللغة العبرية الحديثة من كلمة "فلسطين" إلا بالشكل الذي يتفق مع التصور اليهودي الصهيوني، وبهذا يتم الربط بين الأرض واليهود والتاريخ اليهودي. ولهذا فكلما أشار يهودي إلى فلسطين، فإنه إنما يشير إلى "إرتس يسرائيل". وحتى لا يُحدث اسم فلسطين الذي يتردد الآن لبساً في ذهن التلميذ الذي يعرفها بأنها أرض إسرائيل.

تشير نصوص الكتب إلى أن اسم فلسطين اسم أطلقه الرومان على أرض إسرائيل لمحو اسم أرض إسرائيل؛ نكائيةً في اليهود وانتقاماً منهم: (أراد الرومان محو اسم اليهود من بلادهم؛ لذا أطلقوا اسم فلسطين على أرضنا نسبة إلى البلستيم القدماء). ويطلق مصطلح "يهودا والسامرة" على الضفة الغربية. ونجد أيضاً هذه الكتب الدراسية تجمع بشكل تام على تسمية المسجد الأقصى بـ"الهيكل". كما تسمي حائط البراق بـ"الحائط الغربي" أو "حائط المبكى" دون أية إشارة إلى علاقة المسلمين بهذا الحائط من قريب أو بعيد، وتدعي أن الحائط الغربي هو الأثر الوحيد الباقي من الهيكل وهو مركز الصلاة في القدس. وتم استبدال الأسماء العبرية بالأسماء العربية للمدن والقرى والأنهار والأودية والجبال والسهول والمناطق (أنظر للتفاصيل، أمانة ومرعي 2008).

في نهاية بحثها، الذي يحمل عنواناً يؤكد جوهر عبرة الأسماء "على جانب الطريق وعلى هامش الوعي"، تشير كيدمان إلى أن سياسة عبرة الأسماء للمواقع العربية عموماً، وللقرى الفلسطينية التي هجر سكانها عام 1948 خصوصاً، أدت إلى تأكيد الرواية الصهيونية وهامشية الرواية الفلسطينية، حيث تشير إلى أن الصورة العامة المنقولة للإسرائيليين مشتقة من الرواية الصهيونية المهيمنة: "بلاد يهودية مع قليل من التراث والتاريخ والجغرافيا العربية، فر سكانها العرب وهم لا يعنوننا" (كيدمان، 2008). وتضيف، "وهذا بالتالي ترك انعكاسات سياسية أنية، فتجاهل ملابسات تفرغ القرى من سكانها الأصليين إثر الزلزال الذي ضربهم عام 48 ونتأجه على اللاجئين حتى اليوم، يحيد البعد الإنساني لحالة فقدان الفلسطينيين وينزعه من صورة الصراع المتاحة للإسرائيليين". وتشير إلى أن عملية الإقصاء "تهدف لنفي العلاقة القائمة حتى اليوم بين الفلسطينيين وبين قراهم الأصلية، ولإسكات كل محاولة لبحث قضية اللاجئين وعودتهم".

جدول 9.1 - عينة عن تهويد وعبرنة الأسماء العربية للمدن الفلسطينية

الموقع التقريبي	الاسم العربي	الاسم العبري للمدينة
وسط الجليل الأعلى الشرقي	صفد	تسفات
الساحل الشمالي لفلسطين	عكا	عكو
على الشاطئ الغربي لبحيرة طبرية	طبرية	طفرياه
وسط الجليل الأسفل	الناصرة	نتسيريت
وسط غور نهر الأردن	بيسان	بيت شان
الساحل الفلسطيني الأوسط	قيسارية	كيساربه
منطقة حيفا	شفا عمرو	شفارعام
السهل الداخلي الجنوبي (مقاطعة عسقلان)	لاشيش	لخيش
الساحل الساحلي الأوسط	يافا	يافو
الساحل الساحلي الجنوبي	أسدود	أشدود
السهل الساحلي الجنوبي	عسقلان	اشكلون
السهل الداخلي الأوسط	الرملة	رملاه
السهل الداخلي الأوسط	اللد	لود
السهل الساحلي، جنوب حيفا، شمال غرب طولكرم	الخضيرة	حديرا
شمال الضفة الغربية	نابلس	شخيم
شمال الضفة الغربية	جنين	جنيم
جنوب القدس	بيت لحم	بيت ليحيم
جنوب الضفة الغربية	الخليل	حفرون
شمال النقب	بير السبع	بئير شيفع
أقصى جنوبي النقب	أم رشرش	ايلات
وسط البلاد	القدس	يروشلايم

المصدر: عبد الكريم، إبراهيم 2001.

9.3 خلاصة

يتضح من دراسة موضوع عبرنة الأسماء أن المشروع الصهيوني قبل عام 1948، والسياسة الإسرائيلية بعد ذلك، اهتمت بالذاكرة بصورة لا تقل عن اهتمامها بالتاريخ نفسه، وهذا احد مصادر قوة هذا المشروع، لان الذاكرة لا تقل أهمية عن التاريخ نفسه، وكتابة الذاكرة التاريخية في بعض الحالات أهم من التاريخ المجرد نفسه. وكانت عملية عبرنة الأسماء جزءاً من عملية إعادة تشكيل الذاكرة التاريخية من خلال مسميات عبرية بدل المسميات العربية التي كانت حاضرة في المشهد الفلسطيني.

إن هذه العملية تدل على محاولة إسرائيلية واضحة لترجمة الهيمنة السياسية الإسرائيلية واليهودية إلى هيمنة لغوية على المكان، بمعنى أن احتلال المكان لا يكتمل بدون احتلال الذاكرة واحتلاله لغوياً أيضاً.

بكلمات أخرى، أدت الهيمنة السياسية على فلسطين إلى هيمنة لغوية، أصبحت فيها العبرية الحاضرة والمهيمنة على المشهد العام، بعد أن قامت الحركة الصهيونية في فترة "اليشوف" وبعدها دولة إسرائيل بعبرنة المكان وطمس وتغييب العربية أينما أمكن. لا شك أن الصهيونية نجحت أيضاً في هذا المضمار، وأصبحت العبرية هي الحاضرة في المكان، بعد أن كانت أثراً بعد عين في هذه الديار.

وكما يقول الباحث الفلسطيني، ياسر سليمان (2004: 162)، في كتابه حرب اللغات:

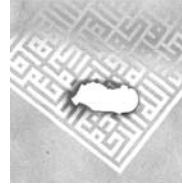
بإزالة معظم أسماء الأماكن باللغة العربية من الخريطة، لم تخلق إسرائيل فقط خريطة جديدة، وإنما رسمت أيضاً واقعا جديدا ربحت به العبرية المعركة على العربية... إزالة أسماء الأماكن من الخريطة سبب أيضا خسارة مجموعة من المعاني والتقاليد التي تعكس ارتباط الفلسطينيين بأرضهم.

ويقول إميل حبيبي في رواية "المتشائل" حول أسماء الأماكن والمواضع الفلسطينية التي تهدمت وطمست معالمها:

فساحة الحناطير في حيفا يصبح اسمها باريس ومرج ابن عامر يصبح اسمه 'سهل يزراعييل'، بينما تحمل عين جالوت اسماً مستمداً من التوراة 'عين حارود'. ومن سخريات المتشائل انه نتيجة لجهله بالعبرية حسب أن اسم مدينة حيفا الحبيبة قد تغيّر ليصبح 'مدينة إسرائيل' (حبيبي، 1989: 70).

الباب الرابع:
المشهد اللغوي

الفصل العاشر
المشهد اللغوي الحالي
في البلدات العربية



10.1 مقدمة

يشير مصطلح المشهد اللغوي وفق (لاندرى وبوريس، 1997) إلى جميع الأمور اللغوية التي تميز الساحة العامة، ومن ضمنها لافتات الطرق، أسماء المواقع، الشوارع البنايات الأماكن والمؤسسات. وتشمل أيضاً، لافتات الإعلانات، الإعلانات التجارية، وحتى بطاقات الزيارة الشخصية. ويتم تصميم بعض هذه المشاهد من قبل الدولة وتسمى لافتات عموميّة، والأخرى من قبل الشركات والهيئات والأفراد، وتسمى لافتات خصوصيّة. ويقدم المشهد اللغوي لبلد ما أو منطقة معينة أو مكان خاص بالمدينة، علامة متميزة لمنطقة تسكنها مجتمعات لغوية بعينها.

تعتبر دراسة المشهد اللغوي (language landscape) دراسة حديثة العهد، نشير بأن دراسة لاندرى وبوريس سنة 1997 وضعت اللبنة الأولى لهذا المجال. يصنف البعض هذا المجال تحت علم اللغة الاجتماعي (sociolinguistics)، وآخرون يعتقدون انه مجال قائم بحد ذاته. مهما كان موقع هذا المجال الجديد، إلا أنه استطاع في غضون سنوات قليلة استقطاب الكثير من الباحثين من تخصصات وحقول معرفية مختلفة للإسهام فيه (Gorter, 2006; Shohamy & Gorter, 2009). وتأتي أهميته بسبب التطورات الحديثة على المشهد العام والتكنولوجيا وتأثيراتها عليه، وكذلك مسألة العولمة. كل ذلك ساهم في ديناميكية المشهد اللغوي الذي يعبر عن التغيرات الحاصلة في المجتمعات المتأثرة من عوامل داخلية وخارجية.

تُعتبر دراسات بن-رفائيل، وشوهامي وأمارة وترومير-هخت (2004, 2006) دراسات ريادية في هذا المجال، حيث درسوا بعض جوانب المشهد اللغوي الإسرائيلي في العديد من البلدات (من البلدات العربية تم دراسة مدينتي الطيرة، الناصرة، والقدس العربية). رغم أن هذه الدراسات ألفت بعض الضوء على المشهد اللغوي الفلسطيني، إلا أنها لم تعط صورة دقيقة ووافية حوله، للأسباب التالية:

1. إن العينة لم تأخذ بعين الاعتبار التنوع في البلدات العربية المختلفة، سواء من الناحية الجغرافية، الديموغرافية، الاجتماعية والطائفية.
2. كان التركيز على اللافتات الخاصة والعامة، والمشهد اللغوي يشمل الكثير من المزايا اللغوية الأخرى.
3. لم تُفحص قضية الاستخدام اللغوي، أي الصيغ المستعملة والترجمة والنقحرة (نقل حرفي).
4. لم تُعط إجابات حول دافعية استخدام اللغات المختلفة، أي كان هنالك غياب للتحليل المعمق حول الدوافع لكتابة لغة اللافتات أو ترتيب اللغات فيها.

للإجابة عن هذه الأسئلة، أجريت دراسة شاملة حول ست مدن عربية، نُشرت في تقرير مفصل (للتفاصيل أنظر أمارة 2010أ)، وسأتناول في هذا الفصل بإيجاز مميزات المشهد اللغوي في القرى والمدن العربية.

10.2 مميزات المشهد اللغوي

في القرى والمدن العربية

لا شك أن الزائر للقرى والمدن العربية في إسرائيل، يتجلى له بوضوح أن المشهد اللغوي متعدد اللغات، وأن العبرية تعد لغة بارزة جدا فيه. ثم أن الاستعمال المكثف للعبرية موجود في جميع البلدات العربية ولكنه يختلف من منطقة إلى أخرى في مدى استخدامها. ما أدلى به زميل أكاديمي فلسطيني قدم إلى البلاد قبل عدة سنوات (لقد غادر القدس العربية إلى الأردن طفلا، ومن ثم انتقل إلى بريطانيا للدراسات العليا) يبين لنا مدى حضور العبرية على مشهدها اللغوي. ورد لديه:

عندما مررنا بالمثلث الجنوبي، وبالتحديد في مدينة الطيرة قال "ما هذه البلاد اليهودية التي تشابه البلدات العربية". لم أفهم في البداية ماذا قصد بقوله، ولكنه اتضح لي فيما بعد أن زميلنا لم يصدق ما رأته عيناه، بأن للغة العبرية حضور لدى العرب إلى هذا الحد.

في هذا القسم سنتطرق إلى مميزات المشهد اللغوي ومتغيرات أخرى مثل العبرنة، والهوية الفردية والجمعية، والعوامة. وإذا فحصنا التقاطع بين هذه المتغيرات وبين اللغات، يمكن الادعاء بشكل أولي أن حضور اللغة العربية يدل على حضور الهوية.

أما اللغة العبرية، فتدل على الحضور البارز للغة العبرية وتغلغلها في المشهد اللغوي العربي، بينما اللغة الإنجليزية وباقي اللغات الأجنبية على العموم، تدخل في حالة العوامة، أي التفاعل والتخاطب من العالم الكبير من خلال هذه اللغات (أمارة، 2010).

10.2.1 العبرية والعبرنة

يتميز المشهد اللغوي في المدن العربية بصراع لغوي واضح بين اللغتين العربية والعبرية، حيث تغزو العبرية المحيط اللغوي للفلسطينيين في إسرائيل في المحلات التجارية والمؤسسات المختلفة. فعلى الرغم من أن حضور العربية هو الأول (أنظر للتفاصيل أمارة، 2010)، إلا أن العبرية حاضرة بقوة على هذا المحيط، لا بل تهدد اللغة العربية. والخطورة هنا تتبع من حقيقة كون استعمال المفردات العبرية لا ينبع فقط من تفكير عقلائي لصاحب اللافتة، بل ربما ينبع أيضا من عدم استحضاره للمفردة العربية التي يريد التعبير عنها، وهي إشكالية لا تقل أهمية عن القرار النابع من تفكير عقلائي بوضع اللغة العبرية على اللافتة.

تتشترك ظاهرة كتابة كلمة هاتف أو الجهاز الخليوي في اللغة العبرية في اللافتات المكتوبة باللغة العربية، وكأن كلمة الهاتف أو الخليوي لا تكتب إلا بالعبرية. فالكلمات טלפון، פלאץ، ג'י، טלפק أصبحت مألوفة حتى في اللافتات أحادية اللغة- أي عندما تكون العربية هي اللغة الوحيدة على اللافتة في المشهد اللغوي الفلسطيني.

لاحظنا أن هنالك من يكتب الأسماء الشخصية باللغة العبرية في اللافتات

أحادية اللغة العبرية، فمثلا لافتة في إحدى المدن مكتوبة في اللغة العربية، ما عدا اسم صاحب المحل مكتوب باللغة العبرية.

ظاهرة الشارة أو الرمز: حضورها يكون إما باللغة العربية-العبرية أو العبرية-الإنجليزية، فالرمز هو خاصية أولية لصاحب الورشة أو المكان التجاري أو المكتب، فاختيار الرمز بلغة غير عربية يبين صيرورة تأكل اللغة العبرية من متكلمي اللغة العربية أنفسهم.

هنالك استعارة مكثفة لألفاظ من اللغة العبرية للتعبير عن نوع فعالية المحل التجاري أو المصلحة، ظهرت مصطلحات والتعبير مثل: بشرים عل האש، مדיה، سنטר، سפורت אליגנט، أفيه במקום، حמישה כוכבים، כניסה، סגור פתוח، בע"מ، מורשה משווק، אוכל מהיר، טסט، טיפול، أفيه במקום، מאושר ממשרד בריאות، אוכל מהיר، סוף עונה، מיזוג אוויר، טעם פעם תבוא כל פעם، כל דבר בשני שקלים، עמותה מוכרת، מבצע، שירות אדיب، זיל، זול כלבו، מחירים מיוחדים، לבוש מודרני، אופטיקה מודרנית، תקן אמריקאי، אלקטروניקה، גראפיקה، מספר 1 בארץ.

لا شك أن هذه الاستعارات تمثل قيماً إسرائيلية (مثل آل تווטר، מחשבים דרום)، وفهماً معمقاً للثقافة الإسرائيلية والانخراط بها. هذه العبرنة التي وصفت بعض من مظاهرها ومعالمها في دراسات سابقة (أمارة، 1999، 1999ب، 2006) هي بمثابة انعكاس لأسئلة لدى العرب مواطني إسرائيل. كما أن هذه الكلمات تدخل كثيراً في الحديث بين العرب الفلسطينيين، مما لا يدل على هيمنة العبرية فحسب، بل أيضاً على تداعيات الحضارة المرتبطة باللغة العبرية لا سيما الأسرة، فمثلا בע"מ هي مهيمنة جداً، وهي دالة على النظام الإسرائيلي، أما مصطلح آل تווטר (أي: لا تتنازل) فيشير إلى عدم التنازل عن شيء يعتبر قيمة عليا في إسرائيل، وهذه تستخدم في صيرورة الشراء.

فعمق العبرنة (أو الأسرة) يظهر ليس فقط في الاستعارة، وإنما بالفروع المختلفة لمحلات تجارية ومؤسسات تحمل أسماء عبرية. فوجدنا في المشهد على سبيل المثال فروعاً للسويفت فارم، محطات وقود بأسماء عبرية، فروعاً لشركة البلفون وسلكوم، فروعاً لكليات، فروع بنوك، إضافة إلى أسماء شركات استئجار سيارات، مطعم كبولسكي، ومحلات ملابس دلتا- تراكلين حشمال، ومدرسة سياقه عبرية، بيزك، بونجور، البلقان. وتعبير مثل: תקן ישראלי.

ظاهرة أخرى لا بد من الانتباه إليها، وهي كتابة العنوان للمحل التجاري في العبرية. هذه الظاهرة هي من تداعيات التأثير من المشهد اللغوي في البلدات اليهودية.

إن دخول هذه الشركات والشبكات على المجتمع العربي، وغزوها للمشهد اللغوي، وليس صدفة استعمال كلمة "غزو"، فهي كلمة استعملت حديثاً في الفكر العربي الحديث للتدليل على "الغزو الفكري" للأفكار الغربية على الثقافة العربية، وما تقوم به الشركات التجارية الكبرى بفروعها في المجتمع عملية "غزو" للمشهد اللغوي العربي من خلال الحفاظ على عناوينها الأجنبية حتى عند كتابتها باللغة العربية، تحمل قيماً استهلاكية، وفي نفس الوقت، وبشكل غير مباشر، تحمل مدلولات لغوية عديدة من جملتها:

أولاً، يمكن جذب نظر وانتباه الفرد لاستهلاك أية سلعة من خلال الأسماء التي لها تداعيات من الأسرلة مثل تراكلين حشمال، أو تداعيات من الشبكات العالمية التي أدخلتها إسرائيل مثل شبكة كبولسكي، فلا شك أن هذا التحول في بداية القرن الواحد والعشرين جاذب للنظر، وهذه الشركات تتأثر من المتغيرين اللذين أشرنا إليهما، متغير العولمة وما تحمله هذه الشركات من قيم استهلاكية جديدة على المجتمع العربي، وقيم العبرنة (أسرلة) بما تحمله من تأثير على المشهد اللغوي العربي.

ثانياً، تهديد اقتصاد التجارة العربية الفلسطينية في الداخل، نعني إدخال هذه الشبكات لا يعني فقط إضعاف التجارة المحليّة، بل هو تقوية النزعة الإسرائيلية من الناحية الاقتصادية، إضافة إلى اللغوية، فشركة بليفون، ثبتت الكلمة العبرية بدل كلمة الجوال، فهنا الهيمنة متجذرة لغوياً.

ثالثاً، إن دخول الشركات المختلفة يضعف الطابع العربي الفلسطيني، ويعطي تشابهاً مع الطابع اليهودي الإسرائيلي، فتري أن كثيراً من اللافتات في المشهد اللغوي الفلسطيني، يتشابه مع المشهد اللغوي الإسرائيلي في المدن اليهودية.

نخلص إلى القول أن العبرنة (والتي تعكس قيماً ومتغير الأسرلة) تأخذ حيزاً كبيراً في المشهد اللغوي الفلسطيني، الأمر الذي يؤدي إلى إضعاف الهوية الفلسطينية واللغة العربية بفعل عدم الاهتمام أو الإهمال عند العرب الفلسطينيين، وغياب الوعي للعلاقة بين قيم الاستهلاك وبين قيم العبرنة، وهي علاقة جديرة بالبحث في أبحاث مستقلة ومستقبلية.

10.2.2 خصوصيات عربية- فلسطينية

إن الخصوصية العربية-الفلسطينية هي التي تدل على مزايا أو قيم عربية وفلسطينية، حيث أن اللغة ليست وسيلة اتصال فقط، بل هي أيضاً انعكاس للقيم والعادات الاجتماعية والحضارية (Kramersch, 1998).

في هذا السياق، وجدنا لافتات دينية وثقافية تدعو إلى التسامح والمحبة بين الناس، نذكر على سبيل المثال عبارة أذكر الله، وعبارة المغفرة، لا للعنف، نعم للتسامح، أذكر الله. هذه اللافتات لها خصائص عربية فلسطينية¹. كل هذا، حسب رأيي، هو من تداعيات نشوء الحركة الإسلامية في الداخل، وعملها الدعوي والاجتماعي، ومن تداعيات حركات الإصلاح الاجتماعية التي قامت في البلدان العربية من أجل إصلاح ذات البين. فمثلاً لافتة "لا للعنف" تبين أن ظاهرة العنف منتشرة جداً، لذا فالمشهد اللغوي يكشف لنا أيضاً بعض الظواهر الاجتماعية السائدة.

ويظهر أيضاً موضوع الاتصال مع الدول العربية. فقد شاهدنا اسم محل تجاري "زهرة الخليج" نسبة إلى اسم مجلة فنون في الإمارات، وكذلك "الأوائل" أخذاً عن اسم إذاعة فضائية عربية تداع من مصر. وفي مدينة أخرى وجدنا "باب الحارة"، "علي بابا"، "ابن حيان"، "الدوحة"، "فتافيت" "هو اسم محطة تلفزيونية". فمعظم هذه الأسماء جاءت متأثرة بمشاهدة التلفاز وتصفح الشبكة العنكبوتية. فالأسماء التاريخية التي لها إرث حضاري وعلمي عربي هي غير موجودة ما عدا مرة واحدة فقط، وهي "ابن حيان" نسبة إلى العالم البصري (ت 815م)، وهذا الأمر حقا له علاقة بمتغير العولمة التي كانت إحدى سماتها ظهور الفضائيات العربية، والانكشاف الكبير للمجتمع العربي على هذه الفضائيات، مما أدى إلى تأثير المشهد اللغوي العربي بهذا الانكشاف. فالأمر ليس باعتقادنا متعلق بقرار تهيمش الأسماء التراثية أو الحضارية العربية، وإنما متعلق بحجم وعمق الانكشاف على حيزات لغوية أخرى. كما برزت المسميات العربية العامية مثل "كش كش"، وكلمات صاج ومنسف.

1 لها دلالة إسلامية؛ يعزى وضع هذه اللافتات إلى الحركة الإسلامية، وقد تأسست الحركة الإسلامية في بداية سنوات الثمانينيات، وأخذت على عاتقها تعليق اللافتات في سبيل تدويت القيم الإسلامية.

10.2.3 العولمة

إن العولمة هي من تداعيات تطور التكنولوجيا والعلوم ووسائل الاتصال، فقد بات العالم قرية صغيرة لا تحدها حدود أو حواجز (أنظر الفصل الثاني). ومن نتائج العولمة ظهور عناوين مواقع إنترنت أو البريد الإلكتروني في المشهد اللغوي. فقد شاهدنا في العديد من المدن العربية عناوين لمواقع إنترنت، إضافة إلى البريد الإلكتروني. وهذا إشارة واضحة للعولمة، فقد أصبح موقع الإنترنت والبريد الإلكتروني وسيلة اتصال رئيسة بين المستهلك والمحل التجاري. وهذا يبيّن أيضاً أن الاتصال من خلال البريد الإلكتروني بات وثيقاً بين جميع أفراد المجتمع، وينبئ ذلك بأنه سيكون في المستقبل وسيلة اتصال أساسية مثل الجهاز السلكي واللاسلكي.

تتجلى ظاهرة الغزو التكنولوجي والعلمي في المشهد اللغوي الفلسطيني، وذلك من خلال أسماء الشركات العالمية في الحاسوب وأنواعه وشركات الملابس والماركات العالمية. مثل الماركات Zorro, Bagir, Pierre Cardin, Tommy, Lacoste، حيث تظهر هذه المسميات بأسمائها الإنجليزية، وهذا يدل مرة أخرى على العلاقة بين قيم الاستهلاك وبين المشهد اللغوي. حيث أن المحلات تفضل إبقاء الاسم الأجنبي على اللافئة كجزء من الهوية، كما أن غياب شركات عربية يؤدي إلى هذا الوضع. من ناحية أخرى يرتبط الأمر بقرار عقلائي وهو غياب إمكانية تعريب هذه الكلمات، أو ترجمتها، أو حتى كتابتها باللغة العربية، لأن ذلك يفقدها قيمتها الاستهلاكية والتجارية.

برزت أيضاً في المشهد اللغوي أسماء محلات هي في الأصل أسماء مدن عالمية، "روما بيتسا"، "سان باولو" وهو مطعم، "ميلانو- بيتسا"، "ديلامور". وفي اللغة الإنجليزية تظهر كلمات مثل sale، على الرغم من إمكانية استبدالها بكلمات عربية مثل حملة تنزيل أو ما شبهه، وفي حالات أخرى استخدمت اللغة الإنجليزية ولكنها كتبت بأحرف عبرية לאיקין בגט، وظهرت استعارة من الإنجليزية نيوكلك وأيضا هنا بأحرف عربية، وظهر اسم كبولسكي، كلمة TOURS، بنك ديسكونت، وهي من اللغة الإنجليزية بمعنى التنزيل والحفض.

هنالك أيضاً كلمات نقلت حرفياً من الإنجليزية إلى العبرية وبقيت في اللافتات في المشهد اللغوي الفلسطيني סמל @، מדיה סנטר، סטאר، נט، סטאר، فهذا يبين

أن العبرية لم تنجح في نقل الحروف أو الترجمة، فيما استطاعت العبرية أن تحقق ذلك، حيث يظهر الصراع الحاد بين اللغة العربية والعبرية، وفيه الغلبة للغة العبرية التي أسرع بنقل الكلمات حرفياً من الإنجليزية إلى العبرية.

يبين التحليل الكيفي للمعطيات أن هنالك متغيرين يؤثران على المشهد اللغوي العربي في المدن العربية، المتغير الأول هو العبرية، وهو نابع من الهيمنة السياسية للغة العبرية على المحيط العام في إسرائيل، وكون اللغة العبرية جزءاً من المشروع الرسمي على المستوى الثقافي، الاقتصادي والسياسي. ورغم كون اللغة العربية لغة رسمية في إسرائيل إلا أن حضورها ضئيل جداً مقارنة مع اللغة العبرية في إسرائيل عموماً، التي تنافس اللغة العربية في المدن العربية أيضاً. أما المتغير الثاني فهو العولمة وتحديد قيمة الاستهلاك كما صاغتها العولمة في العقدين الأخيرين. والحديث بالأساس عن الهيمنة التجارية والاستهلاكية للمفاهيم العولمية على المشهد اللغوي العربي.

يجب التأكيد كذلك على أن جزءاً من القرارات التي تتخذ في المشهد اللغوي العربي هي قرارات عقلانية، نابعة عن قرار مسبق لصاحب اللافتة باختيار اللغة التي يريدونها وفق ترتيب ظهورها أو حجمها أو كميتها. وهنالك قرارات لا تتخذ بقرار عقلائي مسبق، بل تكون نابعة بالأساس من غياب المفردات العربية، ليس بسبب ضعف اللغة العربية، بل بسبب غياب جسم يهتم بهذه الشؤون حتى على مستوى المفردات التي تظهر على اللافتات. فعلى الرغم من اتساع مظاهر العولمة وقيمها في كل جانب من جوانب الحياة اليومية، إلا أن العبرية ما تزال هي التحدي الأساسي للغة العربية.

10.3 خلاصة

إن المشهد اللغوي الفلسطيني في إسرائيل يظهر ميزات ليست فقط لغوية، بل أيضاً اجتماعية وسياسية واقتصادية، على أساس أن اللغة ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالهوية الذاتية والجماعية.

رغم حضور العبرية البارز على المشهد العربي-الفلسطيني في إسرائيل، فاللغة العربية لها حضورها. بيد أن هنالك خطراً على اللغة العربية في المستقبل إذا كان

هنالك إهمال في زيادة حضورها، لأن اللغة العربية هي الوعاء والعمدة الرئيسية في ترسيخ الهوية الفلسطينية للعرب- الفلسطينيين في الداخل، فاللغة العربية تساعدهم على حفظ الرواية والذاكرة الفلسطينية، وهكذا تشكل العبرية التحدي الأساسي أمام حضور اللغة العربية وبقائها بل هيمنتها.²

العولمة هي توليفة من نتاج التقدم العلمي والتكنولوجي الذي يأخذ حيزاً في المشهد اللغوي الفلسطيني، وذلك من خلال ظهور البريد الإلكتروني أو الموقع في الشبكة العنكبوتية، وأسماء الماركات للملابس وغيرها، وذلك لجذب نظر الزبون من جهة، ومن أجل إظهار الهيبة والتقدم الحداثي للمحل التجاري. كما أن العولمة هي غزو ثقافي يغزو المشهد اللغوي بشكل سريع وطبيعي، وهذا ينبئ ليس فقط بخطر كبير يهدد الهوية الفلسطينية واللغة العربية.

2 فعلى سبيل المثال، قام وزير المواصلات بإعلان خطته في شهر تموز في عام 2009 في تهويد أسماء المدن العربية في اللافتات، وعبرنة الأسماء. فمثلاً بدل كتابة "القدس" يكتب يورشاليم. وهي تصريحات أثارت غضب العرب الفلسطينيين وجهات أخرى، لأن ذلك يعد جزءاً من عملية تهويد الأسماء العربية الفلسطينية. فقد أشار الباحث أن مشروع تهويد الأسماء هو مشروع عمره أكثر من مائة عام، وعليه فقد أسماه أماره بالمشروع الحديث القديم. ويؤكد أن هدف هذا التهويد هو صهر الرواية الفلسطينية، ومحو الذاكرة واللغة العربيتين، إضافة إلى ذلك هو استمرار لمصادرة الأرض والهوية. ثم تحول أماره للحديث عن رغبة اليهود في زيادة هيمنة اللغة العبرية، وتهميش العربية التي ما زالت عائقاً في تهويد فلسطين كلياً. لذلك فإن العرب الفلسطينيين يعيشون في حالة تحدٍ كبيرة، وخاصة في ظل إضعاف اللغة العربية من قبل السلطات الرسمية. للتفاصيل أنظر محمد أماره، "تهويد لافتات الطرق في إسرائيل مشروع عمره 100 عام"، مقابلة من تاريخ 2009/7/17، موقع إيلاف،

<http://www.elaph.com/ElaphWeb/AkhbarKhasa/2009462002/7/.htm>

عينات من المشهد اللغوي ال فلسطيني في إسرائيل



شارة ثلاثية اللغة: عربية، انجليزية وعبرية



شارة ثلاثية اللغة: عربية، انجليزية



شارة أحادية اللغة: انجليزية



شارة ثنائية اللغة: عربية وانجليزية



شارة أحادية اللغة: عربية



شارة ثنائية اللغة: عربية وعبرية



شارة أحادية اللغة: انجليزية



شارة أحادية اللغة: عربية



شارة ثنائية اللغة: عربية وانجليزية



شارة أحادية اللغة: عبرية



شارة أحادية اللغة: عبرية



شارة ثنائية اللغة: عبرية وعربية



שַׁרְתָּ תְּלֻּאִית לְלִשָּׁנָה: עִבְרִית, אִנְגְלִיזִית, וְעִבְרִית



שַׁרְתָּ תְּלֻּאִית לְלִשָּׁנָה: עִבְרִית, אִנְגְלִיזִית, וְעִבְרִית



שַׁרְתָּ תְּלֻּאִית לְלִשָּׁנָה: עִבְרִית, אִנְגְלִיזִית, וְעִבְרִית



שַׁרְתָּ תְּלֻּאִית לְלִשָּׁנָה: עִבְרִית, אִנְגְלִיזִית, וְעִבְרִית



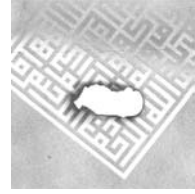
שַׁרְתָּ תְּלֻּאִית לְלִשָּׁנָה: עִבְרִית, אִנְגְלִיזִית, וְעִבְרִית



שַׁרְתָּ תְּלֻּאִית לְלִשָּׁנָה: עִבְרִית, אִנְגְלִיזִית, וְעִבְרִית

الباب الرابع:
المشهد اللغوي

الفصل الحادي عشر
المشهد اللغوي من منظور آخر:
حالة مدينة أم الفحم



تناولنا في الفصل السابق، بعض مميزات المشهد اللغوي في المدن العربية. وفي هذا الفصل، ولتعذر فحص ذلك في العديد من المدن، سنأخذ حالة أم الفحم وفحص مشهدها اللغوي من عدة زوايا، لنلقي ضوءاً آخر على مميزات المشهد العربي-الفلسطيني في إسرائيل. وبالرغم أن أم الفحم لا تمثل جميع المواقع، ولا نتوخى هنا التعميم، إلا أنها ولا شك تشترك في كثير من المزايا اللغوية-الثقافية مع كثير من مواقعنا الفلسطينية في الداخل.

11.1 أم الفحم: ¹خلفية

تتميز هذه المدينة بجبالها وتلالها المرتفعة. أشهر قممها هو "جبل اسكندر" الذي يصل ارتفاعه إلى 521م فوق سطح البحر، وهو بهذا يشكل أعلى قمة في منطقة

1 سميت أم الفحم بفعل صناعة الفحم في القرن الماضي فقد اشتهرت المدينة ببيع الفحم، وكان الفحم المصدر الاقتصادي المهم على مر الأجيال. لقد مثلت تجارة الفحم في تلك الفترة المصدر المعيشي الأول والأهم لسكان المدينة، لا سيما وأن الغابات والأحراج المحيطة بها إضافة إلى تلك التي تزين داخلها كانت ولا زالت تضيء على المنطقة طابعاً زراعياً. وقد ذكر اسم أم الفحم في ثنايا كتاب المقرئزي: السلوك لمعرفة دول الملوك، ففي العصر المملوكي في القرن الثالث عشر حيث أهدى السلطان المملوكي الظاهر بيبرس المنطقة لأحد أمراء الجيش باسم جمال الدين أكوش، وذكرت عند المؤرخ المقرئزي. بسبب توفر الأشجار في المدينة، ويستدل على الفحم بسبب التشابه مع أسماء بعض القرى القريبة إلى أم الفحم مثل قرية فحمة، باقة الحطب ودير الحطب وغيرها التي تدل على صناعة الفحم في المنطقة (جميل، وجدي حسن. 1988 أم الفحم واللجون: رحلة عبر الزمن، ص 5). للاستزادة والتوسع أنظر أيضاً الدباغ، الجزء الخامس. ص 174) فقد ذكر الدباغ أن أم الفحم كانت مغطاة بالأحراش الأمر الذي أفضى إلى صناعة الخشب. يوجد للمدينة اسم آخر وهو "أم النور". تذكر بعض المصادر بأن سكان المدينة خشوا من إمكانية تفسير الاسم سلبياً بمعنى "أم السواد/الحلقة" بسبب لون الفحم، ولذلك يطلق عليها أيضاً هذا الاسم الذي يناقض تماماً التفسير الأول السلبى. (جميل، 2006).

المثلث الشمالي وأعلى قمة من قمم جبال نابلس المحيطة بمرج "ابن عامر". يشرف هذا الجبل على مناطق واسعة الأرجاء وممتدة المسافات، سواء كان ذلك في مرج "ابن عامر" أو جبال نابلس ومناطق وقرى الضفة الغربية لنهر الأردن، أو جبال الكرمل وحتى الشاطئ عند قيساريا، مما كان له الأثر والدور الأساسي والتاريخي والعسكري لهذه المنطقة (جميل، 1998). وتميّزت أم الفحم وكثرة ينابيعها في جميع المناطق فقد سميت العيون، مثل عين الذروة، عين خالد، منطقة العيون الأمر الذي أدى إلى اشتهاً أبناء أم الفحم في الزراعة قى القرون الماضية (جميل، 1998: 5).²

تميّزت مدينة أم الفحم بامتدادها العظيم، وقد وصل مسطح أراضيها إلى 145 ألف دونم: من الشمال - بلدة العفولة، من الشمال الشرقي - بلدة رمانة، من الشمال الغربي - قرية لد العرب أو لد العوادين، من الشرق - قرية عانين، من الجنوب الشرقي - قرية عرعة، من الجنوب الغربي - قرية الكفرين وقرية المنسي. أما سلسلة جبال أم الفحم فهي امتداد لسلسلة جبال نابلس التي تمتد شمالاً حتى مرج ابن عامر ومن الجنوب حتى جبال القدس. أما اليوم فإن مسطح الأراضي في أم الفحم فهو 22,253 دونماً شاملاً القرى المحيطة بها: زلفه، الطيبة، سالم، مصمص، البياضه، مشيرفه، البيار، اللجون وكل أراضي الروحة.³

في عام 1960 حصلت أم الفحم على اعتراف بمجلس محلي وفي عام 1985 تم الاعتراف بها كمدينة، وتم إنشاء شركة اقتصادية في عام 1995 التي عملت جاهدة على إقامة مشاريع مختلفة في مجالات الاقتصاد، ومن بينها مشروع ابن بيتك، إستاند كرة القدم وتميّز بالطابع الديني وفيها صالة العرض والفنون.

لقد شهدت مدينة أم الفحم عدة أحداث منذ سنوات الثمانينيات، أدت إلى زيادة التوتر بين المدينة وبين المؤسسة الإسرائيلية ومن بينها: في عام 1984 قرر عضو الكنسيت اليميني المتطرف، مثير كهانا، دخول أم الفحم استفزازاً بأهلها وتم الإعلان عن الإضراب العام، وهب قرابة 30 ألف فحماوي وعربي ويهودي تقديمي للتصدي لكهانا وجماعته، وحشدت الشرطة تقريباً قرابة ألف شرطي في مواجهة أهل أم الفحم لمنعهم من إغلاق الطريق وتم منع كهانا من الدخول بقرار الشرطة خوفاً من

2 تتألف المدينة من حارات أربع: محاميد، حاجنة، جبارين، إغبارية. تتكون الحارات من عدة أحياء ومنها: الخضور، عين الذروة، عين إبراهيم، عين المغارة، عين الوسطى، الأوقاس، الشيكون، عين النبي، عين التينة، عين جرار، الشرفة، الست خيزران، اسكندر، العيون

3 دائرة الإحصاء الإسرائيلية المركزية - نهاية ديسمبر 2008.

عواقب وخيمة.⁴ ثم شهدت مدينة أم الفحم بدءاً من عام 1983 وحتى عام 1987 انهياراً شبه كلي للخدمات البلدية، وتدهور الحالة الاقتصادية وفي خضم هذه الحالة طالب المواطنون من أم الفحم بتحويل أم الفحم إلى مجلس بلدي بدلاً من قروي. يتراوح عدد سكان أم الفحم وفق عام 2006⁵ 42211، جميعهم مسلمون، والتكاثر الطبيعي لكل ألف نسمة هو %25.6، وعدد المدارس الابتدائية 12، أما الإعدادية 3 والثانوية 4، وعدد الحاصلين على شهادة البجروت %42 في عام 2006. ونسبة الذين استوفوا على شروط الجامعة %23. ومعدل الأجر الشهري للأجبرين 3380 شاقلا، في حين أن المعدل العام في إسرائيل قد بلغ 7324 شاقلا.

11.2 المشهد اللغوي في المدينة

في هذا القسم سنفحص المظاهر المختلفة للمدينة من مساجد، أسماء شوارع، مؤسسات تعليمية، الصحافة المحلية والمؤسسات الثقافية، أسماء المواقع، الصحافة المحلية والمؤسسات الثقافية، المؤسسات المجتمعية، اللغة في السياسة المحلية، اللافتات والمشهد اللغوي.

11.2.1 المساجد

بعض مسميات المساجد: عمر بن الخطاب، أبو عبيدة، أبو بكر، قباء، ابن مسعود. لا تعرف المساجد في المدينة بأسمائها الرسمية، بل باسم المناطق المتواجدة فيها، وهذا يعني أن التسمية اللغوية والتي من المفروض أن تحمل دلالات رمزية حول الشخصية، وما تحمل من تاريخ وتراث لا تأخذ حيزاً لدى الناس، بل أسماء المناطق التي تتواجد فيها المساجد، فمثلاً مسجد عمر بن الخطاب، معروف بمسجد المحاجنة، مسجد قباء معروف بمسجد "الشيكون"، مسجد أبي بكر، معروف بمسجد المحاميد، وهكذا دواليك غالبية المساجد في المدينة، بمعنى أن البعد الحارتي والحمائلي لا يزال يلعب دوراً فاعلاً في صياغة أنماط التفكير فيما يتعلق بالمسميات والدلالات اللغوية والرمزية التي تحملها هذه المسميات.

4 أنظر جميل (2006: 253). وحيدر، 2007.

5 وفقاً لمعطيات دائرة الإحصاء الإسرائيلية المركزية في نهاية ديسمبر 2008، قد بلغ عدد سكان المدينة 44,100 مواطن.

11.2.2 أسماء الشوارع

عند الدخول إلى مدينة أم الفحم والتجوال في شوارعها لا نجد لافتة واحدة تقريبا تحمل اسم شارع أو طريق، فالشوارع تحمل أسماءها التقليدية والتي تدل أيضا على موقعها الجغرافي المتعارف عليه في الذاكرة الشعبية، مثل: "شارع البير"، "شارع عين إبراهيم"، "شارع المرمالة"، شارع "عين النبي". ورغم أن بلدية أم الفحم قامت بتسمية الشوارع إلا أنها لم تقم بتعليق لافتات توضح أسماء الشوارع، كما أننا لم نجد أي بروتوكول يكشف لنا عن قائمة أسماء الشوارع المعتمدة. وبالرغم من أن البلدية قامت بهذه العملية منذ سنوات، إلا أنها لم تول أهمية لمثل هذا الموضوع وما يمكن أن يؤثر على المشهد اللغوي في المدينة.

11.2.3 المؤسسات التعليمية

نماذج من مسميات المؤسسات التعليمية:

المدارس الابتدائية: ابن سينا، الخيام، ابن خلدون، المنتبي، الزهراء، الخنساء،

المدارس الإعدادية: الرازي، الغزالي، واد النسور

المدارس الثانوية: الثانوية الشاملة، المدرسة الأهلية، مدرسة خديجة، ابن الهيثم.

أطلقت على مدارس أم الفحم مسميات ذات طابع إسلامي تاريخي، وبالأساس أسماء علماء مسلمين، وبخلاف على سبيل المثال، المساجد أو الشوارع فإن الأسماء المتداولة للمدارس هي مسمياتها الأصلية، فلا يتم تعريف مدرسة حسب منطقتها، بل يتم تداول الاسم الأصلي، وينبع ذلك ربما من وجود عدة مدارس في منطقة واحدة، أو بسبب أن الاستخدام الإعلامي والتداول الصحفي للمدارس يؤدي إلى غرس الاسم الأصلي في عقول الناس، فمن الطبيعي مثلا أن يتم تداول أسماء المدارس في الصحافة المحلية، لأن الأخبار حول جهاز التعليم في المدينة تكون عادة كثيرة، وهذا يجعل استخدام الناس لاسم المدرسة التي يتم ذكره في الصحيفة، طاعيا على استعمال اسم المدرسة حسب المنطقة، وهو ما كان في الماضي حيث تم استعمال

أسلوين في التعريف على المدارس في المدينة، الأسلوب الأول هو حسب المنطقة، مثل مدرسة "الجرف" للدلالة على مدرسة ابن سينا اليوم، أو من خلال تعريف المدرسة حسب مديرها.

يتضح أن مسميات المؤسسات التعليمية كما هو في معظم المؤسسات في المدينة تعود إلى أسماء تاريخية إسلامية خاصة لعلماء مسلمين، كانت لهم مساهمات علمية جديّة في المعرفة الإنسانية، إلا أننا لا نجد مسمى واحداً لمؤسسة تعليمية أو مؤسسة عامة تأخذ اسماً وطنياً فلسطينياً أو اسماً حديثاً ما عدا جمعية طه حسين للمكفوفين والتي أخذت هذا الاسم بسبب تماثل عمل الجمعية مع الاسم الكبير لطف حسين الذي كان ضرياً.

هنالك مؤسسات تعليمية وثقافية أخرى تحمل أسماء ومسميات رمزية، مثل السنابل، الأنوار التي تهتم بمكانة المرأة في المدينة، مؤسسة الكرامة، التي تعمل على التنمية الثقافية، جمعية التوعية التي تعمل في المجالات التربوية والتعليمية وغيرها من المؤسسات، وهذا يدل على أن المسميات لا تأخذ طابعاً فلسطينياً وإنما تاريخياً أو رمزياً من خلال إطلاق مسميات قيمة وليست مسميات فلسطينية.

11.2.4 الصحافة المحلية والمؤسسات الثقافية

تلعب الصحافة دوراً أساسياً فيما يسمى التنمية اللغوية (حجازي، 2000). ورد لديه:

إن أهمية وسائل الإعلام ترجع في المقام الأول إلى مخاطبة الجماهير، ولها من هذا الجانب دورها الحاسم في الاستخدام اللغوي. وهو دور قامت به على مدى القرون - وتقوم حالياً به - مؤسسات مجتمعية متعددة، منها المؤسسات الدينية والمؤسسات التعليمية والإدارة الحكومية. يثبت تاريخ اللغات الكبرى أثر هذه المؤسسات في تشكيل الحياة اللغوية (حجازي، 2000، 173).

وبشير حجازي (2008) إلى دور الصحافة في فلسطين تحديداً في الحفاظ على اللغة ورد لديه :

رعت الصحافة كل الإبداعات والنتائج الأدبية واللغوية، وأسست لمفاهيم جديدة في النشر حول الحدائق واللغة، وحول دراسة نشوء اللغة، والمقاربة بين اللغات، والتقارب والتباعد بين أحرف اللهجات، وحيوية اللغة وعصرنتها، وغير ذلك من أبحاث حياة وتطور اللغة العربية وآدابها. ولعبت الصحافة في مواجهة خطر الطورانية والتتريك دور لمدافع الأمين والقوي عن "العربية" فكانت حارسة لبقائها وحاضنة لتطورها في فلسطين وفي البلدان العربية أيضاً.

تطورت الصحافة المحلية في مدينة أم الفحم في السنوات الأخيرة بشكل كبير جداً، وفي أواخر الثمانينيات كانت تصدر صحيفة واحدة فقط وهي البلد، والتي أغلقت فيما بعد، ثم صدرت صحيفة المدينة القائمة حتى الآن وهي الناطقة بلسان الحركة الإسلامية، ثم صدرت صحيفة الروحة والتي أغلقت فيما بعد. والآن هنالك ثلاث صحف محلية وهي المدينة، الزمان والمسار. وفي مراجعة لمضامين هذه الصحف في شهر شباط 2009 تبين أنها لا تولي الحيز اللغوي اهتماماً، فلم نجد مثلاً مقالات عن اللغة العربية، ومقالات عن الدلالات اللغوية في المدينة، وعلى الرغم من أن الصحافة تلعب دوراً هاماً في تثقيف الناس، إلا أن مراقبتنا للمشهد اللغوي تبين أنها لم تؤثر على المشهد اللغوي كثيراً في المدينة. باستثناء تغيير بعض المصطلحات المتداولة عبرياً والتي أصبحت تتداول عربياً، وبالذات المصطلحات ذات الطابع البلدي، ونذكر على سبيل المثال مصطلحات مثل: الجباية، الموازنة المالية، العجز المالي وكلها مصطلحات تم تداولها في السابق باللغة العبرية. ويعود السبب إلى محدودية هذا الأمر إلى كون البلدية هي المؤسسة الفاعلة في المدينة في ظل غياب للنشاطات الأخرى في المدينة.

إن غياب الصحافة الثقافية في المدينة إلى جانب المؤسسات العلمية الثقافية والأدبية، أدى إلى إنتاج مشهد لغوي ريفي، وليس مشهداً لغوياً مدينيًا، ويرجع ذلك أولاً لأن أم الفحم هي قرية كبيرة كما هو حال باقي المدن العربية، أو بسبب غياب المؤسسات المدينية التي تثري المشهد اللغوي في المدن، مثل دور النشر، المقاهي الثقافية، المسرح وغيرها.

11.2.5 أسماء المواقع

تعتبر أسماء الحارات في مدينة أم الفحم أكثر الأسماء استعمالاً وأكثرها حضوراً في المشهد اللغوي الفحماوي، وتلعب الحارات عدة وظائف فهي من جهة تقسم المدينة جغرافياً وتقسّم المدينة عائلياً، فهناك تقاطع بين التقسيم الجغرافي والعائلي في أم الفحم.

تقسم مدينة أم الفحم كما أشرنا أعلاه إلى أربع حارات رئيسية: المحاميد، المحاجنة، المحاميد⁶ وإغبارية،⁷ ويعود أصل التسمية لهذه الحارات إلى الحمائل الأصلية التي سكنت مناطق مختلفة في مدينة أم الفحم، وقد انتقلت هذه التسميات لتشكّل جزءاً من تعريف الشخص الذي سكن منطقة الحمولة، بمعنى أن تسمية الحارات تحولت إلى جزء من تعريف الشخص على نفسه رسمياً وفي الحياة العامة. ليس هنالك حدود واضحة على الأرض تفصل هذه الحارات بعضها عن بعض، ولكن الناس تعارفوا عليها مع الوقت، إذن فن هذه التسميات للحارات في المدينة مرت بثلاث مراحل أساسية:

المرحلة الأولى: مرحلة كونها تعريفات نواتية لمجموعة صغيرة من الناس.

المرحلة الثانية: أصبحت تعريفات جغرافية للمكان الذين سكنوا فيه الناس وحملوا الاسم.

المرحلة الثالثة: أصبحت تعريفات عامة للناس عموماً الذين جاءوا وسكنوا المكان والحق بهم التعريف حسب المكان الذي سكنوا فيه.

6 الاسم محاميد مأخوذ من اسم محمود بن عبد العزيز السماقي - شقيق جبرين بن عبد العزيز وقد تفرعت عدة عائلات من نسل محمود بن عبد العزيز ، اغلبها سكنت في أم الفحم وبالذات المنطقة التي أصبحت تعرف باسم حارة المحاميد، وقسم آخر من نسل محمود رحل عن أم الفحم وسكن في مواقع أخرى في البلاد وخارجها (جميل، 2006)

7 اختلف المتحدّثون حول مصدر الاسم "إغبارية"، غير أنهم جميعاً يتفقون بأن الاسم مرتبط مع جد عائلات حي الإغبارية الكبرى وهو عيسى، جد عائلات موسى وبشير ومحمد وخليفات ويوسف والاختلاف هو حول مصدر الاسم إغبارية - ففي حين تعتقد الأغلبية أن مصدر الاسم هو بيت أغبار أو تل أغبار أو قرية غبار، وهي القرية أو البلد التي قدم منها عيسى قبل ما يقارب الـ 300 عاماً، وسكن في أم الفحم، فيما يروي السيد توفيق رشدي أن لعائلات إغبارية - أبناء عيسى - أقرباء في مدينة نابلس يدعون دار الأغبر، وحسب رواية هؤلاء فإن أصلهم من قرية يمنية تقع على الحدود اليمنية - السعودية واسمها اغبر أو أغبار ومهما يكن فإن عيسى الإغباري قدم إلى أم الفحم وسكن في المنطقة التي أصبحت تعرف باسمه، وعاش فيها وأولاده الذين أصبحوا حمائلًا وعائلات كبرى فيما بعد. (جميل، 2006).

في داخل الحارات هنالك أحياء صغيرة تشكل مبنى الحارة وتعددتها، فمثلا تتكون حارة المحاجنة مع إحياء مختلفة، مثل: راس الهيش، الباطن، عراق الشباب، الشيكون، البيادر، ولكل مسمى من هذه المسميات يحمل سببا منطقيًا للتسمية، فهنالك مسمى يطلق حسب تضاريس المنطقة التي تعارف عليها الناس مثل الباطن، وهنالك التسمية التي تطلق حسب نوع الوظيفة التي أداها المكان مثل البيادر أو "الشيكون"، الذي أقيم بشكل منظم لسكن الناس، وهنالك المسميات القديمة مثل راس الهيش.

جرت العادة في مدينة أم الفحم أن يتم إطلاق أسماء المواقع والأحياء حسب اسم النبع الجاري في المنطقة، وهذه التسمية مشهورة جدا في المدينة وفي هذا السياق نذكر على سبيل المثال لا الحصر:

حي عين النبي - الجبارين

حين عين الشعرة - إغبارية

حي عين خالد - محاميد محاجنة

حي عين التينة - محاميد

حي عين الوسطى - محاميد

حي عين إبراهيم - إغبارية

حي عين جرار - محاميد

كما أن هنالك التسمية التي تعود إلى اسم موقع مشهور في المدينة مثل حي اسكندر، وهو حي يقع على جبل اسكندر، وهي أعلى نقطة في مدينة أم الفحم، ويقع على هذا الجبل مقام اسكندر ويقال انه احد قادة صلاح الدين الأيوبي وقد دفن هناك وأقيم عليه زاوية دينية يرتادها أتباع الصوفية في المدينة. وقد أطلق اسم الجبل والحي على هذا المقام.

ويوجد في مدينة أم الفحم الأحياء النائبة وهي الأحياء غير المرتبطة تقريبا في المدينة ولكنها تتبع لسلطة بلدية أم الفحم، وهذه الأحياء هي:

حي المعلقة - محاميد

حي البيار

حي العرايش - محاجنة
حي سويسة - إغبارية
عين إبراهيم - إغبارية
عراق الشباب - محاجنة
ريزة كيوان - محاميد

11.2.6 المؤسسات المجتمعية

لا تزال مدينة أم الفحم في بداية تطورها المدني من حيث عمل ونشاط المؤسسات المجتمعية المدنية، يوجد في المدينة عدد من المؤسسات التي تهتم بقضايا مجتمعية داخل أم الفحم، هنالك مثلا جمعية طه حسين التي تهتم بشؤون المكفوفين في المدينة والتسمية جاءت على شرف اسم الأديب العربي الكبير الضرير طه حسين، هنالك مؤسسة الأنوار وهي مؤسسة تعنى بشؤون وقضايا المرأة في المدينة، هنالك مؤسسة الكرامة وهي مؤسسة تثقيفية سياسية تنمي الوعي والثقافة السياسية وجاءت الكرامة كجزء من تأكيد المؤسسة على تعميق الشعور بالكرامة الوطنية.

إلا أن المؤسسات المجتمعية الفاعلة في المدينة هي مؤسسات التابعة للحركة الإسلامية، هنالك عيادة النور الطبية، وكلية الدعوة والعلوم الإسلامية التي تدرس الشريعة الإسلامية ولغتها هي اللغة العربية، هنالك مطبعة الصراط وهي تسمية دينية واضحة، ومكتبة النور الإسلامية، وجمعية التوعية، وغيرها من المؤسسات التي تحمل طابعا ومسميات دينية تنسجم من الأهداف الدينية التي أقيمت لجلها. أما المرافق العامة فقد أطلقت على قسم منها مسميات ذات طابع ومدلولات خاصة لها، فمثلا سمي الأستاذ الرياضي في المدينة باسم استاد السلام للدلالة أن هذا الاستاد يهدف إلى بث قيم السلام بين الناس والشعوب، المكتبة العامة سميت على اسم العلامة المسلم ابن زيدون وذلك للدلالة على أهمية العلم واكتساب المعرفة.

11.2.7 اللغة في السياسة المحلية

منذ أوائل السبعينيات تجري في مدينة أم الفحم انتخابات محلية للمجلس المحلي ومن ثم للبلدية بعد أن تحولت إلى مدينة. تجري الانتخابات في مدينة أم الفحم منذ

عقدين بين حركات سياسية بالأساس، وفي بعض الأحيان تأخذ المعركة الانتخابية جانب التسييس أكثر من الجانب الخدماتي البلدي، وتطرح قضايا انتخابية عديدة وأجندات بلدية مختلفة، إلا أنه لم يتم طرح ولا في أي معركة انتخابية موضوع الفضاء والمشهد اللغوي في المدينة، من حيث المسميات، توثيقها، تعليق لافتات في الشوارع، الحديث عن أهمية اللغة العربية، وإحياء حركة أدبية لغوية.

في مراجعة لكل البرامج الانتخابية التي وزعت خلال الانتخابات المحلية للعام 2008 لم يتم ذكر بند واحد عن موضوع اللغة العربية أو المشهد اللغوي في المدينة، وحتى عندما يتم ذكر البنود المرتبطة بجهاز التعليم في المدينة فإنه يتم الحديث عن التعليم عموماً وتطوره إلا أنه لا يتم إفراد مساحة خاصة للغة العربية، على الرغم أن المعطيات تشير بأن تحصيلات طلاب المرحلة الابتدائية في المدينة حسب نتائج امتحانات "الميتساف" متدنية جداً.

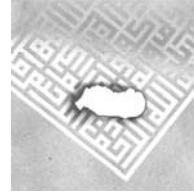
11.3 خلاصة

بيّننا في الفصل التاسع الأهمية التي أولتها الحركة الصهيونية، ومن ثم دولة إسرائيل في موضوع تسمية المواقع وإقامة لجان المسميات الحكومية في هذا الصدد، والتي تهدف إلى صياغة وعي جماعي وهوية جماعية، تستند إلى الذاكرة التاريخية والمشهد اللغوي هو جزء من هذه الذاكرة.

وكشف الفصل العاشر أن اللغة العبرية تزاخم اللغة العربية في المحلات التجارية والعديد من المؤسسات. لكن عندما فحصنا المواقع الأخرى في المشهد اللغوي في أم الفحم، كما جاء في أسماء المساجد، أسماء الشوارع، أسماء المؤسسات التعليمية، والثقافية، والمجتمعية، وأسماء المواقع، تبين لنا أنها مستقاة بغالبيتها من مصادر عربية، إسلامية، ومحلية. بإيجاز نقول رغم حضور العبرية والانجليزية في المشهد اللغوي العربي، إلا أن العربية ما زالت الحاضر الأبرز والأقوى في مجمل المشهد اللغوي.

الباب الخامس:
قضايا تعليمية- سياسية

الفصل الثاني عشر
اللغة العربية في
جهاز التعليم العربي



12.1 مقدمة

تلخص الينيسكو (2008) أهمية اللغة في المجتمعات متعددة اللغات "كجوهريّة لهوية المجموعات والأفراد ووجودهم الآمن... عامل إستراتيجي نحو تطور دائم وعلاقة متناغمة بين السياق العالمي والسياس المحلي".

فالفيلسوف السياسي المعروف وليام كيمليكا (William Kymlicka, 1995) في كتابه مواطنة متعددة الثقافات ميز ومايز بين حقوق الأقليات. فميز بين الأقليات القومية، كما هو حال العرب في إسرائيل، والأقليات المهاجرة، مثل ملايين الأتراك المتواجدين في ألمانيا والذين قدموا إليها في القرن العشرين لأسباب اقتصادية. فهو يدعي بأن التآكل التدريجي في لغات المجموعات المهاجرة يُنظر إليه كظاهرة حتمية وشرعية في عملية بناء الدولة القومية. لكن هذا ليس هو الحال فيما يتعلق بلغات المجموعات القومية، وبناء الدولة القومية لا ينطبق عليهم ولا يكمن استخدامه لتبرير تآكل لغاتها. هذا يعني أن للأقليات القومية الحق في المحافظة على لغاتها في الحيز الخاص والعام.

وتناقش بنتو (Pinto 2007, 2009) أن للعرب مواطني إسرائيل كأقلية قومية، خلافاً للأقليات الأخرى في الدولة، لهم مكانة متميزة، وذلك لان اللغة العربية هي المؤشر الأساسي بالنسبة لهويتهم الثقافية.

والحقيقة أن الفصل بين القيمة الأدائية للغة مقابل قيمتها الجوهريّة هي مهمة جدا في هذا السياق. فللغة العربية في إسرائيل، بالإضافة إلى قيمتها الأدائية، قيمة جوهريّة، أي أن لها هذه القيمة وليس ما يتمخض فقط عنها.

ففي دراسة لدفنة يتساحكي (2008) بينت بوضوح أن الأهمية المعطاة للغة العربية في إسرائيل ليست كونها لغة أقلية قومية، وإنما للقيام بوظائف أدائية لهذه اللغة في الحيز العام، وعندما تتعدها هنالك معارضة كبيرة لها بين اليهود.

12.2 مناهج اللغة العربية وإسقاطاتها على الهوية العربية

تم التعامل مع اللغة العربية في إسرائيل عامة وفي جهاز التعليم على وجه الخصوص من المنظور الأدائي النفعي للغة، وليس كمؤشر لأقلية قومية. فالأيديولوجية الصهيونية - اليهودية لعبت وما زالت دوراً هاماً فيما يتعلق بالتعليم والسياسات المتبناة. وقد حاولت إسرائيل، من خلال أيديولوجيتها وسياساتها، كما تنعكس في سياسات وزارة التربية والتعليم، أن تفصل القومية عن تعليم اللغة العربية (أي تفرغ تعليم اللغة العربية من الهوية والوعي القومي)، وأن تجعل قطاعات كبيرة من المجتمع العربي تنشأ على التربية العبرية (من خلال الاستخدام الزائد للثقافة والأدب اليهودي في تعليم العبرية، ظاهرة أسميتها أعلاه بالعبرنة في الفصول السابقة)، والتي كان وما يزال هدفها، خلق عرب موالين للدولة اليهودية، بدلاً من أن تخلق مواطنة حقيقية (أمارة ومرعي، 2002).

تم تطبيق تلك السياسة من خلال الأهداف التعليمية، البرامج الدراسية والكتب المقررة في جهاز التعليم. إن إحدى الأهداف الرئيسية للتعليم الإسرائيلي في المدارس العربية هو تفرغ التعليم العربي من مضمونه القومي. وفي هذا السياق، يقول الحاج (1996: 98): "بدلاً من تنمية المكون القومي - العربي، نشد صانعو السياسة تقوية المكون الثقافي - الديني، ومكون المواطنة الإسرائيلية". (أمارة ومرعي، 2004: 199).

تؤكد هذه السياسة على تعريف إسرائيل وتصورها على أنها دولة يهودية - صهيونية، وطبقت هذه السياسة من خلال البرامج الدراسية. بداية، ألغي استعمال البرامج الدراسية والكتب المقررة القديمة التي كانت مستعملة أثناء فترة الانتداب. ومن ثم، دأبت البرامج الدراسية، والكتب المقررة على تشديد سيطرة الدولة على محتوى التعليم العربي (الحاج، 1996). يظهر تحليل أهداف التعليم العربي والبرامج الدراسية والكتب المقررة، بوضوح أن الدولة عملت جاهدة على إضعاف الهوية العربية

الفلسطينية بين العرب (بيرس وآخرون، 1968؛ مرعي، 1974؛ لستك 1980؛ الحاج، 1996). لم تنجح هذه السياسات في طمس الهوية الجمعية العربية، لأنها وجدت لها طريقا خارج جدران المدرسة.

في ذات الوقت نحن ندرك ونقر أن هنالك إشكاليات موضوعية، غير مرتبطة فقط في المناهج التعليمية. فحال اللغة من حال الأمة، وحين تزدهر اللغة تزدهر لغتها محليا وإقليميا وربما أيضا عالميا. هكذا كان حال اللغة العربية عندما ازدهرت الحضارة العربية وكان للعرب دور في إنتاج الثقافة وتطوير العلوم. أما اليوم فحال اللغة العربية من حال أصحابها. فالنتائج في لغة العربية كلغة أم مقارنة بالمقاييس العالمية نرى أن الدول العربية دائما في أسفل السلم (على سبيل المثال امتحانات بيرلز، انظر الفصل الثاني). ما هي إشكاليات الوصول إلى كفاءة عالية في العربية المعيارية (أو الفصيحة)؟ نورد الأسباب الآتية، والتي عادة ما يوردها الباحثون.

1. ازدواجية اللغة (Diglossia) - تعتبر اللغة العربية حالة نموذجية لما يسمى "ازدواجية اللغة" أي وجود منظومتين لغويتين توازي إحداهما الأخرى: اللغة الفصحى (اللغة الأدبية ولغة التأليف) واللغة العامية (لغة التخاطب اليومي).

وهناك اختلاف كبير بين هاتين المنظومتين اللغويتين في قيمهما العاطفية والرمزية. كما أن هناك بونا لغويا بين هاتين المنظومتين. فالعامية هي اللغة التي يستخدمها الطالب في بيته، في الشارع، في ساحة المدرسة ومع أصدقائه.

إن كل طفل عربي يعرف منذ ولادته لغة الأم - اللغة المحكية، وعندما يلتحق بجهاز التعليم فإنه يتعلم لغة مكتوبة تشكل عبئا على من يتعلمها. فاللغة العربية تختلف في قواعدها وقاموسها اللغوي عن اللغة المحكية، لهذا على الطالب أن يتعامل مع لغتين مختلفتين في آن واحد.

الصراع الدائم بين اللغة المكتوبة واللغة المحكية راجع - إلى حد كبير - إلى الایدولوجيا التي تنادي بالحفاظ على نقاء اللغة العربية الفصحى، لغة القرآن. وهذا هو سبب فشل جميع محاولات الإصلاح اللغوي التي دعا إليها المثقفون ودارسو اللغة في العالم العربي.

2. اللهجات العربية - الجانب الآخر الذي تتسم به اللغة العربية هو تعدد اللهجات. يمكن تصنيف اللهجات العربية حسب الأقاليم الجغرافية في البلدان

العربية من المحيط إلى الخليج: دول شمال أفريقيا، الخليج، مصر والشرق الأدنى (أي بلاد الشام: سوريا وفلسطين). كما يمكن أن نتبنى تقسيما آخر بحسب التقسيم الديموغرافي وأنواع البلدات، أي اللهجات المدنية والقروية، واللهجات البدوية والتمدنية (الحضرية).

3. الشكل والمضمون - للحركات أو علامات الإعراب وظائف معينة من جانب ضبط الكلمات باللغة العربية، تتلخص بثلاث وظائف: فهي أولا تساعد على نطق الكلمة بالشكل الصحيح، وثانيا- تحديد دلالة الكلمة؛ وثالثا- تحديد وظيفتها النحوية (إعرابها). لذلك يجب الإلمام بعلم الصرف والنحو لفهم إعراب الكلمة ومعناها الصحيح في سياق النص.

4. القواعد العربية - من المعلوم أن النحو العربي مركب غاية التركيب ويجب حفظ الكثير من القواعد والأحكام ليتسنى لنا فهمه. لذلك نجد بأن الكثير من الطلاب ينفرون من اللغة العربية بسبب قواعدها، والتي تعتبر عبئا كبيرا في عملية التدريس.

5. الخط والإملاء باللغة العربية - إتقان الخط والإملاء باللغة العربية أمر غير سهل، لان هناك فرقا بين نطق الكلمة وكيفية كتابتها.

وكما أرى فإن هذا يعتبر جانبا واحدا في الإشكاليات. الجانب الآخر، ولربما الأكثر أهمية، عدم وجود سياسات تربوية واضحة تبين وترسم ما يلي:

1. اللغة العربية هي لغة الهوية القومية واللغة التي تربط العربي بماضيه، بحاضره ومستقبله. فالعربية هي اللغة الأساس لبناء الإنسان العربي القومي. الخطاب حول التعريب في شمال أفريقيا، لغة وهوية، كان في المسار الصحيح لكنه أصابه الوهن، ولم يسر بالقوة والدافعية الايديولوجية المطلوبة. فما زالت الفرنسية تنافس العربية في كثير من مناحي الحياة في المغرب العربي، لذا يجب أن يفهم الشباب العربي أن العربية هي لغة الحداثة ولغة الرب سوية.

لا يخفى على أحد أن هنالك صراعات قوية في العالم العربي بين المحدثين وبين المحافظين، والطريق طويل لان يكون هنالك حسم واضح بأي اتجاه تسير المجتمعات العربية. في هذا الواقع، لا توجد سياسات تربوية لغوية بشأن تعليم العربية كلغة الأساس وفي جميع المراحل. فإسرائيل، التي أحييت العبرية منذ سنوات، تعلم جميع

المواضيع في الاكاديميا. بينما في العالم العربي بالكاد تجد دولة تعلم جميع المواضيع في الجامعات والكليات باللغة العربية، هذا إن وجدت.

2. لغة بعدان: العملي والرمزي-العاطفي، فالوضع الاجتماعي في العالم العربي من فقر وبطالة لا يفسح المجال أمام تطوير المسائل الرمزية-العاطفية، منها المتعلقة باللغة.

3. اللغة تبدأ بالبيت حتى لو بدأ تعليمها الرسمي بمستويات أخرى في المدرسة. فالبيت العربي بسبب الفقر وانتساب الكثير من أبنائه إلى الطبقات الدنيا، لا يستطيع أن يوفر بيئة غنية للغة العربية، أو شراء الكتب، أو حتى توفير مسائل تكنولوجية كالحاسوب والإنترنت.

4. بيئة غير داعمة للغة الفصحى - في ظل مجتمعات نسب الفقر فيها عالية، والأمية تفوق أحيانا 50% لا توفر بيئة لغوية-ثقافية غنية.

باختصار، اللغة لا تبدأ ولا تنتهي بالمدرسة. البيت والمحيط القريب يوفران الدعم للغة إذا كانت غنية. فمزيج ما بين عوامل لغوية وسياسية-اجتماعية يفسر وضع اللغة العربية المتدني كلغة أم بالمقارنة مع لغات أخرى.

هل الوضع بين المواطنين العرب في إسرائيل أفضل منه في أماكن مختلفة في العالم العربي؟ المقارنة ليست سهلة، والظروف مختلفة جدا، من حيث عدد السكان والبيئات التعليمية. ولكن إذا افترضنا جدلا أن هنالك مكانا للمقارنة، فنقول إن الوضع حسب الامتحانات الدولية لا يبين فرقا كبيرا (أنظر الفصل الثاني). فالصورة إلى حد بعيد متشابهة رغم أن هنالك ظروفًا موضوعية تجعل وضع العربية بين العرب من مواطني إسرائيل صعبا.

فالدراسات التي أجراها أمانة ومرعي (1999، 2001، 2004) تبين أسباب الضعف في تحصيلات لغة الأم العربية، كما هو مفصل أدناه:

1. ازدواجية اللغة - في إسرائيل كما هو الحال في الدول العربية، تشكل ازدواجية اللغة عقبة كبيرة أمام الطالب، بحيث يتعذر عليه فهم اللغة في مراحل التعليم الأولى، ويزداد الوضع سوءا في إسرائيل، نظرا لكون العرب أقلية بين أكثرية يهودية، مما يعني محدودية استعمال اللغة العربية على الصعيد العام.

2. مكانة اللغة العربية - تعتبر اللغة العربية لغة رسمية في دولة إسرائيل، لكن هذه المكانة غير ملموسة على أرض الواقع. إذ يقتصر نفوذ اللغة العربية وقوتها في إسرائيل على المدن والقرى العربية نفسها. وعندما يغادر العربي بيته فإنه لا يعود بحاجة إلى لغته إلام، لأن اللغة العبرية هي السائدة في جميع المجالات الحياتية الحكومية والعامية.

3. اللغة العبرية - اللغة العبرية هي اللغة السائدة في الدولة. ويقتصر تداول اللغة العربية أساساً على وزارة التربية والتعليم والمؤسسات الدينية. أما في المجالات الأخرى فإن اللغة العبرية هي المتداولة. فضلاً عن ذلك نشير إلى تأثير العبرية الكبير على المثقفين العرب. إذ أن معظمهم يتلقون تعليمهم باللغة العبرية، ويشعرون براحة أكبر للتعبير عن أنفسهم خطياً أو شفهيًا بهذه اللغة. ثم إدخال المفردات العبرية إلى اللغة المحكية يعتبر أمراً عادياً في مفردات العرب اللغوية في إسرائيل. وكذلك استخدام اللغة العبرية بهذا الفضاء الواسع يأتي على حساب اللغة العربية كلغة أم ويضعف إتقانها.

4. تعلم ثلاث منظومات كتابية في آن واحد - يتعلم الطلاب العرب في نفس الوقت، وفي سن مبكرة ثلاث لغات. فعبء ازدواجية اللغة في لغة الأم يتأثر بتعلم اللغة العبرية كلغة ثانية والانجليزية كلغة أجنبية.

5. الأهداف التعليمية وكتب التعليم - إن وزارة التربية والتعليم هي المسؤولة عن التربية اللغوية في الوسط العربي. وقد اتبعت وزارة التربية والتعليم (حتى إصدار منهج التعليم الجديد في أوائل التسعينيات) سياسة تجعل تدريس اللغة العربية حياضاً تجاه أية مضامين عاطفية قومية، حيث تم التركيز على الجانب التقني الاتصالي في اللغة العربية. فلم تدرّس اللغة العربية كلغة أم قومية، وبإمكان الطالب أن يعبر من خلالها عن مشاعره القومية ويحافظ بواسطتها على ثقافته. وسعت أهداف التعليم إلى إبعاد الطالب عن الأمة العربية التي ينتمي إليها وتعزيز ولائه للدولة وأسرته.

6. تأهيل المعلمين - قسم كبير من خريجي فرع اللغة العربية وآدابها يتلقون تعليمهم في الجامعات الإسرائيلية وفي دور المعلمين العبرية، والتي يتم تعليم اللغة العربية فيها كلغة أجنبية، أما تأهيل المعلمين فإنه غير معدّ للعربية كلغة أم. وحقيقة فالوضع أفضل في دور المعلمين العربية التي تؤهل الطلاب الجامعيين

لتدريس العربية كلغة أم، حيث يطبقون ما يتعلمونه في المدارس العربية، الأمر الذي يسهل اندماجهم في التعليم عند انخراطهم في سلك التعليم.¹

12.3 ما دور اللغة العربية في جهاز التعليم العربي اليوم؟

كون اللغة العربية لغة رسمية، ولغة أقلية قومية وأصلانية،² تستحق مكانة خاصة وذلك للحفاظ على هوية الأقلية الثقافية، وتعزيز الرواية التاريخية. ما دور اللغة العربية حاليا في جهاز التعليم العربي؟ وما المطلوب لإحداث التغيير؟

علينا أن نوضح منذ البداية، بأن اللغة ليست وسيلة للاتصال فحسب، وإنما هي منظومة من الإشارات والدلالات أيضا. حيث تعد اللغة من أهم وسائل التنشئة الاجتماعية للفرد والمجموعة، بل أهم مكونات الهوية الفردية والجماعية. فهي ترسم الحدود الذهنية والثقافية والقومية بين الناطقين بها كلغة أم وبين "الآخر". ناهيك بأن اللغة موقعا ومكانا في الحيز العام: فكما كانت مكانتها عالية وبارزة فيه، كلما كانت قيمتها الرمزية وحيويتها من حيث التعامل معها واستخدامها أكبر (أمانة، 2006ب).

حاليا اللغة العربية هي لغة التدريس في المدارس العربية، وهذه تعتبر خطوة هامة لكنها ليست وافية، لأنها لا تقوم بوظيفة أساسية أخرى منوطة بها كلغة أم: بناء الهوية الجمعية على أبعادها المختلفة لتعكس بصدق شخصية الطالب العربي. فكثير من المناهج والمضامين مفرغة من الأبعاد القومية والدينية، والقسم الآخر لا يعبر عن هويته الجمعية وروايته التاريخية بصدق.

فلكي تصبح اللغة العربية لغة جوهرية في جهاز التعليم العربي وتحافظ على الهوية العربية الجمعية على أبعادها ومستوياتها المختلفة يجب إحداث التغييرات الآتية:

• كتابة المناهج التعليمية، أي الكتب التعليمية والوسائل المساعدة بالأصل ومباشرة باللغة العربية دون ترجمة- لأن الكثير من المناهج والكتب التعليمية

1 أنظر ورقة أيمن إغبارية (2010) حيث يتحدث بالتفصيل عن التحديات التي تواجه تأهيل المعلمين العرب وسبل مواجهتها.

2 هذا إضافة على أنها لغة المنطقة ولغة لنسبة لها اعتبارها بين اليهود الشرقيين.

مترجمة من العبرية أو متأثرة بها جدا. هذه الترجمات لا يمكن أن تلبى حاجات الطالب العربي وخصوصياته المجتمعية والهوياتية المختلفة عن المتعلم اليهودي. كيف، على سبيل المثال، يمكن ترجمة كتب الجغرافيا إلى العربية؟ المسألة ليست لغوية ولكن الاختلاف الكبير في الروايات التاريخية حول الأرض، ولا يمكن تبني ما كتب في العبرية في هذا المجال وغيره من المجالات المتشابهة. هذا يعني، أن هنالك خصوصية عربية لم تأخذ إلى الآن بالحسبان. أولا، هنالك حاجة إلى قسم مناهج عربي له خصوصيته واستقلاليته. ثانيا، يتوجب على هذا القسم أن يخطط وبشكل متناغم وشمولي ويربط ما بين المضامين والمواضيع المختلفة، على أن اللغة العربية حاضرة في عملية التخطيط. لكن هذا الجانب لم يتحقق حتى الآن. ففحص المناهج المختلفة والكتب المتنوعة في المواضيع المختلفة، يكسب القارئ الانطباع أنها حضرت في أقطار مختلفة ولا يوجد بينها ربط أو تناغم.

- استخدام اللغة العربية ليس فقط كلفة تدريس، وإنما استعمالها للتواصل اليومي بين جميع الأقسام في جهاز التعليم العربي وفي عملية اتصالها مع المدارس العربية. هذا الاستخدام من شأنه أن يحسن من مستوى الممارسات في اللغة العربية ومن ثم في التحصيل. إضافة إلى ذلك فالاستخدام المكثف للعربية يساعد على بناء الهوية الجمعية، بما فيها الهوية الثقافية. تنمو اللغة بالاستخدام والممارسة، وان لم تستخدم اللغة العربية في مواقع وسياقات مختلفة ستفقد مع الوقت من حيويتها وأهميتها، سواء من الناحية الأدائية أو الرمزية.
- تعزيز مكانة اللغة العربية في المدارس العربية
- تغيير السياسة التربوية اللغوية الحالية بحيث تصبح اللغة العربية اللغة المتعلمة الوحيدة حتى الصف الثاني، ويتم تعليم اللغة العبرية ابتداء من الصف الثالث واللغة الانجليزية من الصف الرابع. حاليا هنالك الكثير من المدارس التي تبدأ بتدريس العبرية من الصف الثاني والانجليزية من الصف الثالث. هنالك حاجة لتمكين الطالب العربي من لغته الأم كتابة وقراءة قبل البدء بتعليم لغة أجنبية.

- تعزيز اللغة العربية كجزء أساسي من البيئة التعليمية- إن مناهج اللغة العربية القديمة اعتبرت موضوع اللغة العربية وما يدور داخل الصف الحيز الأساسي لتعلم اللغة العربية السليمة. هذا المفهوم لتعليم اللغة لا يساعد على خلق

ظروف مساعدة لتعلم اللغة. هنالك حاجة لبيئة تعليمية داعمة لخلق شروط أفضل لتعلم اللغة. فمنهاج التربية اللغوية الذي صدر حديثا (منهج التربية اللغوية، 2008)، يؤكد أن التعلم الفعال يتم ليس فقط خلال جدران الصف، وإنما بتنمية بيئة تربوية داعمة للغة العربية. هذا الأمر يتطلب توفير الشروط المساعدة لتعلم اللغة، إحداث تغيير بالمواقف تجاهها وربطها عضويا بالهوية الجمعية.

12.4 خلاصة

للغة دور أساسي في حياة الأفراد والمجموعات، وتلعب اللغة في البيت والمدرسة دورا هاما في عملية التهيئة الاجتماعية. فاللغة العربية هي لغة تمكين لأبناء المجتمع العربي-الفلسطيني في الداخل على المستوى الأدائي، وذلك للحراك الاجتماعي، وعلى المستوى الرمزي كمؤشر هام لهويتهم الجمعية.

لم تف اللغة العربية في جهاز التعليم العربي بالدور المنوط بها إلى اليوم، كلغة أقلية قومية وأقلية أصلانية لها الحق في المحافظة على هويتها بأبعادها ومستوياتها المختلفة. اللغة العربية هي لغة التدريس في المدارس العربية، ولكنها لا تؤدي جميع الأدوار لتلبية الحاجات المجتمعية والهوائية للتعلم، وفي أغلب المناهج والمضامين والكتب التدريسية هنالك محاولات واضحة لإفراغها من مكوناتها القومية والدينية.

ففي هذه الرؤية، اللغة العربية يجب أن تكون لغة التواصل في الجهاز العربي في كل أقسامه كلغة التخاطب وكلغة بناء المناهج والمضامين. يجب أن تعزز اللغة العربية في غرفة الصف والبيئة المدرسية عامة، وأن تكون هنالك مناهج ومضامين كتب تعليمية ووسائل مساعدة معدة مباشرة وبدون ترجمات من اللغة العربية.

الواقع الحالي نتاجه محدودة تحصيليا، فيه الكثير من الإشكاليات القيمة. فالطرح في هذا الفصل ينبغي تغيير السياسات التربوية الحالية، وعلى رأسها القضية اللغوية والهوائية، وذلك بهدف تشكيل من جديد الفضاء البيداغوجي-التربوي لجهاز التعليم العربي.

إن مسألة اللغة ترتبط ارتباطا عضويا بقضية الهوية، وطرحي في هذا الفصل أن اللغة مهمة ليس فقط في التربية اللغوية، وإنما تتعداها للتقاطع مع جميع المناهج التعليمية، المضامين، الكتب التعليمية والوسائل المساعدة.

الباب الخامس:

قضايا تعليمية – سياسية

الفصل الثالث عشر

تدريس اللغة العربية في المدارس اليهودية:

بين الاعتبارات الأمنية والاعتبارات المدنية



13.1 مقدمة

تشير هالبرن (2006):

على ما يبدو أن العربية خدمت ثلاثة خطابات أساسية في فترة اليشوف. أولاً، العربية كأداة قومية-رومانسية- أي وسيلة لربط الشعب اليهودي بقوة لماضيهم السامي من خلال معرفتهم للقواعد السامية، للتاريخ الشرق أوسطي، وللتاريخ اليهودي في العصور الوسطى. ثانياً، العربية كانت أداة للتحديث، وهي الأداة الأهم بواسطتها وبإمكان الصهاينة نقل مضمون برنامجهم للعرب. ثالثاً، العربية كانت أداة إستراتيجية- أي وسيلة لبناء جسم منهجي من المعلومات حول العرب، للقيام بفاعليات استخبارية عسكرية، ولبناء جهاز ليتعرف على ويتنبأ نزعة الفعاليات العربية. (Halprin)

(2006: 485)

كان الخطابان الأول والثاني ايجابيين يكمن فيهما محاولة للارتباط بالماضي وبالأصول السامية، وتشجيع العرب نحو التحديث. أما الخطاب الثالث فهو خطاب سلبي، خطاب الأمن ولغة العدو. سنبين في هذا الفصل أيًا من الخطابات هيمن على تدريس اللغة العربية.

إن تدريس اللغة العربية في المدارس اليهودية هو ضرورة ملحة، ويمكن الإشارة إلى أسباب عديدة تدعم هذا الرأي، أولاً: يتحدث أكثر من 17% من سكان الدولة اللغة العربية، ثم أن تعليم العربية في المدارس اليهودية، ربما يقلل من حدة التوتر القومي داخل إسرائيل، أما السبب الثاني فإن إسرائيل تتواجد في منطقة عربية، أي منطقة الشرق الأوسط والتي يتحدث غالبية سكانها اللغة العربية. ثالثاً: يشكل نصف المجتمع اليهودي أبناء الطوائف الشرقية الذي يتأثر قسم منهم من اللغة

والثقافة العربية. رابعاً: إن المرحلة ما بعد تحقيق السلام تتطلب تطويراً للعلاقات الدبلوماسية الاقتصادية الثقافية، وهذا الجانب يتطلب من المجتمع اليهودي تعلم اللغة العربية وذلك للتواصل مع العالم العربي في هذه المجالات. خامساً: تشكل اللغة العربية لغة هامة من الناحية العلمية والثقافية، حيث شكلت في عصور سابقة لغة العلم وأنتجت الكثير من العلم، والتعرف على هذه اللغة هو مكسب علمي هام (أمارة وآخرون، 2008: 4).

على الرغم من الأهمية التي ذكرناها لتعليم اللغة العربية في المدارس اليهودية، إلا أن هذا الأمر لا يتم بالشكل الصحيح أو المناسب، وذلك على مستويات عدة، على مستوى الاهتمام الرسمي الحكومي بتدريس اللغة العربية، على مستوى الاهتمام الجماهيري بهذا الموضوع، وعلى المواقف والانطباعات العام من اللغة العربية الذي يتميز بانطباع سلبي وآراء مسبقة حول اللغة العربية والثقافة العربية. هذه الأمور لا تساهم برفع مكانة اللغة العربية في المجتمع الإسرائيلي، والواقع الإسرائيلي بعيد كل البعد من حالة الثنائية اللغوية، العبرية-العربية.

لا شك أن اللغتين العربية والعبرية هما اللغتان الرسميتان الوحيدتان في إسرائيل، إلا أن مكانة اللغة العبرية في الحيز العام أرفع مكانة من اللغة العربية، فهي لغة ديناميكية ومهيمنة في إسرائيل، وقد قام أمارة وسبان بتفصيل هذه المكانة على المستوى القانوني والسياسي واللغوي في أبحاثهما (أمارة وسبان، 2002، 2004).

يبين الواقع الإسرائيلي أن هنالك اختلافاً بين الاعتراف الرسمي للغات في الدولة، وبين مكانتها، فإسرائيل تعترف بحق جماعي واحد للعرب فيها، وهو الحق اللغوي، إلا أن إسرائيل ابعدها ما يكون عن اعتبارها دولة ثنائية اللغة.

على كل حال، لا تولى أهمية كبيرة لتدريس اللغة العربية في المدارس اليهودية، على الرغم من القرارات الكثيرة على مستوى وزارة التربية والتعليم أو لجان التربية والتعليم في الكنيسة، لتحسين هذا الموضوع في المدارس اليهودية. وتشير التطورات التاريخية والتحويلات التعليمية التي مرت على تدريس اللغة العربية، بأن للاعتبارات الأمنية، وللجيش الإسرائيلي وأطره التعليمية كان دوراً هاماً في إبقاء تدريس اللغة العربية (أمارة وآخرون، 2008)، وهذا الأمر يدل على التوجه العام في المجتمع الإسرائيلي فيما يتعلق بتدريس اللغة العربية.

13.2 تدريس اللغة العربية

أثار تدريس اللغة العربية للطلاب اليهود نقاشا كبيرا في أوساط اليهود منذ بداية القرن العشرين، فقد كان هنالك من يعارض هذا الأمر لاعتقادهم أن ذلك سوف يؤدي إلى تصدع الهوية اليهودية وانجرارها نحو التمشرق، وهنالك من اعتقد بأهمية تدريسها، لاعتقادهم بأن تدريسها هو جزء من تأقلم المجتمع اليهودي في المنطقة (Elbaum-Dror, 1986).

وقد استمر هذا النقاش بعد قيام الدولة، حيث لم يساعد الجو العام، أي الصراع العربي-الإسرائيلي، على تعليم اللغة العربية في المدارس اليهودية، كما ساهم وجود لغات أجنبية منافسة مثل الانجليزية والفرنسية بتهميش اللغة العربية ومسألة تدريسها في المدارس اليهودية (Spolsky & Shohamy, 1999). لقد تم إهمال اللغة العربية في المدارس اليهودية لان عملية بناء الأمة والهوية الجماعية كان يتطلب ذلك. في هذه الحالة كان على العرب، وكجزء من بناء الهوية اليهودية الجماعية أن يبقى الآخر "هو العدو وليس الصديق، لهذا السبب فان تعليم اللغة العربية كحالة مدنية ثقافية كان سيعيق عملية بناء الهوية الجماعية اليهودية الجديدة.

أقامت وزارة التربية والتعليم الإسرائيلية الكثير من اللجان التي فحصت موضوع تدريس اللغة العربية في المدارس العربية (انظر إلى ملخص توصيات اللجان لدى أمانة وآخرين، 2008، ويوناي، 1992)، ويمكن القول أن نتائج عمل هذه اللجان، إضافة إلى عمل الطواقم المهنية المختلفة ذات الصلة يشير إلى أربعة عوامل أثرت ولا تزال على مسألة تدريس اللغة العربية في المدارس اليهودية:

أولاً: النقاش المحتدم بين رجال التربية واللغويين حول الأفضلية في التدريس، اللغة المحكية أم اللغة الفصحى، هذا النقاش لا يزال محتدما حتى الآن.

ثانياً: فهو مكانة اللغة في وعي الطلاب والمجتمع اليهودي ومواقفهم تجاهها والتي تتسم بالسلبية.

ثالثاً: الصراع العربي-الإسرائيلي وتأثيره على تعلم اللغة.

رابعاً: مكانة اللغة العربية الرسمي من جهة، وتطبيق هذه المكانة في الحيز العام من جهة أخرى، وفي الحالتين فان وضع اللغة العربية ضعيف جدا.

تشير المعطيات انه في عام 2004 درس 1700 طالب اللغة العربية فقط في المدارس الابتدائية اليهودية، ويرتفع عدد الطلاب في المرحلة الإعدادية حيث يصل إلى 142 ألف طالب، وذلك بسبب إلزامية تعليم اللغة في المرحلة الإعدادية، ثم يعود عدد الذين يدرسون اللغة بالتراجع في الصف العاشر ليصل إلى 19 ألف طالب، وإلى ثلاثة آلاف في الصف الحادي عشر، وإلى 2500 طالب في الصف الثاني عشر (أمارة وآخرون، 2008).

كما ويشير تقرير وزارة التربية والتعليم إلى أن 80% من مدارس التيار التعليمي الرسمي الديني لا يدرسون اللغة العربية، وأن 27% من المدارس اليهودية الرسمية لا تدرس اللغة العربية، ويشير تقرير لوحدة تطوير تدريس اللغة العربية في وزارة التربية والتعليم، انه من بين ألف مدرسة في الوسط اليهودي (الرسمي والرسمي الديني)، ثمة 55% من المدارس فقط يجري فيها تدريس اللغة العربية (وزارة التربية والتعليم، 1996).

لقد كان هدف المؤسسة الإسرائيلية من تدريس اللغة العربية هو بالأساس الاعترافات الأمنية وليس الاعترافات المدنية أو الثقافية، ليس للتعرف على ثقافة الآخر، بل التعرف على العدو، كانت العربية بالنسبة لليهود لغة العدو وليست لغة الجار. ففي عام 1961 قال مفتش اللغة العربية صراحة بأن الدوافع لتدريس اللغة في المدارس اليهودية هي دوافع أمنية بالأساس (يوناي، 1992)، لهذا السبب دُرست العربية بشكل محدود جدا في المدارس اليهودية، كما أن تدريسها كان اختياريا حتى عام 1986، وقد لعبت الأجهزة الأمنية الإسرائيلية بالذات الدور الأساس في الدفع لتعليم اللغة العربية لحاجتها للكوادر المهنية التي تقرأ وتفهم اللغة العربية، وهذه هي مفارقة مسألة تدريس العربية في المدارس اليهودية، فالذي دفع في اتجاه تدريس اللغة كانت الأجهزة الأمنية التي كانت تحمل دوافع أمنية، أما وزارة التربية والتعليم فإنها لم تهتم بالأمر بالشكل المناسب والايجابي.

في عام 1986 قام زير التربية والتعليم حينها "يتسحاق نافون" بتحويل تعليم العربية كمادة اختيارية إلى مادة إجبارية في المدارس اليهودية، ولكن لم يتم تطبيق هذا القرار في كل المدارس اليهودية، وذلك بسبب نقص المعلمين في هذا التخصص، أو بسبب الانطباع العام السلبي صوب اللغة، وعدم رغبة الطلاب والأهل بتدريس اللغة في مدارسهم.

شكل عام 1986 تحولاً إيجابياً في تدريس اللغة العربية في المدارس اليهودية، فمن جهة أصبح تدريس اللغة إلزامياً وليس اختيارياً، ومن جهة أخرى تم مؤسسة تدريس الموضوع من خلال إقامة إدارة خاصة في وزارة التربية والتعليم تعمل على تطوير تدريس اللغة العربية وثقافتها، وقد سميت هذه الوحدة "شيفعت"، وحسب السياسة التي صيغت في عام 1986، فقد تقرر البدء بتدريس اللغة العربية الفصحى في الصف السابع، وكان التجديد في هذه السياسة التعليمية هو الدمج بين تدريس اللغة العربية وبين تدريس الثقافة العربية، والتربية على التسامح بين العرب واليهود، وقد أخذت هذه الإدارة التربوية تنفيذ قرارات لجنة "بيامنتا" من عام 1977.

3.3 مواقف اليهود نحو اللغة العربية

بينت معظم الأبحاث التي أجريت حول مكانة اللغة العربية في المدارس اليهودية أن مكانتها سلبية، لا بل أن الطلاب يعتبرون من يتكلمونها بأنهم أقل شأنًا، لهذا لا يعتقدون أن هنالك حاجة لتعلمها في مدارسهم (بن رفائيل وبروش، 1991، كريم، 1990، كريم وأولشتاين، 1994). هنالك من يعتقد بأن غياب الرغبة في تعلم اللغة العربية في المدارس اليهودية، يعود إلى كون تعلمها لا يساهم في الحراك والتقدم الاجتماعي-الاقتصادي لدارسها كما هو الأمر بالنسبة للغة الانجليزية، مثلاً. فأهمية اللغة العربية في نظر الطلاب اليهود تنبع بالأساس لاعتبارات أمنية، وإن درسوها فإن دافعهم هو دافع أمني للتقدم في الجهاز الأمني أو العسكري الإسرائيلي (Cooper and Fishman, 1977).

قام بروش (1988)، بفحص العلاقة بين المواقف تجاه اللغة العربية وبين تدريسها، ووجد أن مواقف غالبية الطلاب في العينة تجاه اللغة وناطقها هي سلبية في بداية التجربة وفي نهايتها، ووجدت كل من كريم وأولشتاين (1994) نتائج مشابهة حيث أشاروا إلى أن الطلاب يفضلون تعلم الفرنسية مقارنة مع العربية، لأنها تعتبر لغة ذات مكانة مرموقة.

أما في بحث ليفي وميرو (1995)، فقد توصلنا إلى نتائج أكثر إيجابية، حيث أجري بحثهما على عينة من طلاب المدارس اليهودية التي تدرس فيها اللغة العربية بداية من الصفوف السابعة ووصولاً إلى الصفوف الحادية عشرة، وقد تم اختيار عينة

من 40 صفا من المرحلة السابعة و40- صفا آخر من الصفوف التاسعة، وتبين من البحث أن 55% من الصفوف السابعة و62%- من الصفوف التاسعة أشاروا أنهم "يحبون" أو "يحبون كثيرا" موضوع اللغة العربية.

يظهر لأول وهلة أن هذه النتائج ايجابية، ولكن عند مقارنتها مع المواضيع الأخرى يتضح لنا بأن المواضيع التعليمية الأخرى تحظى بتقييم ايجابي أعلى بكثير من اللغة العربية. فقط للمقارنة يتضح أن 92% من الصفوف السادسة و78%- من الصفوف السابعة أشاروا إلى أنهم "يحبون" أو "يحبون كثيرا" تعلم الانجليزية.

فحصت شوهامي وشميدت (1998) في دراستهما مواقف اليهود تجاه اللغة العربية، ومواقف العرب تجاه اللغة العبرية، وقد تبين أن غالبية اليهود أرادوا تعلم الانجليزية أو لغات أخرى، وأقلية فقط فكرت بتعلم العربية. في المقابل، فان غالبية العرب قاموا بتدريج تعلم العبرية بعد العربية في أهميتها، وجاءت اللغة الانجليزية في المكان الثالث، أما اليهود الذين رغبوا في تعلم العربية، فقد أشاروا إلى أنهم يفضلون تعلم العربية المحكية على العربية الفصحى.

وفي بحث آخر أجراه الباحثون شوهامي، عنبار، نايمن وبرغمن (1998) حول تقييم تعليم اللغة العربية المحكية في المدارس الابتدائية في تل أبيب- يافا، حيث تم فحص مواقف عينة من 410 طالب وموقف 84 من أهالي الطلاب تجاه تعلم اللغة العربية المحكية في خمس مدارس يهودية. وقد أشارت نتائج البحث انه في كل مدرسة هنالك مواقف ايجابية من اللغة العربية في صفوف الذين يتكلمون العربية فقط.

وفي استطلاع أجراه معهد "داحف" في عام 1994، شمل عينة تمثل السكان في إسرائيل، تم توجيه سؤال لهم: "هل حسب رأيهم، مع تقدم عملية السلام، يلزم أو لا يلزم أن يتبعوا تعليما إلزاميا للغة العربية في المدارس اليهودية؟"، أشارت الدراسة إلى أن 65% من المستطلعين انه "يجب تعليم اللغة إلزاميا"، 34% أشاروا انه "لا يجب تعليم اللغة" (يديعوت احرونوت، 15\12\1994).

وفي بحث آخر أجراه معهد "سولد"، وشمل عينة من 360 معلما في جهاز التعليم اليهودي، كشف أن أكثر من 50% من معلمي اللغة العربية في المرحلة الإعدادية والثانوية أشاروا إلى الصورة السلبية والمنتدنية للغة العربية كعائق أمام تدريس اللغة في المدارس اليهودية، وعلى الرغم من أن تعليم اللغة العربية يعتبر إلزاميا، إلا أن

البحث يكشف بأن الموضوع يتم تدريسه عمليا في 80% من المدارس فقط، وحسب نتائج نفس البحث فان 63% من الطلاب الذين يدرسون العربية في المرحلة الثانوية أشاروا أن دوافعهم لتعلم اللغة تعود إلى الرغبة في العمل في المخابرات، حيث أن التعليل الأمني لتعلم اللغة منتشر أيضا في صفوف المديرين، أما نتائج البحث الأساسية فكانت كالتالي (هآرتس، 30\11\2006):

80% من المعلمين الذين شاركوا في الاستطلاع يؤيدون بضم اللغة العربية إلى إطار الامتحانات الإلزامية المطلوبة للحصول على شهادة البجروت (اجتياز الدراسة الثانوية)، وقد كان التأييد في صفوف المديرين اقل بكثير، ووصلت إلى النصف، وذلك ربما يعود إلى معرفتهم بالعوائق التي تحيط بتعليم اللغة العربية.

63.5% من معلمي اللغة العربية في المرحلة الإعدادية والثانوية أشاروا إلى بأن موضوع اللغة العربية انطباعا سلبيا لدى الطلاب.

38.5% من معلمين المرحلة الثانوية أشاروا إلى أن "الوضع الأمني ينتج توجهها سلبيا لتعليم اللغة".

12.8% أشاروا إلى أن الصعوبة نابعة من "نقص في الرغبة والدافعية، وتأثير الأهالي والأصدقاء الذين يعارضون تعليم موضوع اللغة العربية".

9.8% أشاروا إلى أن منهاج التعليم ليس مرتبطا وغير ذي صلة للحياة اليومية للطلاب.

7.5% أشاروا إلى أن الموضوع غير جذاب مقارنة مع مواضيع أخرى.

5.1% أشاروا إلى "علاقة سلبية للإدارة تجاه موضوع اللغة العربية".

يدعي مفتش موضوع اللغة العربية في وزارة التربية والتعليم السابق، شلومو الون، أن تعليمات وزارة التربية والتعليم لا تساعد على تحسين صورة اللغة العربية، حيث أشار إلى ما يلي ذكره :

حسب تعليمات وزارة التربية والتعليم فإنه يُسمح بتعليم اللغة الفرنسية مكان اللغة العربية، أو الروسية في التجمعات التي يركز فيها المهاجرون، وفي بعض الأماكن يتعلمون اللغة الامهارية، وفي المرحلة الإعدادية لا يدرسون أية لغة (هآرتس، 30\11\2006، 8).



أما المعلمة التي تدرس اللغة العربية في إحدى المدارس الثانوية فقد قالت:

إن نقطة انطلاق موضوع اللغة العربية هي متدنية، ربما يحاول المعلم تغيير ذلك، ولكن هنالك إحباط كبير، هنالك الكثير من المعلمين الذين يجتهدون، ويحتاجون إلى مواجهة ليس فقط الهروب من التعليم الذي لا يعتبر عمليا، وإنما أيضا من الآراء المسبقة والجهل، كما أن اللغة تعتبر كلغة وكثقافة متدنية، ومتخلفة (المصدر السابق).

ولم يكن موقف الطلاب مختلفا عن موقف المعلمين أو موقف المفتش، حيث أشار احد الطلاب إلى أن:

قسما من أصدقائي استسلموا، حيث تساءلوا لماذا نحن بحاجة إلى ذلك، نحن نتعلم عمليا عن ثقافة أخرى، صحيح انه مهم أن نتعرف على الآخر، لا يمكن أن نهرب أو نتنكر لذلك (المصدر السابق).

وإجمالاً، يمكن القول أن معظم الأبحاث التي فحصت مواقف الجمهور الإسرائيلي - اليهودي عموماً ولدى الطلاب خصوصاً، يتضح أنهم يحملون مواقف سلبية تجاه اللغة العربية والثقافة العربية، ويعتبرونها أقل مكانة من باقي اللغات. ويمكن أن نجمال أسباب المواقف السلبية من اللغة بما يلي:

1. الصراع العربي الإسرائيلي يؤثر على مكانة اللغة العربية - لأنها مرتبطة بالعدو العربي الخارجي، فتعتبر اللغة جزءاً من العدو، ويتم النظر إليها على أنها لغة العدو فقط، وإن الدافع الأساسي لتعلمها منوط بدوافع أمنية وليست دوافع مدنية. إن الموقف السلبي العام من العرب في صفوف اليهود يندرج أيضاً في لغتهم.
2. مواقف المؤسسة الرسمية الإسرائيلية من مكانة اللغة العربية في إسرائيل - فعلى الرغم من مكانة اللغة الرسمية في إسرائيل، إلا أنها عملياً تعتبر دونية مقارنة مع اللغة العبرية، كما أنها غائبة عن الاستعمال في الحيز العام.
3. إن غياب اللغة عن الحيز العام، يقلل من أهميتها العملية، ويقلل من أهمية اكتسابها كجزء من الحراك الاجتماعي والسياسي والاقتصادي في إسرائيل، مما يكرس واقع الدونية للغة العربية في البلاد.

4. غياب الاهتمام من وزارة التربية والتعليم في تطوير مكانة اللغة العربية كموضوع دراسي في المدارس العربية، فعلى الرغم من اعتبار تعليم اللغة العربية كموضوع

الزامي منذ منتصف الثمانينيات، إلا أنه لا يتم تطبيق هذا الأمر في المدارس اليهودية، كما أن عدم اهتمام الوزارة في النواحي البشرية، المضامين، الساعات والبرامج يساهم في دونية اللغة العربية مقارنة مع باقي اللغات.

13.4 أهداف تعليم اللغة العربية

مع تطور تدريس اللغة العربية في المدارس اليهودية، كان لا بد من وضع أهداف محددة لتدريس اللغة، وقد لوحظ أيضا تطور في أهداف تعليم اللغة العربية خلال المراحل المختلفة:

يدعي "غويتين" (1961) أن "تعليم العربية هو جزء من الصهيونية، جزء من العودة إلى اللغة العبرية وإلى الشرق الأوسط السامي، والذي يعتبر كله اليوم عربيا، نحن بحاجة عندما يخرج أولادنا إلى الحياة، أن يشعروا أبناء الشرق، ويكونوا قادرين على العمل من خلاله، وألا يفقدوا الميراث المهم الذي جلبناه معنا من أوروبا" (ص:13). ويضيف "إن اللغة العربية هي أخت اللغة العبرية، من خلال الاتصال مع العربية قامت اللغة العبرية".

حددت اللجنة التي أقامتها وزارة التربية والتعليم في عام 1949 أهداف تعليم اللغة العربية على النحو التالي: "إكساب معرفة أدائية للغة العربية المحكية مع تعلم أسس القراءة والكتابة في اللغة العربية الأدبية المستخدمة، على هذا الأساس يتم تعليم عدد من الكلمات الأساسية للنطق العربي الدقيق في تدريس اللغة العربية، وتستعمل لقراءة مواضيع من الحاضر العربي في دولة والبلدان المجاورة من خلال الترجمة العبرية وإرشاد معلم اللغة العربية" (يوناي، 1992، 58).

يعتقد كل من ليفي وسترينك (1976)، أن مناهج التعليم تشير إلى عدة أهداف:

1. توسيع الآفاق ومعرفة ثقافة الشعوب العربية.
2. معرفة اللغة العربية ونحوها كوسيلة مساعدة لتعلم قواعد اللغة العربية وتطورها التاريخي.
3. وسيلة اتصال مع الجيران العرب، وفي المستقبل مع شعوب الدول العربية.
4. التعرف على مساهمة مفكرين يهود ألفوا باللغة العربية.

ظهر نقاش واسع حول أهداف تعليم اللغة العربية في المدارس اليهودية، فهناك من يشدد على القيمة الثقافية في تعلم الموضوع ويعتقد أنها ذات أهمية عليا، حيث يتم من خلال اكتساب والتعلم من الثقافة والأدب العربي. في مقابل هذا التوجه فهناك من يشدد على الاحتياجات الوطنية في تعلم اللغة كثيمة (Theme) أساسية، وذلك لفهم العالم العربي، ومن خلال الاتصال المباشر معهم من خلال معرفة لغتهم يمكن معرفتهم (يوناني، 1992، بروش، 1996).

يظهر النقاش بأن أهداف اللغة العربية التي ظهرت في مناهج التعليم يتأرجح ما بين من يؤكد على الجانب المدني الثقافي في تعلم اللغة، وبين من يركز على الجانب الوطني السياسي، ولا شك أن تحديد أي توجه من هذين التوجهين سوف تكون له إسقاطات على مناهج التعليم ومضامينه.

في عام 1976، تبنت وزارة التربية والتعليم توصيات طاقم خبراء ومهنيين حول تدريس اللغة العربية، وقد حدد الطاقم أهداف تعلم اللغة العربية في المدارس اليهودية على النحو التالي:

1. التعرف على الكيان الاجتماعي-السياسي للعرب وتراثهم الثقافي، وفهم مواد باللغة العربية الفصحى والأدبية وتطوير قدرة على الفهم والاستماع لبرامج في الراديو والتلفزيون.
2. تطوير القدرة على إجراء حوار مباشر في اللغة العربية المحكية مع الجمهور العربي، وباللغة العربية الفصحى مع المثقفين العرب.
3. تطوير قدرة التعبير باللغة العربية الفصحى والكتابة بها.
4. التربية على المشاركة المدنية والتعايش باحترام مع العرب والتربية على وعي لموضوع الصراع العربي-الإسرائيلي.

في عام 1994 نشرت وزارة التربية والتعليم منهاجا تعليميا جديدا لتعليم اللغة العربية، وقد تم تحديد أهداف تعليم اللغة في المرحلة الثانوية بشكل يشبه تعريف الطاقم الذي ذكرناه سابقا، ومع ذلك فإنه يتضح بأنه لا يوجد منهاج تعليمي يحدد أهداف تعليم اللغة في صفوف المرحلة الإعدادية.

تعمل في وزارة التربية والتعليم لجنة تختص بتعليم اللغة العربية، وتهدف هذه اللجنة إلى إكساب استشارة في موضوع تعليم اللغة العربية، وقد طالبت اللجنة

بالحاجة إلى تحديد أهداف تعليم العربية في المرحلة الإعدادية، وفي حزيران عام 1995، وضعت اللجنة أهدافا عامة لتعليم اللغة العربية، وهي كالتالي:

1. معرفة أساسية للغة العربية الاتصالية-الفصحى كأساس لاستمرار التعليم في المرحلة الثانوية.
2. اكتساب مصطلحات أساسية في حياة العرب وثقافتهم.
3. اكتساب أدوات اتصال مع متحدثي اللغة العربية.

بروش (1996) يعتقد "أن أهداف تعليم اللغة العربية تمنح تعبيراً للتمييز بين العربية المكتوبة وبين العربية المحكية، بالنسبة لأهداف تعليم اللغة العربية المكتوبة، هنالك إجماع، بأنها بالأساس أهداف ثقافية، أدبية ولغوية، والتعرف على الكيان الاجتماعي- السياسي للعرب وتراثهم في الماضي والحاضر وتعميق الفهم في تعليم اللغة العبرية وإثرائها".

يدعي بروش أن هذا الهدف (تحليل النص) هو ميزة بارزة في تعليم اللغة كلغة أجنبية، كما يوجد بين الأهداف أهداف عملية- نفعية، فهم المسموع، والتعبير شفهيًا وكتابيًا، ولكن هذه لا تحظى للتطوير المناسب، لأن غالبية الاهتمام تعطى للأهداف التي في أساسها التحليل والفهم، وليس الإنتاج والإبداع، وبالنسبة للعربية العامية يقول "بروش" أن أهدافها عملية وتنسجم مع التوجه النفعي، أي إكساب الطلاب القدرة على الاتصال في الحياة اليومية من أجل خلق اتصال مع العرب.

في المجمل يمكن القول أن تطور أهداف تعليم اللغة العربية في المدارس اليهودية، يبين أن هذه الأهداف ما زالت متأثرة من السياق السياسي للصراع العربي - الإسرائيلي، وحتى الآن لا يوجد توجه واضح لتعليم اللغة العربية كلغة لاكتساب الثقافة العربية والإسلامية، بل هنالك خلط بين الأهداف السياسية والأهداف الأمنية في تعليم اللغة والأهداف التربوية التعليمية.

على الرغم من التطور الإيجابي الذي حصل في أهداف اللغة العربية على مدار السنين، إلا أن بالمقارنة بين أهداف تعليم العربية في المدارس اليهودية وبين أهداف تعليم اللغة العبرية في المدارس العربية، يتضح حجم الفجوة بين الاثنين، فتعليم اللغة العبرية في المدارس العربية يركز على الجوانب الثقافية والأدبية، وفهم الإنتاج العلمي اليهودي من خلال اللغة والاتصال، والتواصل مع الشعب اليهودي والاندماج

في الدولة والتعايش مع اليهود، بينما يركز تعليم اللغة العربية في المدارس اليهودية على الجوانب النفعية والأداتية وإهمال الجوانب الثقافية في تعليم اللغة (أنظر أمانة ومرعي، 1999، 2001، 2002).

13.5 مدارس ثنائية اللغة - جمعية "يدا بيد"

فضلا عن وزارة التربية والتعليم، هنالك العديد من الأطر والتي يتم فيها تدريس اللغة العربية لمراحل وأجيال مختلفة: صندوق إبراهيم، المعهد لتعلم العربية في جفعات حبيبة، معهد مرحبيم، مركز التربية والسلام في بلدية يافا، الجيش، ومدارس ثنائية اللغة لجمعية يدا بيد (للتفاصيل، أنظر: أمانة وشركاؤه، 2008). سنركز في هذا القسم على مدارس ثنائية اللغة لجمعية يدا بيد، لأنه النموذج الأكثر تطورا وتميزا في المشهد اللغوي الإسرائيلي.

تعتبر التربية ثنائية اللغة في مدارس جمعية "يدا بيد" نموذجا جديدا في المشهد التربوي الإسرائيلي. صحيح انه ليس المشروع الأول من الناحية الزمنية، لكنه يعتبر اليوم، دون أدنى شك، المشروع التربوي الريادي في هذا المضمار. مدرسة واحة السلام/ نفي شالوم كانت السبّاقة في تبني مشروع التربية العربية اليهودية في البلاد. كما تعمل جمعية الشبان المسيحية (YMCA) على تفعيل برنامج رياض الأطفال منذ عدة سنوات، وأهدافه التربوية مماثلة لأهداف جمعية "يدا بيد".

لا شك أن هناك فروقات بين المشاريع التربوية المختلفة (انظر أمانة، 2005)، لكنها تنفرد في كونها تتحدى التيار التربوي الإسرائيلي الراهن، والذي يكرّس على الفصل بين العرب واليهود. بالتالي فان ثنائية اللغة الوظيفية، أي استعمال اللغتين العربية والعبرية كلغات التدريس، تعتبر وسيلة هامة لتحقيق الأهداف التربوية في المدارس المشتركة. بعبارة أخرى يعمل هذا المشروع التربوي على تحدي الوضع الراهن والخروج عنه، بل وقد وصفه البعض بقولهم انه "سير عكس التيار" (أمانة، 2005: 7).

لقد أخذت جمعية "يدا بيد" على عاتقها مهمة شائكة جدا، بل وشديدة التعقيد: تنمية قيم الثقافتين في آن معا، إلى جانب تنمية التعارف، الاحترام، الفهم المتبادل والانفتاح على ثقافة الآخر. والعمل بهذه القيم على ارض الواقع مهمة شديدة الصعوبة، خاصة في الواقع الإسرائيلي المتصارع نتيجة للنزاع الدموي المتواصل

بين الشعبين، إضافة إلى العقبة الناجمة عن تعريف دولة إسرائيل كدولة يهودية وصهيونية. الأمر الذي يجعل من الصعب بناء هوية عليا مشتركة لأبناء الشعبين، من العرب واليهود. وهذا هو السبب الحقيقي لإشكالية المواطنة في دولة إسرائيل، فدائماً يجب التصدي للعقبات المتعلقة بهذا الأمر، خاصة من قبل الجانب العربي. كما أن الجمعية تتوخى التوصل إلى نتائج مرضية في تحصيلات الطلاب، والحفاظ على مستوى تعليم لا يقل عن مستوى المدارس الجيدة الأخرى. (أمانة، 2005: 8).

تؤمن جمعية "يدا بيد" برؤيا محددة، وتتبنى إيديولوجية وسياسة واضحة بشأن الأهداف التربوية - الاجتماعية التي تسعى إلى تحقيقها. تنص ثنائية اللغة التكاملية على تحقيق الاحترام والمساواة للمجموعتين القوميتين، أي العرب واليهود في الدولة. وتقوم بمبادرة الجمعية على فكرة أساسية مفادها بناء محيط تربوي ثنائي اللغة قائم على مبدأ المساواة. النتيجة التي يطمح مؤسسو الجمعية لتحقيقها هي تربية أفراد يقدرّون ويحترمون ثقافة الآخر، وفي الوقت نفسه يبغون على عهدهم وولائهم لتراثهم الثقافي.

تبين بعد تعلم اللغة العربية كلغة ثانية لعدة سنوات، أن الكفاءة الوظيفية لدى الطلاب اليهود منخفضة جدا، وبعد ست سنوات أو أكثر لا يستطيع أن يؤدي الطالب اليهودي وظائف أساسية، ولا يستطيع أن يقوم بجزء من الواجبات الملقاة عليه في اللغة العربية في المواضيع التي تُستعمل بها العربية كلغة التدريس.

بالمقابل، فإن الطالب العربي بعد سنتين من تعلمه العبرية يكون قادرا على تصريف أموره في الكثير من المجالات، ويؤدي المهام الملقاة عليه بالصف ويصل إلى كفاءة عالية جدا باللغة حتى في اللكنة. هنالك طلاب اكتسبوا لكنة عبرية بمستوى لغة الأم. ورغم الظروف المساعدة لتعلم العربية في هذا الإطار، إلا أن الطلاب اليهود لا يتعلمون العربية كلغة وظيفية والتي تمكنهم من التواصل مع الطرف العربي. (أمانة 2009، أمانة وآخرون 2009). هذا يعلمنا انه حتى في الظروف المساعدة لتعلم اللغة العربية من الناحية التربوية والبيداغوجية، فإن تأثير العالم الخارجي على التحصيلات باللغة العربية بين اليهود ما زال كبيرا جدا.

13.6 خلاصة

بينما في هذا الفصل أن تدريس اللغة العربية في المدارس اليهودية تطور ولا يزال يتطور حسب الاعتبارات الأمنية تحديدا، وتؤثر الاعتبارات الأمنية على مكانة اللغة العربية في المجتمع الإسرائيلي عموما، ولدى الطلاب اليهود خصوصا، وتحدد مدى انتشار تعليم اللغة العربية، أهميتها، مجالات العمل فيها، ماهيتها، وماهية اللغة العربية هو الموضوع الأساس عند نقاش تدريس اللغة العربية في المدارس اليهودية. والمفارقة أن القراءة التاريخية لتطور تدريس اللغة العربية يؤكد أن المؤسسة الأمنية الإسرائيلية دفعت في هذا الاتجاه، وأنها المؤسسة الفاعلة التي ما زالت تدفع حتى الآن موضوع تدريس اللغة العربية، وانه لولا تدخل الجيش والمؤسسة الأمنية من خلال طلباتها للعمل لمن يتقنون اللغة العربية، ولولا الضغط الذي تمارسه على المؤسسات التعليمية المختلفة، لكان حال اللغة العربية أسوأ بكثير.

إن الفرق بين الاعتبارات الأمنية والاعتبارات المدنية في تدريس اللغة العربية لا يؤثر على مضامين التعليم فقط، بل يؤثر على تصور اللغة بالأساس، حيث يتم تصور اللغة حسب الاعتبارات الأمنية بأنها لغة أداتية، لغة العدو، ولغة للتعرف على الآخر لهزيمته، بينما يتم تصورها حسب الاعتبارات المدنية على أنها لغة ثقافية، ولغة للتعرف على الآخر لمعرفته.

ليس هنالك مناخ مدني يتم به الحديث عن العرب أو الثقافة العربية أو حتى اللغة العربية، بل إن المناخ والخطاب والتوجهات كلها أمنية، وهذا يؤثر على الطلاب اليهود أيضا، لهذا فإن كل محاولات وزارة التربية والتعليم الإسرائيلية ابتغاء تحسين موضوع تدريس اللغة العربية في المدارس اليهودية من خلال الأدوات الإدارية أو إدخال إصلاحات بنيوية أو تنظيمية، لن يجدي في ظل وجود مناخ معاد للثقافة العربية. فالمسألة ليست مجرد إصلاحات بنيوية أو إدخال لوائح جديدة، بل تتعلق بالثقافة الأمنية التي تسيطر على مجمل تفكير المجتمع الإسرائيلي في تعاطيه مع اللغة العربية.

فلأن العربية هي لغة العدو، فإن الذين يجيدون تعلمها بين اليهود لهذه الأهداف. أما تعليمها في المدارس، فالنتائج غير مرضية على الإطلاق. فالكفاءة اللغوية بعد عدة سنين محدودة جدا، ولا يستطيع المتعلم القيام بالوظائف الأساسية للغة (أمانة

وآخرون 2008). إن دوافع الطلاب المنخفضة لتعلمها يعطي القيمة المنخفضة للغة العربية بين اليهود، وذلك بسبب الصراع العربي- الإسرائيلي وعدائية الصهيونية للعرب.

فالأكاديمية الإسرائيلية عززت منحى لتتنن اللغة العربية، أي تعليم العربية كما حال اللغة اللاتينية كلغة مبيتة. فنرى أن العربية تُعلم في الجامعات والكليات الإسرائيلية في اللغة العبرية. والادعاء أن العربية تعلم بدافع المعرفة والأبحاث. هذه الادعاءات يكمن دحضها بسهولة لأنه لا يتم تعليم الانجليزية ولغات أجنبية أخرى باللغة العبرية (حمارشة، 2008)

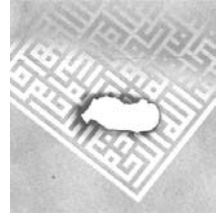
التعامل مع اللغة العربية بسلبية وكلغة العدو يبين أن هنالك تجاهلا للوجود العربي وعدم احترامه واحترام ثقافته. كان من المفروض جدلا أن اليهود عندما أتوا إلى هذه المنطقة عملوا على أن تكون العربية جزءا من واقعهم، ثقافتهم وحتى جزءا من هويتهم الشرق أوسطية. وكما تقول هالبرن وبحق (2006: 489):

إذا أرادت إسرائيل أن تنغرس حقا في السياق الشرق أوسط، فإن معرفة العربية هو مطلب إلزامي. اعترف الصهاينة بهذه الحقيقة في الماضي، ومهما كانت هذه الحقيقة صعبة، عليهم أن يعترفوا بها اليوم.

باختصار، معرفة واحترام اللغة العربية وثقافتها من قبل اليهود في هذه الديار هو جزء من المصالحة التاريخية وضمان لبقائهم في هذه المنطقة، واعتبارها لغة الأمن والعداء لا يمكن أن يزيل حالة الاغتراب.

الباب السادس:
تحديات اللغة العربية:
قضايا سياسية-أيدولوجية

الفصل الرابع عشر
الإيديولوجيات اللغوية
والاتجاهات نحو العربية



14.1 مقدمة

اعتبر فيشمان (1977) أن اللغة هي الهوية الذاتية والجماعية، فمن خلال اللغة ينتمي الفرد إلى مجموعته، وينسجم مع حضارته. وتتأتى أهمية اللغة على وجه الخصوص حين تشعر الأقلية بخطر على لغتها.

يقول أبو جابر (2009: 6) "فاللغة العربية في ظل هذه الدولة رمز وجودنا وهوية مجتمعنا ودلالة تميزنا، وانقراضها يعني تمكن العبرية منا وضعفنا وضياعنا لهويتنا وحقوقنا، فاحفظوا اللغة العربية تحفظكم!!" (ص.6).

أما الشيخ رائد صلاح (2009: 7) فيقول "إذا أردنا أن نحفظ هويتنا فعلياً أن نحفظ اللغة العربية، إذا أردنا أن نحفظ اللغة العربية، فعلياً أن نحب اللغة العربية..". ويضيف "عندما نسمح لألسنتنا أن تستباح بغزو يومي من مصطلحات عبرية، معنى ذلك أن تستباح أرضنا وبيوتنا ومقدساتنا وهويتنا وفكرنا وان يهاجم كل مكون من مكوناتنا كأفراد ومجتمع وأمة" (ص.8). هل لغتنا العربية في الداخل الفلسطيني في خطر؟ حسب ما جاء على لسان الشيخ رائد صلاح فاللغة العربية في إسرائيل في خطر. الكثير يطلق هذه الصرخة ومن بينهم بعض الأكاديميين. هل لغتنا العربية في الداخل الفلسطيني فعلاً في خطر؟ سنحاول الإجابة عن هذا التساؤل في هذا الفصل والفصول القادمة. نبدأ أولاً بالأيديولوجيات اللغوية كما جاءت لدى الأحزاب، الحركات السياسية، والمجتمع المدني، وبعدها سنتناول الاتجاهات نحو العربية كما جاءت في بحث ميداني.

إن الأقلية العربية الفلسطينية التي بقيت في إسرائيل، كانت أقلية فاقدة للنخب السياسية والثقافية، وحتى سنوات السبعينيات لم تكن هنالك تعددية سياسية

جدية في المجتمع العربي، بل كان الحزب الشيوعي هو الحزب المهيمن على الساحة العربية، إلى جانب القوائم العربية المرتبطة بالأحزاب الصهيونية، والتي لا يمكن اعتبارها بطبيعة الحال تيارات سياسية بل عبرت عن مصالح اقتصادية في المجتمع العربي (غانم ومصطفى، 2009).

14.1.1 الحزب الشيوعي والجبهة الديمقراطية

الحزب الشيوعي الإسرائيلي (ولاحقًا الجبهة الديمقراطية للسلام والمساواة) هو أقدم تيار سياسي بين الجماهير العربية في البلاد، بل هو أول من طرح موضوع الحقوق القومية للجماهير العربية، وإن لم يكن خطاب الحقوق الثقافية واللغوية متطوراً آنذاك من الناحية الحقوقية والأكاديمية كما هو عليه اليوم.

لعب الحزب الشيوعي وصحافته سواء من خلال صحيفة الاتحاد أو المجلات التي كان يصدرها مثل مجلتي الغد والجديد، دوراً بالغ الأهمية في جعل اللغة العربية لغة حيوية، من خلال الكتاب والأدباء الذين وجدوا في نشرات الحزب الشيوعي منبرا أدبيا للتعبير عن إنتاجهم ولغتهم، فبرز، على سبيل المثال منهم، إميل حبيبي، إميل توما، محمود درويش، سميح القاسم، شكيب جهشان، توفيق زياد، حنا أبو حنا، محمد نفاع، سالم جبران، حنا إبراهيم وغيرهم الكثير الذي أسهموا في الأدب الفلسطيني المحلي وفي المهجر، لا بل أسهم بعضهم في مسيرة الأدب العربي الحديث. ويمكن القول إن ما سمي بأدب المقاومة قد خرج من أكناف المجتمع العربي في إسرائيل، وبعدها تطور هذا الأدب في الخارج (كنفاني، 1986).

وعن هذا الدور الهام كتب الشاعر محمود درويش إلى "الاتحاد" في عيدها الستين:

"..لم تكن "الاتحاد" جريدة إخبارية، بقدر ما كانت ورشة عمل لاجتراح الأمل للخارجين من ليل النكبة. لقد أسهمت في بلورة وعينا وبحقوقنا القومية، وبحقوقنا كمواطنين في دولة ليست لنا! وساعدتنا "الاتحاد" في التعرف على هويتنا الثقافية التي كانت مهددة بالتشظي والتمزق. ومنها وصلت أصواتنا الشعرية إلى العالم" (ملحق "الاتحاد"، 14 أيار 2004).

وعلى ضوء ذلك، فقد كان للحزب الشيوعي دور لا يستهان به في إبقاء اللغة العربية حية وناطقة، وجزءاً من مركب الهوية لدى الفلسطينيين في إسرائيل، سيما وأن تدجين اللغة كان جزءاً من مشروع تدجين الإنسان، خاصة في مرحلة الحكم العسكري. فبالإضافة إلى دور صحافة الحزب وأدبياته، تصدّى الحزب الشيوعي لمحاولات تغليب العامية على الفصحى في الكتابة الأدبية، وكان أول من طرح مطلب احترام اللغة العربية كلغة رسمية كأحد حقوق الجماهير العربية. وتميّز دور الحزب الشيوعي والجبهة عمومًا بالدمج بين النشاط الثقافي والسياسي، وهو ما عبّر عنه أيضاً التقاطع الكبير بين القيادة السياسية-الجماهيرية والقيادة الثقافية-الأدبية (حبيبي، زياد، توما، القاسم وآخرون). كما تميّز الحزب الشيوعي بتقديم بدائل ثقافية وتربوية ملموسة في نواحيه وخصوصاً للأجيال الشابة، لكنه، بالمقابل، لم يطور طرحاً نظرياً بقدر ما ساهم في تعزيز اللغة العربية من خلال الممارسة.

وعلى صعيد الممارسة يمكن أيضاً الإشارة إلى نشاط الحزب الشيوعي والجبهة الديمقراطية في الحركة الطلابية، حيث تتمركز النخب المستقبلية الأكاديمية والثقافية، والنضال من أجل قضايا مطلبية كإدخال اللغة العربية إلى حواسيب الجامعات، وزيادة ربع ساعة إضافية في الامتحانات للطلاب العرب، إلى جانب طرح قضايا إستراتيجية ومبدئية كتدريس اللغة العربية في الجامعات باللغة العبرية والمطالبة بإدخال اللغة العربية إلى الحيز العام في منشورات الجامعات وافتتاحها وما إلى ذلك.

إلى جانب الحزب الشيوعي، فقد ساهمت قوى وتيارات أخرى على مستوى الخطاب وعلى مستوى الممارسة في وضع اللغة العربية على سلم عملها، سواء كان ذلك مباشراً أو كان بشكل غير مباشر. ففي مراجعة قمنا بها لبرامج الأحزاب العربية حول اللغة العربية لم نجد من يطرح هذه المسألة في برنامج بشكل جدي، ربما كون الجبهة والحزب الشيوعي حزبا عربيا يهوديا ذا تصور طبقي للواقع السياسي والاجتماعي، أو لأن مسألة اللغة ليست هامة في الأجندة السياسية في الوقت الراهن، أو لأن الأحزاب قد غفلت هذه المسألة في سبيل التركيز على المسائل السياسية المركزية، أو أن وعي أهمية اللغة العربية في الخطاب السياسي أو مجمل الصراع بين العرب في إسرائيل وبين المؤسسة الإسرائيلية لا يزال غائبا، على الرغم من أننا نشهد في الآونة الأخيرة نضوجا اكبر في هذا السياق. في الصفحات التالية سوف أقوم برصد تأثير ثلاث قوى سياسية- اجتماعية على الحيز اللغوي داخل المجتمع العربي في إسرائيل.

14.1.2 التجمع

تشكل التجمع الوطني الديمقراطي عام 1996 موحداً العديد من الأفراد من الحركات السياسية والأكاديمية التي نشطت في الماضي في المدن والبلدات الفلسطينية، مثل حركة "أبناء البلد" وحركة "ميثاق المساواة" التي أسسها د. عزمي بشارة، إضافة إلى أعضاء سابقين في الحركة التقدمية وعدد من التشكيلات التنظيمية المحلية كـ "الحزب الاشتراكي التقدمي" الذي تأسس في قرية "المغار" في الجليل، وحركة "الأنصار" في أم الفحم، وحركة "النهضة" في الطيبة، وحركة "أبناء الطيرة"، وناشطين جماهيريين في المجتمع الفلسطيني (مصطفى وغانم، 2005).

عبر التجمع الوطني الديمقراطي في خطابه عن الفكرة القومية العربية. وليس صدفة أن يرفع التجمع شعار حرف "الضاد" كإشارة إلى حزبه في المعارك الانتخابية المختلفة، فحرف الضاد تعبير عن اللغة العربية في مفهومها الثقافي والهوياتي. لم يهتم التجمع باللغة العربية كشعار فقط، بل رفعها في برنامجه الانتخابي بشكل صريح، فقد جاءت اللغة العربية كجزء من رؤية التجمع لمكانة الأقلية العربية كأقلية قومية في إسرائيل. حيث جاء في برنامج التجمع لانتخابات الكنيست في عام 2008:

يطالب التجمع بالاعتراف بالعرب في إسرائيل كأقلية قومية، كشعب له حقوق قومية جماعية ومساواة مدنية كاملة، وفق ما ينص عليه القانون الدولي وقرارات وإعلانات الأمم المتحدة، ذات الصلة خاصة الإعلان بشأن حقوق الأقليات الصادر عام 1992. ويسعى التجمع إلى سن قانون أساس لضمان تطبيق الحقوق القومية للأقلية العربية الفلسطينية في إسرائيل وذلك بناءً على الأسس التالية:

تعتمد الحقوق والحريات الأساسية لأبناء الأقلية العربية على الاعتراف بقيمة الإنسان وقدسيتها حياته وكرامته وكونه حراً، ويتوجب احترامها بموجب القيم والمبادئ الإنسانية الكونية، وذلك مع التأكيد على أنّ المواطنين العرب هم سكان أصليون في وطنهم.

يحق للمواطنين العرب مساواة مدنية كاملة بما في ذلك مساواة في الفرص، ورفض أي تمييز ضد أي إنسان لكونه عربياً.

عدم اعتبار أي تشريع أو خطة حكومية أو فردية تحسن من وضع أبناء الأقلية العربية بسبب غبن ماض أو راهن تمييزاً لصالحهم ضد آخرين.

يحق للمواطنين العرب تمثيل مناسب في جميع المؤسسات الرسمية والعامّة.

يحق للقومية العربية رعاية وتطوير ثقافتها بشكل حر دون تدخل من مؤسسات الدولة.

للأقلية العربية الحق في إنشاء مؤسسات تمثيلية وشعبية خاصة بها كشعب. وعلى الدولة أن تعترف بالهيئات التمثيلية للمواطنين العرب. اللغة العربية هي لغة المواطنين العرب القومية، ويجب ترسيخ مكانتها كلغة رسمية ونشر جميع الإعلانات الرسمية والعامّة باللغة العربية أيضاً.¹

وانطلاقاً من هذه الأسس يطالب التجمع بسن قوانين واتخاذ إجراءات وإتباع سياسات لضمان تطبيق الحقوق القومية للأقلية العربية الفلسطينية داخل إسرائيل.

كذلك يتحدث التجمع عن ضمان حق العرب الفلسطينيين المواطنين في إسرائيل، في إدارة شؤونهم الثقافية والتعليمية بأنفسهم، كجزء من حقوقهم القومية كشعب أصلا في وطنه. وعلى أساس هذا الحق يسعى التجمع إلى:

سن قانون خاص بالإدارة الذاتية الثقافية، يشمل شؤون التعليم والثقافة والإعلام.

إقامة جامعة عربية. وإقامتها كجامعة أهلية إذا رفضت الحكومة إقامتها والإصرار على تمويلها من قبل مجلس التعليم العالي. توفير بث تلفزيوني وإذاعي لا ينطق بالعربية فحسب، بل بإدارة عربية، وبتوجه ينسجم مع مصالح وخصوصيات الأقلية العربية في البلاد.²

يملك التيار القومي إستراتيجية كما هو مبين في برنامج التجمع للحفاظ على اللغة العربية، إلا أن مساهمته العملية في هذا السياق ليست مساهمة جدية ولا ترتقي إلى البرنامج الذي وضعه لنفسه في الحفاظ وعلى إحياء اللغة العربية، فمثلا لم يتم بتنظيم مشاريع مجتمعية أو جماهيرية أو تعليمية في سبيل تعزيز اللغة العربية، ويكتفي في الاعتماد في ذلك على سياسات الاعتراف من الدولة، بمعنى أن التجمع يعول على الاعتراف الرسمي في الحفاظ على اللغة العربية، بينما لا يقوم بدور سياسي تعليمي تثقيفي توعوي داخل المجتمع العربي في سبيل الحفاظ على اللغة العربية كهوية ثقافية من خلال برنامج منظم وواضح المعالم.

1 أنظر: <http://www.tajamoa.org/?mod=article&ID=198>

2 المصدر السابق

14.1.3 التيار الإسلامي

تعتبر الحركة الإسلامية من التنظيمات السياسية العربية الهامة، ومن التيارات الإيديولوجية المؤثرة على مجمل التحولات السياسية والثقافية في المجتمع الفلسطيني في الداخل (غانم ومصطفى، 2009)، وعلى الرغم من أهمية التيار الإسلامي السياسي في الداخل من حيث انه تيار تطور في سياق إسرائيلي- صهيوني- يهودي من جهة، ودوره في صياغة الخطاب السياسي العربي من جهة أخرى، إلا انه لا يملك برنامجا سياسيا مكتوبا يمكن الاستناد إليه كإحدى أدبيات التيار الإسلامي في معالجة خصائص هذا التيار عموما ورؤيته للغة العربية خصوصا، لهذا سنحاول النظر إلى عمل ومشروع الحركة الإسلامية في إطار تحليل هذا الموضوع لأننا نفترض أن عملها كان هاما في سياق المحافظة على اللغة العربية.

جاءت نتائج حرب 1948، وما نجم عنها من تشتت للفلسطينيين، وقيام إسرائيل التي فرضت حكما عسكريا على التجمعات السكانية الفلسطينية، لتوجه أيضا ضربة إلى نشاط الإسلام السياسي الحزبي. ومن ناحية عملية ليس بإمكاننا الإشارة إلى وجود نشاط تنظيمي من هذا النوع في الخمسينيات والستينيات أو حتى منتصف السبعينيات لدى الفلسطينيين مواطني إسرائيل. غير أن اللقاء المتجدد الذي أفرزته نتائج حرب 1967 بين الفلسطينيين في إسرائيل والفلسطينيين في الضفة الغربية وقطاع غزة، اللتين احتلتا في تلك الحرب، إضافة إلى وجود حركات أصولية دينية ومؤسسات للتعليم الديني في مناطق الضفة الغربية وقطاع غزة، كل ذلك ساهم في خلق ظروف جديدة لتطور وظهور الإسلام السياسي - الحزبي مجددا لدى الأقلية العربية الفلسطينية في إسرائيل (مثير 1989، أمارة 1996ب).

فقد باشر نفر من الشباب، الذين أنهوا دراستهم الثانوية وفضلوا بحكم انجذابهم وميولهم للأماكن الدينية والإسلام مواصلة دراستهم في كليات ومعاهد الشريعة الإسلامية التي أهلتهم للحصول على لقب "شيخ"، القيام بنشاطات غير منظمة في ميدان الدعوة والوعظ الدينيين في مدنهم وقراهم وسائر التجمعات العربية في إسرائيل التي يعيش فيها مسلمون، بما في ذلك إلقاء الخطب والمواظب في المساجد واللقاءات التي تقام في المناسبات والأعياد الدينية والإسلامية (مثير 1989: 10-11، أمارة 1996ب)، هذه النشاطات مهدت الأرضية لتنظيم التيار الإسلامي في صورة جسم سياسي - اجتماعي.

يؤكد التيار الإسلامي في تناوله لموضوع هوية الفلسطينيين في إسرائيل على المكون الديني الإسلامي في هذه الهوية، ويرى في تعزيز وتكريس مثل هذه الهوية هدفا مركزيا ينبغي العمل من أجله، دون التنكر بطبيعة الحال لباقي مكونات هوية الفلسطينيين في إسرائيل في ضوء كونهم أيضا عربا فلسطينيين ومواطنين في إسرائيل (مصطفى وغانم، 2005).

لقد ساهم التيار الإسلامي في تعزيز اللغة العربية بشكل غير مباشر، والمقصود بغير مباشر أن نشاطه لم يكن مبنيا على إستراتيجية تسعى إلى تعزيز اللغة العربية ولكن طبيعة التيار الإسلامي، وطبيعة العلاقة بين اللغة العربية والهوية الإسلامية، لا بل العلاقة بين اللغة العربية والتدين، ساهم في جعل التيار الإسلامي جسما هاما في الحفاظ على اللغة العربية.

فكما أشرنا سابقا، فقد درست قيادة التيار الإسلامي في الضفة الغربية نخص بالذكر كليات الشريعة الإسلامية، وهي بطبيعة تعريفها ومضمونها كليات عربية تخلو من أي لغة أجنبية ومنها طبعاً اللغة العبرية، لا بل يعتبر الإمام باللغة العربية ونحوها وأدبها جزءاً من عملية تأهيل طالب العلم الشرعي والداعية الإسلامي، لهذا فإن أبناء التيار الإسلامي من الدعاة يتقنون اللغة العربية الفصحى وإن غلب عليها الخطاب التراثي نصاً ومضموناً، إلا أن الحديث بلغة عربية فصحة وتراثية هو ديدن الدعاة الإسلاميين وديدن القيادة الإسلامية في إسرائيل، وهذا يدفع الدعاة استعمال اللغة العربية الفصحى بشكل مكثف، وذلك لأن طبيعة تدريسهم تتم بلغة عربية فصحة. ويبرز ذلك في عدة حيزات والتي تساهم في إحياء اللغة العربية:

1. خطب يوم الجمعة: تساهم خطب يوم الجمعة التي يتحدث فيها الخطيب والداعية الإسلامي بلغة عربية فصحة في "تعويد" أذن السامع على اللغة العربية الفصحى، حيث أن لغة الخطبة هي الفصحى. ويختلف الخطباء اليوم عن خطباء الأمس، فخطباء اليوم هم من جيل الشباب الذين درسوا وتخصصوا في العلم الشرعي ولهم ملكة في اللغة العربية، أما خطباء الأمس فهم من المسنين الذين أصبحوا خطباء بحكم الكبر والنقص في الدعاة أو المعرفة الأولية والضئيلة بالعلم الشرعي. إن هذا التحول في جيل الخطباء أحدثه نشوء التيار الإسلامي في إسرائيل، وانعكس بدوره أيضاً على نوعية ومضمون وخطاب خطبة الجمعة في المساجد والتي

يجتمع فيها آلاف الناس لسماعها. والأمر مماثل أيضا بالنسبة للدروس الدينية التي تقدم في المساجد في أوقات مختلفة من الأسبوع والتي يستمع إليها المئات من المسلمين.

2. التواصل مع الناس خارج المساجد من خلال بيوت العزاء أو الأفراح:

حيث يقوم الدعاة الإسلاميون بالتنقل بين بيوت العزاء وإلقاء الخطب الدينية على الناس بلغة عربية فصحي، لا بل أن الناس أصبحوا ينطقون بعض الكلمات الفصحى التراثية التي تعودت أذانهم على سماعها. إن هذا التواصل المكثف مع الناس في أفراحهم وإحزانهم على مدار الأسبوع، يساهم دون أدنى شك في استحضار اللغة العربية كلغة فاعلة وحاضرة في الحيز العام.

3. المهرجانات السياسية: ينظم التيار الإسلامي سنويا مهرجانات عديدة،

سواء مهرجانات سياسية أو مهرجانات دينية، ويحضر هذه المهرجانات عشرات الآلاف من الناس، حيث يستمعون إلى كلمات وخطابات قيادة التيار الإسلامي في الداخل، ويتحدث هؤلاء القادة دائما بلغة عربية فصحي في كلماتهم، وهذا لا نشهده عند باقي القيادات السياسية في المجتمع العربي، وينبع ذلك من خلفية الثقافة التعليمية التي جاءوا منها أولا، وأهمية اللغة العربية في الخطاب الإسلامي السياسي والديني ثانيا. إلى جانب الحديث بلغة عربية فصحي، فإن قيادة التيار الإسلامي تضطر إلى تعريب بعض الكلمات العبرية لكي تتمكن من الحديث عنها في خطابها السياسي، لأنها لا تستطيع التحدث بهذه الكلمات باللغة العبرية، فخطابها يخلو من اللغة العبرية، وهذا يدل أن خطاب هذا التيار هو خطاب يحافظ على اللغة ويساعد في الحفاظ عليها.

فالتيار الإسلامي يساهم في الحفاظ على اللغة العربية في المجتمع العربي في إسرائيل، إلا أن ذلك يتم بغياب إستراتيجية واضحة في الحفاظ على اللغة العربية وتعزيزها، بل يتم بشكل عفوي وتلقائي وبسبب طبيعة التيار الإسلامي في إسرائيل كتيار يحاول أسلمة المجتمع، وأن جزءا من هذه الأسلمة هو بمثابة تعريب لغته.

14.1.4 الجمعيات الأهلية

تطور المجتمع الأهلي في صفوف الفلسطينيين في إسرائيل كإحدى تجليات العولمة والنظام الرأسمالي، وبرز دور الجمعيات والمؤسسات الأهلية في عقد التسعينيات بالأساس، ورغم انه نشطت جمعيات ومؤسسات قبل ذلك، إلا أنها ازدادت كما وكيفما خلال عقد التسعينيات، ولا يمكن فصل هذا التطور عن التحولات العالمية على المستوى السياسي-الفكري أو على المستوى الاقتصادي (Jamal, 2008).

وحسب معطيات مركز دراسة القطاع الثالث في جامعة بن غوريون، فقد وصل عدد الجمعيات العربية المسجلة حتى عام 2004 إلى 2200 جمعية عربية، ولكن يصل عدد الجمعيات الفاعلة منها إلى 1135 جمعية، ويتضح من المعطيات أن غالبية الجمعيات تتواجد في منطقة الشمال، وتعمل غالبيتها في مجال الثقافة والترفيه (غانم ومصطفى، 2009).

ويتجلى أن غالبية الجمعيات العربية قد أقيمت في الفترة الممتدة بين سنوات 2000-2004، كما وردت في معطيات مركز دراسة القطاع الثالث، حيث وصل عدد الجمعيات التي أقيمت في هذه الفترة إلى حوالي 698 جمعية، بينما أقيمت 598 جمعية في الفترة الممتدة من عام 1995 وحتى 1999، وفي الفترة الممتدة من عام 1990 وحتى 1994 أقيمت 471 جمعية عربية، في حين أقيمت 301 جمعية خلال الفترة 1985-1989، وهذا الأمر يدل على التطور العددي الكبير للمجتمع الأهلي العربي خلال العقد الأخيرين، حيث انه حتى عام 1984 كان هنالك 117 جمعية عربية فقط، وازداد عددها إلى 2200 جمعية خلال عقدين من الزمن (Evan Chorev, 2008: 14).

لعبت الجمعيات دورا هاما في إحياء اللغة العربية، فالجمعيات في طبيعتها هي مؤسسات عربية، تنتج وتكتب وتحدث باللغة العربية، وتشري الخطاب العربي بمصطلحات وخطاب عربي يعزز الانتماء والهوية. وقد ساهمت الجمعيات في إحياء اللغة العربية من خلال:

1. إصدار الكتب والأبحاث والتقارير: لقد ساهمت الجمعيات الأهلية في إحياء اللغة العربية "العلمية" والأكاديمية إن صح التعبير، من خلال فتح المجال أمام الباحثين والأكاديميين العرب في الكتابة والإنتاج المعرفي باللغة العربية، وهو الأمر

الذي لم يكن متوفرا قبل ذلك، فقد كان الأكاديمي العربي ينتج المعرفة والأبحاث باللغة العبرية أو الانجليزية فقط، وذلك بسبب غياب المؤسسات العربية الأهلية أو البحثية التي تمنحه الإمكانية لكتابة الأبحاث والكتب باللغة العربية، وقد ساهمت هذه العملية في إحياء اللغة العربية كلغة عربية حيوية وفاعلة في الحيز الجماهيري العربي والبحثي. وساهم هذا الإنتاج المعرفي في انكشاف الناس على أوضاعهم باللغة العربية، بمعنى بعقول ولغة عربيين، وهذا الأمر لم يكن متوفرا قبل ظهور الجمعيات الأهلية. إلى جانب الكتب دأبت الجمعيات العربية على إصدار التقارير المختلفة حول قضايا تتعلق بالمجتمع العربي في إسرائيل، وقد تميزت هذه التقارير في غالبيتها بالمهنية واللغة العربية الفصحى، وهذا أيضا ساهم في إحياء اللغة العربية. إن هذه العملية أدت إلى بروز خطاب سياسي جديد أو التأثير في الخطاب السياسي العربي، حيث ساهم هذا الإنتاج البحثي والمعرفي باللغة العربية إلى إدخال مصطلحات إلى الخطاب السياسي العربي بشكل مكثف مثل مصطلحات: أقلية قومية، أصلائية، الحيز، الخطاب السياسي، المشهد السياسي، وغيرها من المصطلحات التي لم يكن لها حضور كبير في الخطاب السياسي والجماهيري العربي قبل بروز الجمعيات العربية.

2. عقد المؤتمرات والندوات والأيام الدراسية: تنظم المؤسسات الأهلية العربية ندوات ومؤتمرات عديدة سنويا في كل المجالات التي تخص المجتمع العربي في إسرائيل، تعقد هذه المؤتمرات والفعاليات داخل المجتمع العربي وتكون لغة المؤتمرات هي اللغة العربية، وتساهم هذه العملية في إثراء الخطاب السياسي بزخم لغوي هام، وتعد هذه المؤتمرات من حيث لغتها وخطابها ومضمونها بديلا للمؤتمرات التي تعقدها المؤسسات الجامعية الإسرائيلية. فمثلا في ندوة نظمتها جمعية الثقافة العربية في عام 2008 حول إسقاطات النكبة على الثقافة العربية، كان للغة العربية حيز في هذه الإسقاطات، حيث قال الأديب والكاتب الياس عطا الله عن هذه الإسقاطات "أصبح بعضنا هنا بحاجة للترجمة لمن يتحدث بالعربية، وإن اللغة العربية مأزومة معنا وينا، إذ لا يصح تبادل الأدوار بين الفصحى والمحكية ولكل منها مكانها ودورها ووظيفتها، مشيرا إلى أن النكبة ليست قضية موسمية للاحتفالات تنلهى بها المنتديات والمؤتمرات، بل هي حدث يومي ونزيف دائم نعيشه

يومية، وأن اللغة في هذا السياق هي إحدى المظاهر الموجعة لنكبتنا.³ وفي حلقة دراسية نظمتها لجنة متابعة قضايا التعليم العربي ومركز "دراسات" المركز العربي للحقوق والسياسيات في إطار التحضير للمجلس التربوي، كانت اللغة العربية حلقة هامة في هذا المشروع، حيث نظمت ندوة لاستعراض أبحاث حول اللغة العربية، فقد كان عنوان ورقة محمد أمارة معد إحدى هذه الأوراق هو اللغة والهوية: تأثيرات وتداعيات على التعليم العربي في إسرائيل، وهذا يدل أيضا على العلاقة التي توليها مؤسسات المجتمع المدني بين اللغة والهوية، حيث أوصى المجتمعون، انه في إطار بناء مجلس تربوي للعرب يجب أن تحقق التوصيات التالية:

تعزير الكتابة المباشرة والأصلية باللغة العربية، بما يعكس الخصوصية الثقافية والوطنية.

تكثيف البحث حول كيفية انعكاس الخصوصية في مختلف المناحي التربوية والاجتماعية.

التفكير حول طرائق التدريس المختلفة والمقاربات التربوية المختلفة.

أن تكون اللغة العربية جزءاً من الفعاليات اللامنهجية في المدارس.

3. **إثراء الخطاب السياسي العربي** من خلال إمداده بمصطلحات وخطاب (من حيث اللغة) يركز على أهمية اللغة العربية كوعاء ثقافي وهوية جماعية. هذه الأمثلة وغيرها الكثير يدل على الدور الذي لعبته الجمعيات في رفع موضوع اللغة العربية في الخطاب السياسي العربي.

وقد توج عمل المؤسسات المدنية في طرح اللغة العربية كحق ثقافي في إصدار التصورات المستقبلية خلال أعوام 2006-2007 والتي طرحت بشكل مباشر موضوع اللغة العربية كحق جماعي (انظر فصلا خاصا حول ذلك في هذا الكتاب).

14.2 بحث ميداني

حتى الآن تحدثنا عن الأحزاب، الحركات والجمعيات ومواقفها من اللغة العربية. في هذا القسم نريد أن نبحث الأيدلوجية اللغوية وفقاً لبحث ميداني ليقدم لنا صورة من جوانب أخرى.

ركزت معظم الدراسات اللغوية الاجتماعية حول الفلسطينيين في إسرائيل، حتى الآن، على معرفة واستخدام مخزونهم اللغوي، وعلى تعليم اللغات وسياسة تعليمها (أمارة ومرعي، 1999، 2002؛ سبولسكي وشوهامي 1999أ، 1999ب؛ أمارة، 2001). وهناك بعض الدراسات التي تطرقت إلى قضية اتجاهات الفلسطينيين الإسرائيليين حول العبرية (بدير، 1990؛ دغش، 1993؛ أبو ربيعة، 1996؛ شوهامي ودونيتسا - شميدت، 1998). دراسة أمارة ومرعي (2002) كانت الدراسة المستفيضة، وربما الوحيدة، للبحث في اتجاهات اللغات الرئيسية في المخزون اللغوي للفلسطينيين في إسرائيل. سيركز القسم المتبقي من هذا الفصل على الاتجاهات والأيدلوجيات اللغوية، وبشكل أكثر تحديداً: ما هي التصورات والاتجاهات التي يبديها الفلسطينيون صوب العربية والعبرية والإنجليزية؟ أي من هذه اللغات مهمة لهم في المستويين، الوظيفي والرمزي؟ ما درجة الاستعداد والرغبة في دراسة هذه اللغات؟ ما درجة حيوية واستخدام هذه اللغات في حياة الدولة؟

14.2.1 مميزات المشاركين في البحث

قدمت مع عبد الرحمن مرعي (أنظر أماره ومرعي، 2002) دراسة ميدانية اشترك فيها 999 مستجيباً دون أن يذكروا أسماءهم، أو اسم المؤسسة التي يدرسون فيها. والمشاركون هم طلبة من المدارس الثانوية والكليات التي يتم التعليم فيها بالعربية. وقد استلم الاستبيان تلاميذ في المدارس الثانوية في تسعة أماكن (قرى، مدن، ومدن عربية - يهودية مختلطة) من مناطق جغرافية مختلفة في البلاد، ومن كليتين (واحدة في المثلث، والأخرى في النقب).

معدل عمر المستجيبين 17.5 سنة، وكان أكبر المستجيبين سنّاً طالب كلية عمره 41 عاماً (وهو مستكمل). أكثر من 60% من المستجيبين كانوا من الإناث، لأن معظم الطلبة في الكليات هم كذلك، واشتمل المسح كذلك على المدارس الخاصة للبنات.

14.2.2 الإجراءات الفنية وأنواع الأسئلة

صيغ الاستبيان بالعربية، ووزعه باحثون ناطقون بالعربية. وقد تضمن ثمانية أقسام، ويحتوي على 146 بنداً: ركز القسم الأول (10 بنود) على الخلفية الشخصية للمستجيبين (مثل العمر، والجنس، ومكان الإقامة، والاتصال مع الإسرائيليين اليهود والسياح، والهوية). وقدمت الأقسام الثلاثة التالية، عبارات اتجاهية حول العربية (23 بنداً)، والعبرية (24 بنداً)، والإنجليزية (25 بنداً)، هدفت إلى تقييم حيوية اللغات، والوظائف العملية والرمزية التي تؤديها، والثقافة اللغوية، ومكانة اللغات.

سأل القسم الخامس (15 بنداً) عن الصعوبات التي واجهها المتعلم عند دراسته العربية والعبرية والإنجليزية (مثل اللمكنة، والتعبير الكتابي والشفهي). وسأل القسم السادس (30 بنداً) حول تكرار استعمال العربية الفصحى والعبرية والإنجليزية في المجالات المختلفة في المدرسة، وفي العائلة، وعند الالتقاء بسياح. وسمح القسم التالي (10 بنود) للمستجيبين بأن يعطوا تقييمهم للغات، وللمجموعات المختلفة في إسرائيل.

وتخصص القسم الأخير (9 بنود) باهتمام المستجيبين في التلفزيون، والأفلام، والراديو، والصحف العربية والعبرية والإنجليزية. وكانت بعض العبارات قد استخدمت في بحث سابق، أجراه في بيت لحم أمارة وسبولسكي وطوشية ودي بوت (1999).

14.2.3 النتائج:

الاتجاهات نحو العبرية والعربية والإنجليزية

طلب من المستجيبين أن يقرأوا عبارات ظهرت في الاستبيان، وأن يشيروا إلى أي حد يتفقون مع المحتوى. وتضمنت كل عبارة خمس إجابات: 1. أوافق كثيراً، 2. أوافق، 3. أوافق إلى حد معين، 4. لا أوافق، 5. لا أوافق بتاتا. وكانت هنالك 23 عبارة حول العربية، و24 حول العبرية، و25 حول الإنجليزية.

هدفت العبارات إلى فحص وجهات نظر المستجيبين، ومواقفهم فيما يتعلق باللغات الثلاث. كما تضمنت هذه العبارات جوانب مختلفة من اللغة: الجانب الرمزي، خلط اللغات، اختيار اللغة، تعليم اللغات، حيوية اللغة في نظر المتكلم،

استعمال اللغة لأغراض عملية، المعرفة اللغوية، المعرفة العامة، الأهمية الثقافية للغة، الأهمية السياسية، والسمعة التي تكسبها اللغة للمستخدم.

تُظهر نتائج البحث اختلافات كبيرة في إدراك اللغات الثلاث. إن الجانب الرمزي في العربية هو الأهم، لأن العبارات الخمس التي عالجت هذا الموضوع، حازت على أعلى العلامات (مثل "لغتي القومية"، "فخور باللغة العربية"، وغيرها). وقد تم إدراك العبرية كلغة تواصل مع الإسرائيليين اليهود في المجالات المختلفة، أي، أنها لغة مفيدة للأغراض العملية ("يزيد تعلم العبرية من فرص القبول في الجامعة"، "إيجاد عمل في إسرائيل"، وغيرها). وقد حازت ست عبارات حول هذا الموضوع على العلامة العليا. وعلى النقيض من ذلك، تم إدراك الإنجليزية كلغة حيوية لأغراض عملية.

14.2.3.1 العربية

إن الفحص العميق للعربية، يعطي حقائق هامة (انظر جدول 14.1). يفضل المستجيبون تكلم العربية المحكية (2.11)، فهم يعتبرون العربية الفصحى لغة صعبة لدرجة معينة (2.53)، ويرى جزء كبير من المستجيبين اللغة المحكية عقبة لتعلم اللغة الفصحى (2.56). والشيء الذي يجذب النظر هو أن جزءاً هاماً من المستجيبين يدركون العربية المحكية والفصحى على أنهما لغتان منفصلتان (3.02) بشكل مشابه، يضع المستجيبون كلمات وتعابير عبرية عندما يتكلمون العربية (2.39). ولم تعتبر دراسة العربية فعالة من وجهة النظر العملية، مثلاً، من أجل الحصول على عمل في مكاتب حكومية (3.9). ومن وجهة نظر تعليم اللغات، فإن أغلبية واضحة من المستجيبين تريد التعامل مع العربية الفصحى (وليس اللهجة المحلية)، بحيث تدرس من الصف الأول بدلاً من الصف الخامس (4.64)، أو من الصف العاشر (4.67). وكذلك، فإن معظمهم يعارضون إعادة كتابة الكتب المقررة في اللغة العامية (4.01). بالإضافة إلى ذلك، يريد المستجيبون أن يعرف اليهود الإسرائيليين لغتهم (العربية)، وقد رفض معظمهم عبارة "لا أريد أن يعرف الإسرائيليون اليهود لغتي" (4.26).

جدول 14.1: التصورات والاتجاهات حيال العربية

العبارة	
1.17	اللغة العربية هي لغتي القومية
1.18	إنني أعتز بلغتي العربية
1.50	إنني أحب العربية
1.56	العربية هي لغة جميلة وشائقة
1.59	معرفة اللغة العربية تعزز انتمائي للأمة العربية
2.11	أفضل أن أتحدث باللغة العامية
2.39	خلال محادثتي أستخدم كلمات بالعربية
2.53	اللغة العربية الفصحى هي لغة صعبة
2.56	اللغة العامية تشكل عائقاً أمام تعلم اللغة العربية الفصحى
2.57	تمكنني من اللغة العربية يساعدني على النجاح في باقي المواضيع التعليمية
2.60	العربية هي لغة دولية
2.82	معرفة العربية تسهل على المواطنين العرب معرفة حقوقهم وواجباتهم
2.99	كتب تدريس اللغة العربية مليئة بمواضيع تتناول القومية العربية
3.02	إنني أعتبر العربية الفصحى والعامية لغتين منفصلتين
3.02	معرفة اللغة العبرية تقلل من أهمية معرفة اللغة العربية في إسرائيل
3.30	لا أستطيع أن أعبر عن نفسي بالعربية الفصحى
3.87	إنني أعرف عن الحضارة اليهودية أكثر من الحضارة العربية
3.90	إنني أتعلم العربية حتى تكون لي وظيفة مهمة في الدوائر الحكومية
4.01	إنني أرغب أن تكون كتب التدريس مكتوبة باللغة العامية
4.26	لا أريد أن يعرف اليهود لغتي
4.64	أفضل ألا أتعلم اللغة العربية بتاتاً
4.67	أفضل أن تكون بداية العربية الفصحى في الصف الخامس بدلاً من الصف الأول
4.73	أفضل أن تكون بداية تعليم العربية في الصف العاشر بدلاً من الصف الأول

14.2.3.2 انطباعات من لغات ومجموعات مختلفة

طلب من المستجيبين، أيضاً، أن يعبروا عن انطباعاتهم وتصوراتهم تجاه جماعات ولغات مختلفة في إسرائيل. وكان لكل سؤال خمس إجابات ممكنة: 5. عال جداً، 4. عال، 3. متوسط، 2. منخفض 1. منخفض جداً. وهنا ضمناً الفرنسية للمقارنة لسببين: السبب الأول، هو أن الفرنسية لغة أوروبية ذات مكانة عالية في أنحاء العالم. والسبب الثاني، هو تدريس الفرنسية في عدد من المدارس الخاصة العبرية، وفي كثير من المدارس اليهودية الإسرائيلية.

بالنسبة لمكانة اللغات في إسرائيل، تصدرت العبرية أعلى علامة (4.62)، وحلت الإنجليزية في المكان الثاني (3.75) قبل العربية (3.41)، التي تم تعريفها بأنها اللغة الرسمية الثانية في الدولة، بينما نجد أن مكانة الفرنسية متدنية جداً في إسرائيل (2.08). وتعني النتائج أن العبرية تتمتع بمكانة عالية جداً في إسرائيل، وتحظى الإنجليزية والعربية بمكانة بين المتوسطة والعالية.

من خلال فحص استخدام اللغات حسب تصور المستجيبين في مكاتب الحكومة، وفي الخدمات العامة (مثل، الفنادق والمطاعم وغيرها)، وفي التجارة، وفي العلاقات العامة، وفي العمل في إسرائيل، تبين أن العبرية حصلت على أعلى علامة في جميع النواحي، وتعتبر لغة مفيدة وحيوية جداً في النواحي المذكورة أعلاه. وتأتي العربية في المكان الثاني في جميع النواحي، واستخدامها يقع بين الكثير والمتوسط. والإنجليزية في المكان الثالث، ويقع استخدامها بين المتوسط والقليل. أما الفرنسية فتتواجد في المكان الأخير، ويعتبر استخدامها قليلاً جداً تقريباً. وفيما يلي تفصيل الإجابات:

جدول 14.2: استعمال اللغات بين المشاركين في البحث

في مواقع مختلفة

اللغة	المكاتب الحكومية	الخدمات العامة	التجارة والعلاقات العامة	العمل في إسرائيل
العبرية	4.40	4.51	4.53	4.59
العربية	3.33	3.08	3.34	3.53
الإنجليزية	2.14	2.54	2.33	2.14
الفرنسية	1.27	1.44	1.38	1.29

يقدر المستجيبون، أن الأكثر استخداماً في وسائل الاتصال يتم بالعبرية، وقد حازت على علامة عالية جداً (4.68)، والعربية في المكان الثاني (3.74) وعلامتها عالية، والإنجليزية تقع في المكان الثالث (3.11) وقد اعتبر استخدامها متوسطاً، أما الفرنسية، فإن استخدامها متدنٍ (1.58).

إن استخدام العربية في المدارس العربية عال جداً (4.71)، ويدرك استخدام العبرية أنه عال (4.12)، ويدرك استخدام الإنجليزية أنه من عال إلى متوسط (3.8). ويعتبر استخدام العبرية في المدارس اليهودية عاليًا جداً (أكثر من استعمال العربية في المدارس العربية)، ويعتبر استعمال الإنجليزية عاليًا (4.03)، ويتم إدراك استعمال العربية بأنه متدنٍ (2.21). ويتم إدراك استعمال الفرنسية في المدارس اليهودية بأنه أعلى من العربية (2.50).

ختامًا، أردنا أن نعرف كم كان المستجيبون راضين عن الإنجازات العلمية والثقافية للمجموعات التالية، وهي: العرب، اليهود الإسرائيليون، الأمريكيون والفرنسيون. حصل الأمريكيون على أعلى علامة في الإنجازات العلمية، وبعدهم يأتي الإسرائيليون اليهود (4.28)، وكانوا، تقريبًا، ملاصقين للأمريكيين، ثم الفرنسيون (3.61)، وأخيرًا العرب الذين كانوا راضين بشكل متوسط (3.39). بالنسبة لرضاهم عن تراثهم التاريخي والثقافي، فقد تلقى العرب أعلى علامة (4.16)، وتلقت المجموعات الأخرى علامات عالية (قريبة من 4.00). وهذا يظهر وعيًا واعتزازًا عند المستجيبين بتراثهم التاريخي والثقافي، بالرغم من أن المضامين التي تتعلق بالثقافة العربية قليلة في مناهج تعليم العربية والعبرية في المدرسة.

14.3 خلاصة

لم تول الأحزاب العربية في إسرائيل اهتماماً خاصاً للغة العربية إلا حديثاً، إلا أن ذلك لم يظهر في برامجها الانتخابية، ما عدا حزب التجمع الذي افرد حيزاً في برنامجه لموضوع اللغة العربية، رابطاً بينها وبين الإدارة الذاتية والحقوق الجماعية.

وفي الجانب الآخر يمثل التيار الإسلامي نموذجاً لعمل ونشاط جماهيري يحافظ على اللغة دون أن تكون اللغة برنامجاً انتخابياً أو ضمن رؤية إستراتيجية واضحة لذلك.

وكان للحزب الشيوعي دور ريادي في تعزيز اللغة العربية بواسطة إصدار صحيفة

الاتحاد (التي كانت في مرحلة ما لربما من الصحف العربية الوحيدة في متناول العربي في الداخل) ومجالاتها العديدة التي أثرت على أجيال مختلفة في ميادين متعددة. والجمعيات الأهلية في الوسط بين تلك وذاك، فهي تملك رؤية لمكانة اللغة العربية (التصورات المستقبلية) إلا أنها ليست برامج سياسية، وتقوم ببعض النشاطات لتطبيق ذلك إلا أن نشاطاتها لا تصل إلى الجمهور الواسع كما هو حال نشاطات الحركة الإسلامية ونشاطات الحزب الشيوعي في الماضي.

هذا لا يعني أن باقي الأحزاب لم تعد تول اهتماما للغة العربية إلا أن ذلك لم يظهر في برامجها السياسية أو الانتخابية، أو يترجم إلى نشاطات تثقيفية جماهيرية، بل بقي فقط حاضرا على مستوى الخطاب وأيضا بشكل متواضع.

وتظهر نتائج البحث الميداني اختلافات كبيرة في تصور اللغات الثلاث. بالنسبة للعربية، فإن الجانب الرمزي هو الأكثر أهمية، لأن العبارات الخمس التي تتعلق بهذا الموضوع حازت على أعلى علامة (مثل "لغتي القومية"، "أعتز باللغة العربية" وغيرها). وينظر إلى العبرية على أنها لغة التواصل مع الإسرائيليين اليهود في النواحي المختلفة، أي أنها لغة مفيدة لأغراض عملية (يزيد تعلم العبرية من فرص القبول في الجامعة، إيجاد عمل في إسرائيل، وغير ذلك). وقد تلقت ست عبارات حول هذا الموضوع أعلى علامة.

وعلى النقيض من هذا، نُظر إلى الإنجليزية، على أنها لغة حيوية لأغراض عملية. فإظهار الجانب الرمزي في اللغة هام جدا، لأنه المحرك لبقاء اللغة العربية حية وناضجة وإن انتابها بعض الوهن في الحالات الحياتية المختلفة. لم تكن العبرية تظهر إلى الوجود ثانية كلفة حية ومفعمة بالحياة لولا الايديولوجية الصهيونية التي ربطت بين بناء اليهودي الجديد وبين اللغة العبرية، والابتعاد عن لغة الشتات.

الباب السادس:

تحديات اللغة العربية:
قضايا سياسية-أيدولوجية

الفصل الخامس عشر

مجامع اللغة العربية في السياق الإسرائيلي:

بين الدور البحثي والقيمة القومية



15.1 حول اللغة والتحديث

لعبت اللغة دورا هاما في تشكل المجموعات القومية الحديثة، لا بل إن اللغة هي مركب هام في الهوية القومية عموما والهوية الثقافية خصوصا كما أشرنا في الفصل الأول. وقد كتب الكثير من الباحثين عن دور اللغة في تشكل القومية العربية والثقافة العربية نذكر منهم المفكر القومي ساطع الحصري، الذي قال جازما:

لا الدين، ولا الدولة، ولا الحياة الاقتصادية تدخل بين مقومات الأمة الأساسية، كما أن الرقعة الجغرافية أيضا لا يمكن أن تعتبر من المقومات الأساسية، وإذا أردنا أن نعين عمل كل من اللغة والتاريخ في تكوين الأمة قلنا: اللغة تكون روح الأمة وحياتها، التاريخ يكون ذاكرة الأمة وشعورها. (الحصري، 1959، 252).

وفي مكان آخر يقول الحصري "إن اللغة سكبت عقول العرب في قالب واحد، وركزت طبائعهم وجعلت منهم أخلاقيا وروحيا أمة واحدة" (الحصري، 1961، 112). وقد رافق بناء الحركات القومية والمجموعات القومية عملية مماثلة ومرافقة لها وهي إحياء اللغة القومية، حيث رافق عملية بناء حركة قومية لدى الأتراك والعرب، على سبيل المثال، إحياء اللغة، واعتبر الباحثون والقوميون على حد سواء أن إحياء اللغة كلغة قومية تساهم في عملية التحديث أيضا إلى جانب مساهمتها في عملية الإحياء القومي.

ويؤكد البيروت حوراني هذا المعنى حول العلاقة بين الهوية القومية واللغة العربية في كتابه الفكر العربي في عصر النهضة، بقوله إن "العرب أشد شعوب الأرض إحساسا بلغتهم" (حوراني، 1968، 11).

هنالك نقاش في العالم العربي حول عملية التحديث، بحيث لا يمكن أن تتقدم بشكل فعال دون تحديث اللغة نفسها. ونرى أن تحديث اللغة العربية كان شرطا لنجاح مشروع التحديث في المجال السياسي-الاجتماعي (سليمان، 2004).

يقول ياسر سليمان إن هنالك اعتقاداً في خطابات القوميين مفاده بأن اللغة العربية بحاجة للتحديث اللغوي قواعدياً، قاموسياً، أسلوبياً، وبيداغوجياً لتحسينها وجعلها قادرة على الاشتراك في المشروع القومي وبطريقة فعالة (2003: 227).

لقد بيّنا في الفصل الأول الصراع الدائر بين مناصري التحديث ومناصري اللغة العربية المعيارية بدون إحداث تغييرات جوهرية. الصراع حول اللغة في جوهره هو صراع حول نوعية المجتمع الذي نريده: مجتمعاً متجدداً أو مجتمعاً محافظاً.

وفي سبيل تحديث اللغة، لتكون رافعة للتحديث القومي سعت الدول القومية والحركات الوطنية على إقامة مجامع اللغة والأكاديميات اللغوية، وذلك لكي تساهم في إبقاء اللغة حية وفاعلة وتواكب التطورات الحديثة في كل المجالات، وقد قامت الحركات الوطنية في العالم العربي، كما سنرى لاحقاً، بتأسيس مجامع للغة العربية بغية إكساب اللغة بعداً حداثياً إلى جانب البعد الرمزي والقومي الذي تقوم به. ما الدور الذي تقوم به المجامع للغة العربية في إسرائيل والتي أقيمت حديثاً؟ هذا هو السؤال المركزي في هذا الفصل.

15.2 مجامع اللغة العربية

يقول سبولسكي (2009: 234) انه رغم أن المجامع اللغوية تعتبر المؤسسات الأساسية المسؤولة عن التهذيب اللغوي والمحافظة على طهارة اللغة، هنالك دراسات قليلة جداً عن تاريخ ومميزات المجامع اللغوية القومية.

15.2.1 نبذة قصيرة

أنشئت العديد من مجامع اللغة العربية في العالم العربي: مجمع اللغة العربية بدمشق، والذي تأسس سنة 1919، مجمع اللغة العربية بالقاهرة سنة 1932، المجمع العراقي سنة 1947، أكاديمية المملكة المغربية (أو ما يعرف اليوم بمكتب تنسيق التعريب) سنة 1961، مجمع اللغة العربية الأردني سنة 1976، مؤسسة بيت الحكمة (أو ما تعرف اليوم بالمجمع التونسي للعلوم والفنون) سنة 1983، مجمع

اللغة العربية بالخرطوم سنة 1993، مجمع اللغة العربية الليبي (أو ما يسمى بمجمع اللغة العربية بالجماهيرية) سنة 1994، المجلس الأعلى للغة العربية بالجزائر سنة 1996، والذي لا يعمل حالياً (بسيوني، 2009: 256).¹ هذا إضافة إلى المجمعين اللذين أنشئتا حديثاً في إسرائيل: مجمع اللغة العربية الرسمي 2007، ومجمع القاسمي للغة العربية وأدابها الذي أسس عام 2008.

فإقامة مجمع اللغة العربية بداية في سوريا ومن ثمة في مصر تأثر بمجمع اللغة الفرنسي، الذي تأسس عام 1635، هادفاً لوضع قوانين للغة الفرنسية وتطهيرها وجعلها قادرة على التعامل مع الفنون والعلوم (Spolsky 2004: 64).

إن الهدف من إقامة المجمع في العالم العربي، هو الحفاظ على اللغة العربية وتطويرها، وكذلك لتلبية حاجات المجتمع العصري في كل مجالات المعرفة الإنسانية (Sawaie, 1986). وهي مسؤولة عن ابتكار المصطلحات العلمية (خليفة، 1977). وكان لها دور هام في تعريب مؤسسات وهيئات الدولة وتعريب التعليم (Sawaie, 2006). ننوه أنه كان تركيز المجمع على الأهداف الآتية: بحث قضايا اللغة العربية، إصدار المعاجم اللغوية، ابتكار المصطلحات العلمية اللغوية، العناية وإحياء التراث، النهوض باللغة العربية، وإصدار المجالات.

إن جميع المجمع تشير إلى الأهداف الواردة أعلاه، لكن الاختلاف ربما في الأولويات وتلبية الحاجات الخاصة للدول المختلفة. إضافة نرى أن المجمع في مصر وسوريا والعراق هي الأكثر عراقة وإسهاماً في تطوير اللغة العربية، كما تدل على ذلك النتائج الوافرة لهذه المجمع.

تواجه المجمع العديد من الإشكاليات. منها أنه لا ضمان أن الكتاب أو المجتمع عامة سوف يتبعون التوصيات، لأن المجمع لا يوجد لها صلاحيات لتطبيق ما تقره. إشكالية أخرى أن هنالك نقصاً في التنسيق بين فعاليات المجمع المختلفة، نذكر على سبيل المثال، المجمع المختلفة والتي توصي باستخدام بعض المصطلحات بشكل مختلف لنفس المفاهيم. (Sawaie, 2006) نشير بأنه ما زالت المجمع العربية تعاني من النزاعات السياسية، وينعكس هذا بسوء أو عدم التنسيق أو التعاون فيما بينها. هذا إضافة إلى نقص في الموارد والدعم المادي.

1 تأسس المجمع العلمي اللبناني سنة 1927 وتم إغلاقه بعد عامين.

15.2.2 القاهرة نموذجاً

نتحدث في هذا القسم عن مجمع اللغة العربية بالقاهرة لأنه من أعرق المجمع في العالم العربي وكذلك لزخم نتاجاته.

أقيم مجمع اللغة العربية بالقاهرة عام 1932م، كما أشرنا أعلاه، برسوم ملكي، إلا أن جذور هذه الفكرة تعود إلى أواخر القرن التاسع عشر، أي إلى الفترة التي بدأت تتشكل فيها حركتان أساسيتان: الحركة الأولى وهي تبلور الحركة الوطنية المصرية، والحركة الثانية هي نشوء تيار قومي عربي. بدأ يُنظر إلى اللغة العربية كمكون هام في الهوية القومية، وذلك في جزء منه كرد فعل على عمليات التتريك التي قامت بها الحركة القومية التركية والقوميون الأتراك الذين بدأوا يتغلغلون إلى الدولة العثمانية.

كانت فكرة إنشاء مجمع للغة العربية بمصر أملاً يتطلع إلى تحقيقه كثير من أهل اللغة والأدب والعلم. ومنذ نحو مائة عام أخذت هذه الفكرة تتخلق حتى تمخضت عن مجمع أنشئ بدار البكري عام 1892م، ألفه جماعة من أعلام العلماء والأدباء، في طليعتهم الشيخ محمد توفيق البكري، والأمام محمد عبده، والشيخ محمد محمود الشنقيطي، ولكن هذا المجمع لم يبق سوى أشهر قليلة.² (مجمع اللغة العربية، 1964)

ظلت الدعوة إلى إنشاء مجمع لغوي قضية ملحة لدى مثقفي مصر، بل أخذت تنمو، وتصبح ملحة، وخصوصاً في ظل المطالب باستعمال اللهجات العامية، أو استقبال الوافد الدخيل من اللغات الأجنبية، فقد خشي علماء اللغة والغيورون على الفصحى أن يتحول الأمر إلى فوضى لغوية. وأخذت الجهود تتصاعد، وتتكاثف، لإنشاء المجمع اللغوي المنشود. وكان لـ "نادي دار العلوم" دور هام في هذا المضمار، خاصة في ندوته التي عقدها عام 1908، وتتابعت جلساتها خلال أسبوعين، أقيمت فيها بحوث للأساتذة: حفني ناصف، وحمزة فتح الله، ومحمد الحصري، وطنطاوي جوهري، وفتحي زغلول، تناولت العديد من قضايا الفصحى والمحكية، والمعرب والدخيل، وانتهت إلى قرار ينص على أن:

2 أنظر إلى: <http://www.arabicacademy.org.eg/FrontEnd/nabza.aspx>

يبحث في اللغة العربية عن أسماء للمسميات الحديثة بأي طريق من الطرق الجائزة لغة، فإذا لم يتيسر ذلك - بعد البحث الشديد - يستعار اللفظ الأعجمي، بعد صقله ووضعه في مناهج اللغة العربية، ويستعمل في اللغة الفصحى بعد أن يعتمله المجمع اللغوي الذي يتألف لهذا الغرض. (مجمع اللغة العربية، 1964).

وفي عام 1916م دعا الأستاذ أحمد لطفي السيد، مع بعض العلماء والأدباء، إلى إنشاء مجمع لغوي أهلي بدار الكتب المصرية، التي كان مديراً لها. وقد أنشئ هذا المجمع وسمي "مجمع دار الكتب"، واختير الأستاذ الشيخ سليم البشري - رئيساً لهذا المجمع، والأستاذ أحمد لطفي السيد كاتب سره، وكان من أعضائه الأستاذ الشيخ أحمد الاسكندري، والأستاذ الشيخ حمزة فتح الله، والأستاذ حفني ناصف. ثم توقف هذا المجمع حين قامت ثورة 1919م (الجميعة، 1983).

كل هذه الجهود التي بذلت لإنشاء مجمع لغوي كان إرهاباً بميلاد مجمعنا، فقد صدر مرسوم ملكي بإنشائه في 14 من شعبان سنة 1351 هـ الموافق 13 من ديسمبر سنة 1932م. ونوه المرسوم بأن يكون من أهم أهداف المجمع هو المحافظة على سلامة اللغة العربية، وجعلها وافية بمطالب العلوم والفنون، ومستحدثات الحضارة المعاصرة، ووضع معجم تاريخي للغة العربية، وتنظيم دراسة علمية اللهجات العربية الحديثة، بمصر وغيرها من البلاد العربية، وإصدار مجلة تنشر بحوثاً لغوية، والعناية بنشر التراث العربي الذي يلزم لوضع المعاجم، ودراسات فقه اللغة.³ (المصدر السابق)

وفي عام 1971 تم تأسيس اتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية، إذ اقترح فيها تشكيل لجنة تتألف من عضوية كل مجمع لغوي، في القاهرة وبغداد ودمشق لوضع نظام هذا الاتحاد، وانتخب الدكتور طه حسين رئيس مجمع القاهرة رئيساً للاتحاد والدكتور إبراهيم مذكور أميناً عاماً للاتحاد والدكتور أحمد عبد الستار الجوارى عن مجمع اللغة في بغداد والدكتور عدنان الخطيب عن مجمع اللغة في دمشق أمينين عامين مساعدين (الجميعة، 1983).

15.2.2.1 المجمع: أهدافه، لجانه وانجازاته

يحدد شوقي ضيف رئيس مجمع اللغة العربية أهداف مجمع اللغة بما يلي ذكره:

3 أنظر إلى: <http://www.arabicacademy.org.eg/FrontEnd/nabza.aspx>

المحافظة على سلامة اللغة العربية، وجعلها وافية بمطالب العلوم والآداب والفنون وملائمة لحاجات الحياة المتطورة، وأيضا النظر في أصول اللغة العربية وأساليبها لاختيار ما يبسط تعليم نحوها وصرفها، ويسر طريقة إملائها وكتابتها، ودراسة المصطلحات العلمية والأدبية والفنية والحضارية وكذلك دراسة الأعلام الأجنبية، والعمل علي توحيدها بين المتكلمين بالعربية. (الأهرام، 1\1\2003)

ويؤكد ضيف أن أهداف المجمع تطورت مع تطور الحياة والعصر، وأن المجمع يجب أن يكون ديناميكيا، وفي هذا الصدد يقول ضيف: "فمثلا تم وضع معاجم لغوية محررة على النمط الحديث في العرض والترتيب ومعاجم علمية اصطلاحية خاصة أو عامة ذات تعريفات محددة، وبيان ما يجوز استعماله لغويا، وما يجب تجنبه من الألفاظ والتراكيب في التعبير. والإسهام في إحياء التراث العربي في اللغة والآداب والفنون، وسائر فروع المعرفة الماثورة، ودراسة اللهجات العربية قديما وحديثا دراسة علمية لخدمة الفصحى والبحث العلمي، وكذلك دراسة قضايا الأدب ونقده وتشجيع الإنتاج الأدبي" (الأهرام، 1\1\2003).

وإجمالا فقد حدد مجمع اللغة العربية في القاهرة أهدافه على الشكل التالي:⁴
أولاً: المحافظة على سلامة اللغة العربية، وجعلها وافية بمطالب العلوم والآداب والفنون، وملائمة لحاجات الحياة المتطورة.

ثانياً: النظر في أصول اللغة العربية وأساليبها....

ثالثاً: دراسة المصطلحات العلمية والأدبية والفنية والحضارية وكذلك دراسة الأعلام الأجنبية، والعمل على توحيدها بين المتكلمين بالعربية.

رابعاً: بحث كل ما له شأن في تطوير اللغة العربية والعمل على نشرها.

خامساً: بحث ما يرد للمجمع من موضوعات تتصل بأغراضه السابقة.

أما الوسائل التي حددها المجمع لتحديد هذه الأهداف فقد كانت على النحو التالي:⁵

أولاً: وضع معاجم لغوية محررة على النمط الحديث في العرض والترتيب، ومعاجم

4 أنظر الى: <http://www.arabicacademy.org.eg/FrontEnd/ahdaf.aspx>

5 المصدر السابق.

علمية اصطلاحية خاصة أو عامة ذات تعريفات محددة.

ثانياً: بيان ما يجوز استعماله لغوياً، وما يجب تجنبه من الألفاظ والتراكيب في التعبير.

ثالثاً: الإسهام في إحياء التراث العربي في اللغة والآداب والفنون، وسائر فروع المعرفة الماثورة.

رابعاً: دراسة اللهجات العربية قديمها وحديثها دراسة علمية لخدمة الفصحى والبحث العلمي.

خامساً: دراسة قضايا الأدب ونقده، وتشجيع الإنتاج الأدبي، بالتنويه به أو بعقد ندوات ومسابقات فيه ذات جوائز أو بأية وسيلة أخرى.

سادساً: إصدار مجلات، نشرات أو كتب تحوى قرارات المجمع وأعماله وبحوث أعضائه وغيرهم، مما يتصل بأغراض المجمع.

سابعاً: توصية الجهات المختصة باتخاذ ما يكفل الانتفاع بما ينتهي إليه المجمع لخدمة سلامة اللغة، وتيسير تعميمها وانتشارها وتوحيد ما فيها من مصطلحات.

ثامناً: الدعوة إلى عقد المؤتمرات والندوات التي تتصل بأغراض المجمع، والاشتراك فيما يدعو إليه المجمع من مؤتمرات وندوات تتصل بأغراضه.

تاسعاً: توثيق الصلات بالمجامع والهيئات اللغوية والعلمية في مصر وفي خارجها.

عاشراً: اتخاذ أية وسائل لتحقيق أغراض المجمع.

يضم مجمع اللغة العربية في القاهرة 25 لجنة متخصصة، هدفها تحديث اللغة ومواكبة التطورات العصرية الحديثة، وهذه اللجان هي:⁶

لجنة المعجم الكبير

لجنة أصول اللغة

لجنة الألفاظ والأساليب

لجنة اللهجات والبحوث اللغوية

لجنة الأدب

- لجنة إحياء التراث العرب
- لجنة المعجم الوسيط
- لجنة علم النفس والتربية
- لجنة الفلسفة والعلوم الاجتماعية
- لجنة التاريخ
- لجنة الجغرافيا
- لجنة القانون
- لجنة المصطلحات الطبية
- لجنة الكيمياء والصيدلة
- لجنة علوم الأحياء والزراعة
- لجنة الاقتصاد
- لجنة الجيولوجيا
- لجنة النفط
- لجنة الهيدرولوجيا (علم المياه)
- لجنة الفيزيكا
- لجنة الهندسة
- لجنة الرياضيات
- لجنة المعالجة الإلكترونية
- لجنة ألفاظ الحضارة ومصطلحات الفنون
- لجنة الشريعة

من خلال نظرة سريعة إلى عمل مجمع اللغة العربية في القاهرة، نجد أن المجمع قد استطاع تجميع عبر سنواته الطويلة أكثر من مائة وخمسين ألف مصطلح علمي في مختلف التخصصات، أعدتها اللجان العلمية بأعضائها وخبرائها وأقرها مجلس المجمع ومؤتمره، وأصدر المجمع من هذه المصطلحات معاجم علمية متخصصة، وعددها سبعة عشر معجماً علمياً فريداً ومنها: معجم الجيولوجيا، والفيزيكا النووية والإلكترونيات، والفيزيكا الحديثة، والحاسبات، والمصطلحات الطبية، والكيمياء والصيدلة، ومعجم البيولوجيا في علوم الأحياء والزراعة، والنفط، والرياضيات، والجغرافيا والفلسفة ومعجم ألفاظ الحضارة والفنون، وعلم النفس، والهندسة، والقانون، والهيدرولوجيا، والموسيقى، ومنذ سنة 1934 يجتمع المجمع أسبوعياً لوضع هذه المصطلحات.

أخذ مجمع اللغة في القاهرة دوراً رائداً في العقود الأخيرة في إحياء اللغة العربية وتعريب العلوم، وقد ركزت قراراته السنوية على العمل الكبير الذي قام به المجمع في القاهرة لتحقيق الأهداف التي وضعها لنفسه. حيث يجمع المجمع على تعريب العلوم من خلال الدمج بين علوم اللغة والعلوم الأخرى.

رغم إسهام مجمع اللغة العربية بالقاهرة - كباقي الجامعات العربية الأخرى - بتطوير اللغة العربية، إلا أن التحديات ما زالت كبيرة سواء كان ذلك ما يرتبط بالمكانة المتدنية للغة العربية المعيارية، ومزاحمة اللغات الأجنبية لها، كما ينعكس ذلك في التعليم العالي حيث يتم تدريس بعض المواضيع بلغة أجنبية، أو المشهد اللغوي العام المليء باللغات الأجنبية. ربما نجحت الجامعات في دفع اللغة العربية قدماً، لكنها لم تنجح حتى الآن في مسألة التعريب الجماهيري. هذه ليست مسألة لغوية فحسب، وإنما أيديولوجية - سياسية. ما لم تقر النخب السياسية والاجتماعية المؤثرة في الدول العربية أن العربية هي لغة الحيز العام بالكامل وتتبعها سياسات واضحة وناجعة، سيكون تأثير المجمع محدوداً.

15.3 مجامع اللغة العربية في إسرائيل

لم يكن هدف القسم السابق فحص مسألة المجمع اللغوية لذاتها وإعطاء نبذة وافية عنها، وإنما محاولة متواضعة لفهم أهداف، السياقات وإنجازات أحد المجمع الهامة في العالم العربي، لعلها تفيدنا في دراستنا هذه.

جاءت فكرة إقامة مجامع للغة العربية في إسرائيل من قبل مجموعة من الأكاديميين والأدباء الذين بدأوا يهتمون بأمر اللغة العربية في إسرائيل وخصوصاً على ضوء وجود تهديدات لها: الأول العولمة وما حملت من مخاطر على اللغة، والعبرنة وما تحمله أيضاً من تحدي للغة العربية وخصوصاً في صفوف أبناء الشبيبة. إلا أن أفكار إقامة مجامع اللغة ينسجم أيضاً مع تطور الخطاب السياسي في صفوف العرب في إسرائيل، ذلك الخطاب الذي يركز على الحقوق الجماعية والاصلاحية والخصوصية الثقافية، حيث أن اللغة العربية هي في جوهر كل ذلك. تطور هذا الخطاب إلى جانب ازدياد الوعي لأهمية تعزيز اللغة العربية والمخاطر المحدقة بها.

15.3.1 جمعية مجمع اللغة العربية

بدأت فكرة إقامة مجمع لغة عربية في بداية عام 2005، عندما اجتمع بعض الباحثين واللغويين العرب في إسرائيل للعمل على تعزيز مكانة اللغة العربية في البلاد، وقد شارك في هذه المبادرة باحثون في اللغة العربية من أبناء المجتمع العربي في إسرائيل أمثال: فاروق مواسي، الياس عطا الله، فهد أبو خضرة، محمود غنايم، سليمان جبران، محمد أبو فنة وغيرهم (خلفية معظمهم في الأدب العربي) وقد بدأت هذه المجموعة بالاجتماع في كلية مار الياس لصياغة الفكرة ثم أخذت بعض الدعم من دائرة الثقافة العربية في وزارة المعارف، كما يحدث عن ذلك الدكتور فاروق مواسي.⁷ وقد كان الأعضاء المؤسسون أحد عشر- هم الذين يعملون في اللجنة العليا لشؤون اللغة العربية، مضافاً إليهم بعض الأسماء المعروفة، بعد ذلك أصبح المجمع جمعية مسجلة رسمياً تحت إدارة دائرة الثقافة العربية.

وقد حدد فهد أبو خضرة الرئيس الثاني (بعد سليمان جبران) لجمعية مجمع اللغة العربية فكرة وأهداف المجمع على النحو التالي:

المجمع اللغوي أقيم منذ ثلاث سنوات في إطار جمعية عثمانية مسجلة، وكان عدد المؤسسين أحد عشر عضواً، وكانت الفكرة قديمة عند نفس المؤسسين منذ أكثر من خمسة عشر عاماً، لكن الظروف لم تسمح، وحين سمحت نفذت الفكرة. والهدف الأساسي هو الاهتمام باللغة العربية في هذه البلاد، وإيجاد جسم مسؤول عربي يرفع شؤون اللغة العربية، ويشكل مرجعاً لغوياً وثقافياً لكل من يهتم بالموضوع.⁸

لم تقم هذه المبادرة في انجاز عمل يذكر، فقد كان التركيز على التأسيس ويلورة الفكرة والأهداف، والبحث عن هيكل للعمل وإطار يحتضن هذه المبادرة، لهذا يمكن القول إن أهم ما قامت به هذه المبادرة هي زيادة الوعي والأهمية لإقامة مؤسسة أو إطار يهتم باللغة العربية.

وقد بدأ هذا الاتفاق بين هذه المجموعة بالتفكك بعد أن توجهوا لأخذ اعتراف رسمي من الكنيست على شكل قانون يقر إقامة مجمع للغة العربية، فبدأ الخلاف بين أعضاء المجموعة حول تدخل عضو الكنيست غالب مجادلة الذي أصبح وزيراً

7 أنظر الى: <http://www.betna.com/books/showhwaratn.ASP?aid=154>

8 أنظر الى: amaalawwadradwan.maktoobblog.com/851216

للعلوم والثقافة لاحقاً، وحتى عندما مرر قانون المجمع من خلال الوزير مجادلة امتنع التجمع الوطني عن التصويت للقانون مبرراً أن المجمع للغة العربية لا يمكن أن يتم من خلال وزير في حزب صهيوني. وبعد تمرير القانون وبداية العمل على تشكيل أعضاء المجمع تم استثناء شخصيات من المجموعة الأولى لأسباب سياسية، كما يدعي، وعلى رأسهم الدكتور الياس عطا الله بسبب انتمائه الحزبي للتجمع الوطني الديمقراطي، كما جاء على لسانه.

وفي أعقاب استثنائه بعث عطا الله رسالة إلى الوزير غالب مجادلة قال فيها:

منذ أن أُحيلت قضية "مجمع اللغة العربيّة" إلى بلاطك الثقافيّ، قدّمت احتجاجي إلى الإخوة في المجمع، رافضاً أن أكون ممّن يعينك على التسلّق والتبجّح في تمهيلات حزبك، إذ لا شأن لي بحزب صهيونيّ، وصرّحت بهذا، لأنه ليس من الطبيعيّ إلّا أن أجهل برأيي، ولا أخفي عنك أنّ كلّ ما مرّ به المجمع منذ اقتحامك له، أو إقحامك فيه بالطرق الالتفافية، لا يبعث على الشرف، ولذا تغيّبت عن الكثير من الجلسات التي "أشرفت" أنت فيها. ليس فيّ تيّبي أن أفتح أوراقاً قديمة، أو قرارات اتّخذت في المجمع قديماً، ففي ثقافة العرب "ما فات مات"، أقبلها الآن، مع إيماني بأنّ ما فات لا يموت.

حضرت الجلسة الأخيرة التي عقدت في كليّة القاسمي، وقرأ رئيس المجمع الأسماء التي صدّقت عليها، وتلك التي عيّنتها مستشارة، وتلك التي حصّنتها، فحفظ الله كلّ من عُيّن تحت أيّ عنوان كان... وبقي اسمي وحده خارج نطاق التشريفات والتعيينات، ولم أفاجأ.

لم أفاجأ، وسألت رئيس المجمع إن كانت مؤهلاتي الأكاديمية منقوصة، أو إن لم أكن من المؤسّسين للمجمع الحاضنين له منذ حبا في كليّة مار إلياس- إلى أن خبا في عهد ثقافتك الرحبة-، ولم ألق إجابة إلا بالتصديق على قولتي، خاصّة وأنني الوحيد الحامل لشهادة الدكتوراة في اللغة العربيّة بين الأعضاء، وأكملت سؤالي التقريري:

"إذا، القضية تصفية حساب شخصيّ أو طائفيّ، أو حزبي عقيديّ، ولما كانت الإجابة سكوّتا هنا، أو موافقة أو ما بينهما هناك، عبّرت عن قرفي من الثقافة المعطوبة أو المعطبنة التي تمثّلها أنت، ومن الدور الذي مارسته في الملاحقة الحزبيّة والسياسيّة.⁹

يدل المقال الذي كتبه الدكتور الياس عطا الله بوضوح تام على أن اعتبارات سياسية دخلت في عملية تركيب المجمع الرسمي، ويشير عطا الله في مقالته انه كونه ينتمي

إلى التجمع الوطني الديمقراطي فقد استثنى من المجمع من خلال وزير ينتمي إلى حزب العمل. نشير إلى بأن هذه الفكرة وهذا المجمع أنهى دوره مع إقامة مجمع اللغة العربية الرسمي في العام 2007.

15.3.2 مجمع اللغة العربية الرسمي

جاء في موقع مجمع اللغة العربية في إسرائيل حول تأسيسه على النحو التالي:

تأسس مجمع اللغة العربية في حيفا بناءً على قانون صدر عن الكنيست في تاريخ 21 آذار 2007، ويقضي بإقامة مجمع للغة العربية في البلاد، ليهتم بشؤون اللغة العربية وإعلاء شأنها، لأنها لغة المواطنين العرب، ولغة معترف بها رسمياً في الدولة. وبناءً على القانون الذي صدر عن الكنيست، أصبح المجمع مؤسسة مستقلة استقلالاً تاماً، تُدير شؤونها العلمية والعملية بنفسها دون تدخل من أي جهة رسمية أو غير رسمية. ويعمل المجمع على تعزيز مكانة اللغة العربية ذات الجذور العميقة والتراث الغني من خلال أهداف عديدة يسعى إلى العمل بحسبها وتحقيقها مستقبلاً¹⁰.

ومن أهم هذه الأهداف:

1. دراسة اللغة العربية على اختلاف عصورها وفروعها.
2. العمل في مجالات المصطلحية، والقواعد، والمفردات، واللفظ، والنقحرة (النقل الحرفي) والإملاء في اللغة العربية، بما في ذلك الاستحداث اللغوية وملاءمتها لعصر التقنية والحوسبة المتطور.
3. إعداد قواميس ومعاجم عامة ومتخصصة.
4. دراسة اللغة في الثقافة العربية، وبالذات في مجالي الأدب والشعر.
5. إقامة العلاقات وتبادل المعلومات مع مجمع اللغة العبرية ومع مؤسسات دراسة اللغتين العربية والعبرية في البلاد والعالم.
6. التعاون مع وزارة التربية والتعليم ومع مؤسسات التعليم العالي وتقديم المشورة لها في مجالات نشاط المجمع.
7. إصدار منشورات وأبحاث وإقامة المؤتمرات في مجال نشاط المجمع¹¹.

10 أنظر إلى: <http://www.arabicac.com/shownews.php?ID=130>

11 المصدر السابق

تركيز المجمع هو على اللغة ومبانيها (أي على corpus planning حسب مصطلحات كوبر، 1989) أي التهذيب اللغوي وطهارة اللغة. ولا يوجد اهتمام، على الأقل حسب الأهداف، بمكانة اللغة العربية والوظائف التي يجب أن تؤديها في المجالات المختلفة والعمل على ذلك على المستوى القطري أو المحلي (ما أسماه كوبر 1989. status palnning)، أي العمل على تعزيز مكانة اللغة العربية بوظائفها المختلفة.

كذلك نرى أن إنجازات المجمع متواضعة جداً، فلم يصدر إلى الآن إلا عدد واحد من مجلة المجمع والأبحاث لا تتعدى أصابع اليد الواحدة والمشاريع الأخرى ما زالت في بدايتها.

وإذا قارنا بين أهداف مجمع اللغة العبرية الذي أقيم في العام 1953م وبين مجمع اللغة العربية نرى تشابهاً كبيراً في الأهداف، لا بل أن القانون في الحالتين يلزم الوزارات والسلطات المحلية ومؤسسات التعليم العالي تبني قرارات المجمعين في موضوع استخدام المصطلحات التي يقرها المجمعان، ولكن الاختلاف في السياق الذي نشأ فيه المجمعان، حيث نشأ مجمع اللغة العبرية في سياق الدولة القومية اليهودية التي تضع اللغة العبرية في صلب مشروعها الصهيوني والثقافي والقومي، وتعتبر اللغة العبرية لغة مهيمنة في الحيز العام بكل مكوناته، وبين مجمع اللغة العربية الذي نشأ أيضاً في السياق الإسرائيلي ولكنه سياق فيه اللغة العربية لغة دولية وأدائية وليس لغة ذات طابع رمزي ولا تلعب دوراً في هذا المجال، مما قد يجعل عمل مجمع اللغة العربية عملاً أداتياً بحثياً بينما يجعل عمل مجمع اللغة العبرية عملاً قومياً بالأساس.

15.3.3 مجمع القاسمي للغة العربية وأدائها

أقيم مجمع القاسمي للغة العربية في أكاديمية القاسمي في باقة الغربية في عام 2008م، وقد جاء في التصور الفكري للمجمع حول إقامته وأهدافه بان مجمع القاسمي:

يهدف المجمع إلى الحفاظ على سلامة اللغة العربية وحمايتها من العواقب التي ترشحها الظروف الراهنة والمتوقعة، الناجمة - أساساً - عن مزاحمة اللغات الأخرى، فاللغة العربية في بلادنا في صراع مفتوح مع اللغة العامية من جهة واللغة العبرية من جهة أخرى. ويسعى المجمع إلى جعل اللغة

العربيّة وافية بمطالب العلوم والآداب والفنون، وإلى ملاءمة مستحدثات الحضارة المعاصرة والحياة المتطوّرة. سيحتهد المجمع في النظر في أصول اللغة العربيّة وأساليبها، لاختيار ما يوسّع أقيستها يبسّط تعليم نحوها وصرّفها وييسّر طريقة إملائها. وإلى ذلك سينشط المجمع في عقد المؤتمرات والندوات العلميّة والثقافيّة، ونشر الدراسات اللغويّة والأدبيّة والإسهام في إحياء التراث العربي. كما سيقدم التوصيات إلى الجهات المختصة لاتخاذ ما يكفل الانتفاع بما ينتهي إليه المجمع لخدمة سلامة العربيّة وتيسير تعميمها وانتشارها.

هذه الفعاليات والنشاطات والأبحاث والتوصيات سيتمّ تعميمها من خلال إصدار المجالات والنشرات والكتب والأيام الدراسيّة. سوف ينصبّ اهتمام المجمع بشكل أساسي على اللغة العربية، قديمها وحديثها، ودراساتها في سياقاتها المختلفة: اللغوية، الأدبية، العلمية، الاجتماعية والسياسية، وكذلك على تلبية كافة الاحتياجات اللغوية للناطقين بالضاد، وتقديم الاستشارة العلمية والبحثية في كل ما يتعلق بعلوم اللغة والحضارة. وتحقيقاً لهذه الغايات يسعى المجمع إلى استقطاب خيرة الباحثين في المواضيع ذات الصلة، بالإضافة إلى المتخصصين بالعلوم الأخرى (الإنسانية، الاجتماعية فضلاً عن العلوم الدقيقة)، وإلى تأليف لجان مختلفة تتناول اللغة من كافة جوانبها وأبعادها، وتعكف على تشخيص مشكلاتها وتقديم الاقتراحات والتوصيات. ويسعى المجمع كذلك نحو التعاون مع المراكز والمؤسسات المختلفة في أكاديمية القاسمي كالمكتبة، والإذاعة والمراكز الأخرى، ومع مراكز بحثية وأكاديمية في البلاد في كافة المجالات المتعلقة باللغة العربية وملحقاتها. كما يتطلع إلى مدّ جسور التواصل مع المجمع اللغوية في العالم العربي بغية تبادل الخبرات والتجارب.¹²

وإذا أردنا تلخيص أهداف مجمع اللغة العربية في أكاديمية القاسمي فإنه يمكن تحديدها على النحو التالي:

أولاً: الحفاظ على اللغة العربية وسلامتها وخصوصاً في ظل تحديات العامية والعبرية.

ثانياً: ملاءمة اللغة لمستجدات العصر والحضارة والعلوم في كل المجالات.

ثالثاً: نشر الأبحاث والدراسات ذات الصلة وتنظيم المؤتمرات وتقديم الاستشارة في هذا الخصوص.

تبين أهداف مجمع القاسمي كما ظهرت في تصوره الفكري، اللجان المختلفة، الفعاليات التي قام بها إلى اليوم، والأبحاث التي نشرت حتى اليوم¹³ (بالأساس حول التراث وحول المباني اللغوية) أن عمل المجمع عمل أداتي بحث، يركز على الأبحاث وخاصة الجوانب البنيوية للغة، وهذا لا يجعل عمل المجمع عملا قوميا بالأساس، كما هو الحال في إقامة المجمع عادة.

15.4 خلاصة

ان أهداف مجامع اللغة العربية في العالم العربي متشابهة جدا، إلا أن أدواتها مختلفة، فمثلا ما أنجزه مجمع اللغة العربية بالقاهرة هو كبير وذلك لربما ناتج عن عمقه التاريخي وعمله المتواصل وأقدميته، كما أن إقامة اتحاد مجامع اللغة في العام 1971م جعل عمل مجامع اللغة في غالبية الدول العربية أقل فاعلية.

وكذلك مجمع اللغة بالقاهرة الذي يقوم بعمل يمكن له أن يسد ثغرة كبيرة في هذا المجال، ولا يضاويه في العمل إلا مجمع اللغة العربية بدمشق، الذي يقوم بعمل جبار أيضا، أما باقي المجمع في العالم العربي فهي تلعب دورا قطريا محليا وتؤكد على الطابع القطري لنشوء الهوية الوطنية، وهذا الجانب جزء من عملية تكريسها، ونعتقد أن الحاجة لها هو قليل مع وجود مجمعي اللغة العربية في القاهرة ودمشق. ولكن وجود هذه المجمع جزء من عملية التشرذم في العالم العربي، وعدم القدرة على التعاون المثمر والتنسيق. فالدول العربية لا تحتاج إلى مجمع في كل دولة، بل إلى مجمع واحد يضم علماء اللغة وعلماء آخرين في مختلف التخصصات من مختلف الدول العربية. يبقى السؤال حول الحاجة إلى كثرة المجمع لنفس اللغة من جهة، والسياقات التاريخية التي أقيمت بها المجمع من جهة ثانية.

وعند معاينة المجمع الثلاثة التي أقيمت في المجتمع العربي في إسرائيل، نرى بأن أهدافها تقريبا متشابهة، وهذا يدل على أن المجمع الثلاثة التي أقيمت لا تجدد أمرا من حيث الأهداف، أو من جانب أساليب عملها. ربما كان الاختلاف في أدائها، وفي أولويات الأهداف التي تريد تحقيقها، وفي الآليات التي تريد استخدامها

13 فقد أصدر حتى الآن مجلتين، تحملان اسم "المجمع" وما يزيد عن سبعة كتب خلال سنتين فقط من عمله، فضلا عن مؤتمرين شارك فيهما أساتذة من الجامعات الفلسطينية، وهناك مشاريع عديدة ما زالت قيد الدراسة.

لتحقيق أهدافها، ما عدا ذلك فإن الفرق البنيوي بين المجامع ليس كبيرا. إذن ما تفسير وجود مجمعين؟ (جمعية مجمع اللغة العربية أنهت عملها 2007) للغة في صفوف الأقلية العربية تتشابه من حيث الأهداف (رغم اختلاف الصياغات) لا بل تتشابه أيضا من حيث الأولويات (رغم الاختلاف حول ترتيبها).

فكل المجامع تجمع على أن الهدف الأسمى هو إحياء اللغة العربية وتطويرها والحفاظ عليها. وهذا ما يؤكد أن عملية إقامة المجامع في إسرائيل هي عملية بالأساس سياسية وليست رؤيوية تفهم متطلبات الحاضر واحتياجات المستقبل اللغوية.

بالنسبة للحاجة فإن الحديث هو عن لغة عربية واحدة، تمثل مركبا هاما من الهوية القومية وحتى الدينية عند العرب والمسلمين، ويكفي وجود مجمع واحد جدي وكبير يشمل كافة الأقطار العربية ليسد الحاجة في ذلك.¹⁴ أما بالنسبة للسياقات التاريخية فإن المجامع تقام في الدول القومية التي تعتبر فيها اللغة جزءاً من الهوية الوطنية للدولة، ومركبا أساسيا في ثقافتها، وعاملا في تحديثها وحدثها.

وليس صدفة أن يقام مجمع اللغة العربية بالقاهرة أو بداية التفكير في إقامة مجمع عربي مع تشكل الحركة القومية العربية أو الحركة الوطنية المصرية، لأن اللغة هي مركب هام في الثقافة القومية والوطنية وتحديثها وتنميتها جزء من عملية التنمية القومية والوطنية للشعوب، كما أن اللغة تكون لغة رسمية وتدرسية وأداتية في المؤسسات الحكومية ومؤسسات التعليم العالي والإنتاج الثقافي والمعرفي الدولة.

وفي الحالة الإسرائيلية فإن هذا الأمر مفقود، فالدولة تعتبر اللغة العربية لغة رسمية في الدولة ولكن دون الاعتراف بدورها القومي والوطني لأنها أصلا لا تعترف بالعرب في إسرائيل كمجموعة قومية بل كأقليات دينية وإثنية، فكيف تقيم دولة مجمعا للغة لمجموعة معينة لا تعترف الدولة بتشكيلها القومي، هذا يدل على أن السقف الذي تطمح له الدولة من مجمع اللغة في السياق الإسرائيلي أن يكون مركزا بحثيا لغويا لا أكثر.

أما في حالة مجمع القاسمي، فلم يكن هنالك تأكيد على أن إقامة المجمع للغة

14 عندما أقيم مجمع اللغة في القاهرة فإنه لم يهدف أن يكون مجمعا مصريا بل مجمعا عربيا وقد ضم بين جنباته عربا من جنسيات غير رسمية. وإن إقامة اتحاد مجامع اللغة في العام 1971م كان تنويجا لهذا التفكير.

العربية هو جزء من تشكل الأقلية العربية كأقلية قومية، وإنما للحفاظ على سلامة اللغة العربية ومواجهة التحديات من مزاحمة اللغات الأخرى لها. إذا لم يكن هنالك أية خصوصيات تذكر أو تميز عن مجمع اللغة العربية الرسمي، ولربما تضافر الجهود كان لها أن تأتي بنتائج أكثر مثمرة بدلا من هدر الطاقات.

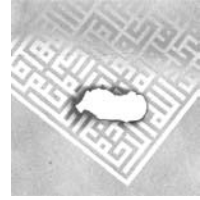
والمشكلة اللغوية لا تكمن في عملية تعريب اللغة في إسرائيل، من خلال توعية الناس على استخدام اللغة، حيث أن المجمع في هذه الحالة وخصوصا في ظل الدور الذي تلعبه المجمع في العالم العربي تبقى هامشية، إذا لم تكن اللغة لغة مهيمنة في الحيز السياسي والرسمي والجماهيري فإن التعريب الأكاديمي قابل للتحقق ولكن التعريب الجماهيري، أي أن تكون اللغة العربية بمستوياتها المختلفة لغة كافة الناس، هي مهمة صعبة للغاية لا بل ليست من مهام مجامع اللغة العربية، وإنما من تصور النخب لدور اللغة القومي والثقافي. فهي إذا عملية تتعلق بمفهوم الهوية والتصور الرؤيوي لتجسيدها.

إن المجمع عامة دورها محدود في التحديث اللغوي، وفي الحالة الإسرائيلية فهي أكثر محدودية، ولا تتعدى كونها مراكز أبحاث، وهو دور لا نقلل من شأنه على الإطلاق. في الفصل القادم سنبحث مسألة موقع اللغة العربية في وثائق التصورات المستقبلية.

الباب السادس:

تحديات اللغة العربية:
قضايا سياسية-أيدولوجية

الفصل السادس عشر
موقع اللغة العربية في
وثائق التصورات المستقبلية



16.1 مقدمة

بينما في الفصول السابقة أهمية اللغة على الصعيدين البرغماتي والرمزي. فللغة دور أساسي في تصريف حياة الأفراد والمجموعات، وتلعب اللغة دورا حيويا في عملية التهيئة الاجتماعية. من ناحية، فإن اللغة العربية هي لغة تمكين لأبناء المجتمع العربي-الفلسطيني في الداخل على الصعيد العملي، وعلى المستوى الرمزي فهي تساهم في بلورة هويتهم الجمعية. لكن في الحيز العام هنالك مزاحمة من قبل العبرية، وأقل بدرجة كبيرة، من جانب اللغة الانجليزية. فبسبب الهيمنة السياسية للأغلبية اليهودية، نرى أن هنالك دعما واسعا من قبل المؤسسة الحاكمة للغة العبرية.

يناقش هذا الفصل دور وموقع اللغة العربية في الوثائق التي صدرت عن مؤسسات عربية- فلسطينية في إسرائيل، والتي باتت تُعرف باسم "التصورات المستقبلية"، والمقصود هي الوثائق الأربع: وثيقة "التصور المستقبلي للعرب الفلسطينيين في إسرائيل" الصادرة في كانون الأول عام 2006 عن اللجنة القطرية لرؤساء السلطات المحلية العربية في إسرائيل، ووثيقة مركز "مساواة" تحت عنوان "دستور متساو للجميع" الصادرة في تشرين الثاني عام 2006، ووثيقة "الدستور الديمقراطي" الصادر عن مركز "عدالة" في آذار عام 2007، ووثيقة حيفا" الصادرة عن مركز "مدى الكرمل" في أيار عام 2007.¹

1 نشر هذا الفصل كـمقال مع تعديلات "اللغة العربية في وثائق التصورات المستقبلية (2010ب).
المجلة-مجمع اللغة العربية 1: 17-22.

تعتبر الرؤى حالة ثقافية وسياسية تعبر عن التصورات الجماعية للقيادات والنخب، وهي عبارة عن لحظات تأمل للمستقبل، نابعة من الحاجة الاجتماعية-السياسية الملحة لدراسة المستقبل، وفيها من الرمزية والتأكيد على الخصوصية اللغوية-الثقافية الكثير وفي بعض الأحيان يفوق الواقعية. لا تصاغ التصورات أو الرؤى بهدف السعي والعمل على تطبيقها فقط، بل أيضا لتشكيل إطارا سياسيا وفكريا توجه العمل الجماعي للمجموعة والقيادات والنخب، وهذا الإطار يحمل الكثير من الدلالات الرمزية، ويمكن أن نطلق على هذا الجانب اسم السياسة الرمزية (غانم ومهند، 2009).

حملت التصورات المستقبلية دلالات حقوقية، وثقافية، وسياسية، وقد مسّت هذه الدلالات حالة المجتمع الفلسطيني في جوانبه المختلفة، وقامت التصورات بطرح القضايا التي تخص العرب-الفلسطينيين في إسرائيل من خلال أدوات مختلفة ومتعددة، فهناك من عالجها بالأدوات الحقوقية، وآخر عالجها بالأدوات الثقافية-التاريخية وثالث بالأدوات السياسية. وهذه المعالجة المركبة لقضايا العرب-الفلسطينيين في إسرائيل ليست مصطنعة أو يفرضها تخصص من يعالجها، بل لأنها هي بطبيعتها مركبة من كل ذلك: الحقوقي، والثقافي والسياسي، كشأن اللغة العربية ومعالجتها في الوثائق المستقبلية، فاللغة موضوعة مركبة، ولا يمكن اختزالها ببعد واحد، ففيها الحقوقي أي الاعتراف بالحق الجماعي باللغة، وفيها التربوي أي التعلم والتدريس وإنتاج المعرفة باللغة العربية، وفيها السياسي، لأنها تحمل دلالات سياسية تتعلق بمكانة العرب في الدولة اليهودية، وفيها الثقافي لأن اللغة العربية جزء من ماهية الثقافة العربية وليس أداة لنقلها أو إنتاجها فقط. فاللغة من أكثر المواضيع تركيبا في قضايا الفلسطينيين في الداخل، لأنها تحمل أبعادا مادية ورمزية.

إن أهم ما جاء في الوثائق التي صدرت عن العرب-الفلسطينيين في إسرائيل، هو ما يمكن تسميته خطاب الأصلائية من جهة، وخطاب الحقوق الجماعية من جهة أخرى. وهما خطابان حديثان على الفكر السياسي الفلسطيني في إسرائيل، وقد عبرت مضامين الوثائق عن هذا النمط من الخطاب، ومن أهم الحقوق الجماعية التي طالبت بها التصورات المستقبلية هو الحق الجماعي اللغوي للفلسطينيين في إسرائيل (غانم ومصطفى، 2009).

16.2 اللغة في التصورات المستقبلية

تُعتبر اللغة عاملاً هاماً في الحفاظ على الهوية الفردية والجماعية للمجموعات الإثنية والقومية (أمارة ومرعي، 2004، 2008). كما أن الحفاظ على اللغة يساهم في تعزيز أدوات التمكين لدى المجموعات المهمشة، والتصورات المستقبلية لا تغفل موضوع اللغة، إلا أنها لم تعطه، كما سنيين، الحق الكافي في خطابها.

من بين هذه الوثائق، بدأ واضحاً أن الدستور الديمقراطي الذي أصدره مركز "عدالة" وورقة مركز "مساواة"، التي كتبها الحقوقي د. يوسف تيسير جبارين،² أعطياً أهمية خاصة لمسألة اللغة. فمركز "عدالة" ذهب بعيداً عندما تحدث عن دور اللغة في تحديد شكل النظام السياسي المرجو إنشاؤه، فقد بنى الدستور الديمقراطي تصوره على إقامة دولة ثنائية اللغة، ووضح أن النظريات السياسية لا تحوي تصنيفاً لدول يحمل هذا الاسم، وهذا الأمر يدل أن الدستور الديمقراطي لعدالة تأثر بالخلفية القانونية للدستور أكثر من الخلفية السياسية له.

خصص الدستور الديمقراطي في "عدالة"، بنداً كاملاً حول إقامة دولة ثنائية اللغة، حيث جاء في البند 17، النقاط التالية (الدستور الديمقراطي، 2007: 8):

أ. العبرية والعربية هما اللغتان الرسميتان في الدولة، وتحظيان بمكانة متساوية في كل وظائف ومعاملات السلطتين التشريعية والتنفيذية.

ب. تصبح كل البلاغات الرسمية، بما في ذلك القوانين والأوامر واللوائح، نافذة عند إصدارها وطباعتها ونشرها في آن واحد في كلتا اللغتين الرسميتين.

ت. تصدر وتطبع وتنشر قرارات حكم المحكمة العليا والمحاكم المركزية ومحاكم الاستئناف الأخرى في كلتا اللغتين فوراً حال اتخاذها.

ث. يحق لكل مُتقاض أن يستعمل إحدى اللغتين الرسميتين أمام الهيئات القضائية وفقاً لاختياره، كما يحق له أن تتوفر له كامل الخدمات باللغة التي اختارها مثل الترجمة الفورية للجلسات والبروتوكولات وللمستندات والقرارات والأحكام.

ج. تستعمل السلطات المحلية المختلطة في كل وظائفها ومعاملاتها اللغتين

2 أنظر للتفاصيل حول المساواة الجوهرانية، يوسف جبارين 2008، 2008 ب.

الرسميتين وبشكل متساوٍ.

ج. تقام مؤسسات تعليم، بما في ذلك مؤسسات التعليم العالي، باللغة العبرية وباللغة العربية على السواء، ويحق لكل شخص أن يختار التعلم في مؤسسة تعليمية يتم فيها التدريس بوحدة من اللغتين الرسميتين.

خ. تسن قوانين لتحديد ترتيبات لضمان مكانة ملائمة ومتساوية لكلا اللغتين الرسميتين في وسائل الإعلام الالكترونية القطرية.

ويقترح الدستور الديمقراطي لمركز "عدالة"، إقامة لجنة في الكنيست يطلق عليها اسم: "اللجنة البرلمانية لشؤون ثنائية اللغة والتعددية الثقافية" (الدستور الديمقراطي، 2007: 9)، بحيث تتشكل هذه اللجنة من أعضاء الكنيست، ويكون نصفهم من أحزاب هي عربية أو عربية-يهودية وفقا لتعريفها وطابعها.

إن دولة ثنائية اللغة كما يريد دستور "عدالة" هو اسم آخر (يمكن القول أيضا: تحصيل حاصل) للدولة ثنائية القومية، التي كُتبت عنها الكثير في الأدبيات النظرية والسياسية. فالحيز الثنائي للغة هو في الحقيقة نتيجة لقيام دولة ثنائية القومية (سبان وأمارة، 2002). يمكن تحليل موقف "عدالة" أيضا بالقول إن دستور عدالة الديمقراطي خرج عن التعامل مع السياق الإسرائيلي تعاملًا واقعيًا، بمعنى أن في إسرائيل واقعا ثنائي القومية لكنه غير مؤطر دستوريا.

لا شك أن خلق واقع ثنائي اللغة من وجهة نظر "عدالة" يؤدي إلى خلق واقع ثنائي القومية، وربما يرى دستور عدالة أن الاعتراف الدستوري بنظام ثنائي اللغة في السياق الإسرائيلي سوف يؤدي إلى إنتاج دولة ثنائية القومية وليس العكس، حيث أنه من السهولة، سياسيا وجماهيريا وربما دستوريا، تمرير مبدأ نظام ثنائي اللغة، ولكن الأمر أكثر صعوبة عند الحديث عن تمرير اقتراح تحويل إسرائيل إلى دولة ثنائية القومية. وربما ساد الاعتقاد أنه ليس هنالك حاجة لهذا الأمر لأن الواقع هو ثنائي القومية، لكنه دستوري هو واقع إثني، فرما من الأفضل من وجهة نظر "عدالة" كمركز قانوني، تغيير الواقع الدستوري كأولوية على تغيير الواقع السياسي كما يطمح مثلا في الدرجة الأولى التصور المستقبلي الصادر عن اللجنة القطرية.

مما يؤكد هذا التصور في طرح موضوع اللغة في دستور "عدالة" الديمقراطي هو إتباع المطالبة بدولة ثنائية اللغة، بواسطة بناء مجتمع متعدد الثقافات، وهذا الأمر

أيضا يصب في التصور الأساسي أي دولة ثنائية اللغة، حيث أن تعددية الثقافات لا يمكن أن تتم في غياب دولة ثنائية القومية أو متعددة القوميات وبدون تعدد لغوي، وأن اللغة هي جوهر الثقافة لأي شعب.

إن مسألة ثنائية اللغة تلعب دورا كبيرا في التصور المستقبلي لدستور "عدالة"، ويطمح هذا التصور إلى بناء مجتمع ديمقراطي ثنائي اللغة ومتعدد الثقافات، بمعنى أن اللغة في دستور "عدالة" الديمقراطي هي جوهر التصور المستقبلي الذي سيبنى عليه شكل ومبنى الدولة الإسرائيلية.

أما في وثيقة مركز "مساواة"، حول الدستور والحقوق الجماعية للمواطنين العرب، والتي سميت أيضا وثيقة "النقاط العشر" (ل طرحها عشرة محاور للحقوق الجماعية)، فقد جاء مطلب الاعتراف باللغة العربية كحق جماعي من ضمن النقاط العشر التي طرحتها الوثيقة. ولقد أسست الوثيقة في البند الأول الأرضية الدستورية التي سيقام عليها هذا المطلب، وورد في البند الثاني من الوثيقة:

على الدستور الاعتراف علانية بوجود جماعة قومية عربية فلسطينية في الدولة، وبخاصيتها القومية، والدينية، والثقافية، واللغوية. كما يتوجب الاعتراف علانية بكون الجماهير العربية الفلسطينية في البلاد أهل البلاد الأصليين، وبعلاقتها العضوية بوطنها وحقها التاريخي عليه وفيه." (وثيقة مساواة، 2006: المحور الثاني في الوثيقة).

بذلك أولت وثيقة مركز "مساواة" اللغة أيضا أهمية خاصة، وجاءت كأحد المحاور المركزية العشرة، ضمن إطار بلورة معايير للحقوق الجماعية. فالحديث هنا، مشابها لما جاء بوثيقة عدالة، عن ثنائية لغوية جوهرانية.

اللغة العربية هي مركب أساسي في هوية الجماهير الفلسطينية الوطنية والثقافية، وتتضاعف أهميتها على ضوء حقيقة كوننا أقلية أصلية. تستلزم الثنائية اللغوية الجوهرية ضمان مكانة متساوية للغة العربية كلغة رسمية إلى جانب العبرية، على صعيد القاعدة القانونية الرسمية والتشريع العملي على حد سواء؛ وضمان المتناولية إلى جميع المؤسسات العامة في الدولة باللغة العربية على قدم المساواة بتلك العبرية، من حيث جودة الخدمة والإمكانات. كما تستلزم الثنائية اللغوية الحقيقية إفصاح حيز للتعبير اللائق عن الحضارة العربية الفلسطينية في الفضاء العام في الدولة.

ويشمل هذا ذكر الأسماء العربية التاريخية، وإطلاق تسميات من الحضارة العربية على أجزاء كبيرة من هذا الفضاء - كأسماء الشوارع والمرافق

والمنشآت مثلا.

وقد تشكل الثنائية اللغوية المعمول بها اليوم في كندا وفق الدستور الكندي (الإنجليزية والفرنسية)، نموذجا جيدا للوضع المنشود في إسرائيل. (وثيقة مساواة، 2006: المحور الثالث في الوثيقة).

كما وأشارت الوثيقة إلى المكانة المنشودة للغة العربية ضمن الحق الجماعي الأوسع بالإدارة الذاتية الديمقراطية في شؤون التعليم (بما في ذلك التعليم العالي) والثقافة والدين، حيث جاء في المحور الرابع للوثيقة:

وفي صلب حقوق الإدارة الذاتية، نجد الاعتراف بحقيقة كون الأقلية العربية أصلية، والاعتراف بحقها في تقرير المصير فيما يتعلق بشؤون حياتها ذات الخصوصية؛ بما يكمل شراكتها في الفضاء العام في الدولة. تتضمن الإدارة الذاتية في مجال التربية والتعليم إدارة جهاز تعليم عربي على يد اختصاصيين وتربويين فلسطينيين يشكلون قيادة تربوية ديمقراطية للتعليم العربي ويحددون مضامينه، ويتم اختيارهم بالتنسيق مع ممثلي ومنتخبي الجماهير العربية. كذلك يتوجب أن تنعكس الإدارة الذاتية في المدارس العربية، وفي مدارس ثنائية القومية عربية-يهودية، على حد سواء؛ وأن تتضمن أيضا ضمان تعليم عالي رسمي باللغة العربية.

وفي ما يخص الثقافة، تتضمن الإدارة الذاتية تأسيس وضمن آلية تمويل عام لمؤسسات ثقافية عربية، كوسائل الإعلام، والمكتبات العامة، والمتاحف، والمسارح، والسينما وما شابهها؛ لتطوير الثقافة العربية وتعزيز الحياة الثقافية العربية.

إذن فإن وثيقتي عدالة ومساواة تطرحان اللغة، كأحد الحقوق الجماعية الهامة، وكذلك كمدخل لتغيير جوهرى في مكانتهم.

أما في وثيقة حيفا فقد تم ذكر مكانة اللغة العربية في نهاية الوثيقة التي تتحدث عن المطالب الجماعية للفلسطينيين في إسرائيل، وخصوصا الحل الذي يعتمد على دولة ديمقراطية مؤسسة على المساواة بين المجموعتين القوميتين، فقد جاء في وثيقة حيفا:

ويحتم ذلك تغيير المبنى الدستوري، وتغيير تعريف دولة إسرائيل من دولة يهودية إلى دولة ديمقراطية تتأسس على المساواة القومية والمدنية بين المجموعتين القوميتين وإرساء العدالة والمساواة بين كافة مواطنيها وسكانها، ويعني ذلك، فعليا، إلغاء جميع القوانين التي تميز، بصورة مباشرة أو غير مباشرة، على أساس قومي أو إثني أو ديني، وعلى رأسها قوانين الهجرة

والمواطنة، وسن قوانين تركز على مبادئ العدل والمساواة ومنع التمييز، وتطبيق المساواة بين اللغتين العربية والعبرية كلغتين رسميتين متساويتين المكانة في البلاد، وتأمين مبدأ التعددية الثقافية.... (وثيقة حيفا، 2007: 15-16).

من الواضح أن وثيقة حيفا تبدأ من النقطة التي تجاوزها دستور "عدالة" الديمقراطي ووثيقة مركز مساواة، فالوثيقة تطالب بالاعتراف باللغتين العربية والعبرية كلغتين رسميتين، كنتيجة لتغيير الطابع اليهودي للدولة، وليس العكس، كما يلاحظ من نص "وثيقة حيفا" إلحاق الاعتراف باللغة العربية كلغة رسمية ومتساوية مع اللغة العبرية، بتأمين مبدأ التعددية الثقافية، وهو ما يشير إلى أن النظام الثنائي اللغة، لا بد له أن ينتج حالة من التعددية الثقافية أيضا، كون اللغة هي حاملة الثقافة وماهيتها.

إن وثيقة حيفا تنظر إلى مكانة اللغة العربية من وجهة نظر سياسية بالأساس وليس فقط من وجهة دستورية، وهذا الاختلاف هو جوهرى بين دستور عدالة ووثيقة مركز مساواة من ناحية وبين وثيقة حيفا من الناحية الأخرى، فالبدء في مركز "عدالة" ومركز مساواة هو من واقع ثنائي اللغة ثم إلى واقع ثنائي القومية، بينما في وثيقة حيفا البدء هو من الواقع الثنائي القومية الذي لا بد أن ينتج تساويا في مكانة اللغة العربية مع اللغة العبرية.

أما في وثيقة التصور المستقبلي فقد تم التطرق إلى مكانة اللغة العربية في موقعين، ففي الفصل المتعلق بالمكانة الحقوقية للفلسطينيين في إسرائيل، طالب التصور المستقبلي الاعتراف باللغة العربية كحق قومي-جماعي، وجاء في هذا الفصل المطلب "بضمان ثنائية لغوية جوهرية في البلاد، على قدم المساواة بين العربية والعبرية" (التصور المستقبلي، 2006: 15). أما في الفصل المتعلق بالتربية والتعليم، فقد جاء الحديث عن اللغة العربية في سياق العضلات التي يواجهها جهاز التربية والتعليم، واعتبرت "ازدواجية اللغة بين المجتمع (اللغة المحكية) والمؤسسات التعليمية (اللغة الفصحى)، هو ما يؤدي إلى عرقلة العملية التعليمية وبالتالي إلى ضعف في تطوير مهارات تفكيرية عالية" (التصور المستقبلي، 2006: 28).

ولحل هذه المعضلة تقترح الوثيقة في فصل التربية والتعليم "إقامة لجنة مهنية تعمل على وضع خطة للنهوض باللغة العربية كلغة أم" (التصور المستقبلي، 2006:

9). أما في الجانب الثقافي، من المفاجئ، أنها لم تذكر قضية جوهرية ومركزية. طرحت وثيقة التصور المستقبلي ووثيقة مركز "مساواة"، التي نُشرت محاورها أيضا كفصل في التصور المستقبلي كون كاتبها أعد الفصل الحقوقي في التصور المستقبلي لموضوع اللغة العربية من خلال الجانبين الدستوري والسياسي معا، فلم يتم الفصل بين المسألتين، مع إعطاء الأهمية للمسألة السياسية، ولكنها لم تعط الحد الأدنى لدورها الجوهرية كما جاء في وثيقتي عدالة ومساواة. ففي التصور المستقبلي طرحت مسألة اللغة في موقعين فقط، والى حد كبير، بشكل عابر وبدون تفصيل. ففي الفصل الحقوقي تم التعامل مع المسألة اللغوية تعاملًا حقوقيًا، بينما في فصل التربية والتعليم، تم التعامل مع اللغة تعاملًا أداتيًا تعليميًا فقط، وغابت مسألة اللغة مثلا، في فصل الثقافة والتنمية الثقافية، ولم يتم التطرق إلى اللغة العربية ومكانتها الثقافية ودورها وأهمية إبراز هذا الدور والارتقاء به، وجاء ذكر لغة الآخر وتأثيرها على أزمة الثقافة الوطنية في المجتمع الفلسطيني، دون الإشارة إلى اللغة العربية، فقد جاء في هذا السياق في فصل الثقافة: "... إننا نعيش في ظل الدولة اليهودية ونتقن اللغة العبرية، ونستهلك الثقافة العبرية ونلتقي المثقفين ونصغي إلى خطابهم ونلقي عليهم خطابنا وترجمهم إلى العربية ونكتب بلغتهم، بمعنى آخر أصبحنا ننتمي إلى ثقافة الآخر..." (التصور المستقبلي، 2006: 32).

كما لم تطرح قضية اللغة في فصل التنمية الاجتماعية كجزء من معادلة هذه التنمية، لأن التنمية الاجتماعية تحتاج أيضا إلى تنمية لغوية. ولم يطرح الموضوع اللغوي في فصل العلاقة مع الدولة، حيث المطالبة في تحويل الدولة إلى دولة غير يهودية بل دولة ديمقراطية توافقية، ولم يرد ذكر المسألة اللغوية ومكانة اللغة العربية في هذا السياق، على الرغم أن المسألة اللغوية هي مسألة سياسية أيضا.

16.3 خلاصة

لقد اعتبرت الوثائق الأربع أن إنهاء الهيمنة اللغوية لمجموعة الأغلبية هو جزء من إنهاء الهيمنة الإثنية اليهودية وإعطاء العرب-الفلسطينيين في إسرائيل دورهم في التعبير عن هويتهم الثقافية والقومية في الحيز العام، وهذا يشير إلى أن الوثائق لم تتعامل مع مسألة اللغة كتحصيل حاصل، بل أولتها أهمية خاصة. هناك من شدد على اللغة من زاوية حقوقية، ووثيقة أخرى من زاوية سياسية، وثالثة من زاوية

ثقافية، بينما الوثيقة الرابعة، وأقصد بالتحديد وثيقة مركز عدالة، اعتبرت عامل اللغة جزءاً جوهرياً ومحدداً لشكل النظام السياسي والدستوري في إسرائيل. لقد ركزت وثائق التصور المستقبلي على الحق اللغوي كحق جماعي للعرب-الفلسطينيين في إسرائيل، وفي هذا السياق يشير كيمليكا أنه في مسألة المحافظة على الحقوق اللغوية للأقلية لا يكفي التركيز على الحق الفردي ومنع التمييز، بل هنالك حاجة لضمانات جماعية للحفاظ على لغة الأقلية الأصلية (Kymlicka; 1995).

إلى جانب الاعتبارات الجماعية التي توليها التصورات في خطاب اللغة، فإن هذه التصورات تدرك كذلك أهمية اللغة من خلال المعرفة بأن المحافظة عليها هو جزء من استقلاليتها الثقافية، وأن التخلي عن اللغة يسهل للمجموعة المهيمنة السيطرة على مجموعة الأقلية.

وهكذا فالوثائق الأربع أولت موضوع اللغة العربية أهمية خاصة، ليس من الناحية الأدائية فقط، بل أيضاً من الناحية الرمزية، والسياسية، والدستورية، والحقوقية. يمكن القول إن مجمل الوثائق الأربع تحمل في طياتها تحدياً رمزياً واضحاً للدولة، لا بل يمكن القول إن العمل الجماعي في صياغة الوثائق بحد ذاته هو بمثابة تحدٍ رمزي للدولة، لأن الدولة كانت تفضل عدم التعامل مع العرب كمجموعة قومية بل كأفراد يسهل دمجهم، فجاءت الوثائق لتؤكد عكس ذلك. وكانت اللغة من أهم مؤشرات هذا التحدي.

الباب السادس:

تحديات اللغة العربية:
قضايا سياسية-أيدولوجية

الفصل السابع عشر

تحديات اللغة العربية



في هذا الفصل سنجمل التحديات الأساسية التي تواجه اللغة العربية في إسرائيل، وفي الفصل الذي سيليه سنعرض إطاراً نظرياً أولياً لمواجهة هذه التحديات. من المعروف أن اللغة العربية هي لغة واسعة الانتشار، ولغة نسبة كبيرة من سكان العالم. فبالنسبة لمكانة اللغة العربية وموقعها بين لغات العالم، يقول الباحث محمد عبد الحي (2005: 43):

تحتل اللغة العربية الآن الموقع الثالث بين لغات العالم، من حيث عدد الدول التي تقرها كلغة رسمية، والسادس، من حيث عدد المتكلمين بها، والثامن من حيث متغير الدخل القومي، في العامل الاقتصادي، وهي متأرجحة من حيث المنزلة في العوامل الأربعة الأخرى: (الثقافي، اللساني، الاقتصادي والعسكري). ففي جانب النشر الإجمالي من العامل الثقافي، تحتل عالمياً الرتبة 22، و42 في النشر العلمي خاصة، وهي إحدى اللغات الست الرسمية في أكبر محفل دولي: منظمة الأمم المتحدة، وتهيمن على جزء من الإعلام العربي، ولها حضور في النظام التعليمي، وحضور أقل في النظام الإداري والتنظيمي. وبذلك فهي إحدى اللغات الإحدى عشرة الأكثر انتشاراً في العالم، (حسب ترتيب عدد المتكلمين بها: الصينية، الإنجليزية، الأسبانية، العربية، الهندية، الروسية، البرتغالية، البنغالية، الألمانية، اليابانية، والفرنسية)، كما أنها من الثماني، من بين هذه اللغات الإحدى عشرة، التي تكاد تقتسم المعمورة فيما بينها، وتحفظ كل منها لنفسها بقاعدة جغرافية راسخة: (الماندرين في آسيا الوسطى، الأسبانية والبرتغالية في أمريكا الجنوبية، الإنجليزية في أمريكا الشمالية، العربية في شمال إفريقيا والشرق الأدنى، الهندية والبنغالية في أغلب القارة الهندية، والروسية في أوروبا الشرقية)، كما أنها من بين اللغات الست

التي يعرف الناطقون بها تزايداً ديموغرافياً أكثر من غيرها، وهي حسب الترتيب: (الأسبانية، البرتغالية، العربية، الهندية، السواحلية والألمانية) إن اللغة العربية هي أكثر لغات المجموعة السامية انتشاراً، يتكلمها أكثر من 422 مليون نسمة كلغة أم، كما يتحدث بها من المسلمين غير العرب قرابة العدد نفسه كلغة ثانية. كذلك فالعربية لغة رسمية في كل دول الوطن العربي إضافة إلى كونها لغة رسمية في تشاد وإريتريا وإسرائيل.¹

إن أهمية اللغة العربية من الناحية الدينية كبيرة جداً لأنها لغة القرآن، فقد اكتسبت تعظيماً، وخاصة منذ ظهور الإسلام في القرن السابع ميلادياً.² وأضح ذلك في الآيات القرآنية الكريمة التي أشارت إلى كون اللغة العربية هي اللغة التي نزل بها القرآن الكريم. نذكر من بين هذه الآيات:

{وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحَدِّثُ لَهُمْ ذِكْرًا} (طه، 113)

{نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ} (الشعراء، 193 - 195)

{إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ} (يوسف، 2)

{فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ} (الدخان، 58)

{قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ} (الزمر، 28)

{وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا} (الشورى، 7)

كما أن اللغة العربية هي من أهم العوامل، التي وحدت العرب في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، من خلال النهضة القومية التي تمثلت بثلة من أساطين القومية العربية: رفاعه الطهطاوي، جورج البستاني، ساطع الحصري، عبد الرحمن الكواكبي، نجيب العزوري وجورج انطونيوس وغيرهم. فإذا نظرنا إلى بواكير الأحداث التاريخية في القومية العربية نعني مؤتمر القومية العربية في باريس في عام 1913، وميثاق دمشق في عام 1915 التي تشير إلى طموح الحركات القومية في توحيد البلاد العربية، وكذلك الثورة العربية بزعامة الشريف حسين في عام 1916

1 أنظر الى: <http://ar.wikipedia.org/wiki>

2 من مسميات اللغة العربية: "لغة القرآن" بما أن القرآن قد نزل بها، فسميت باسمه، "لغة أهل الجنة" لأن الإسلام يرشد إلى أنها لغة أهل الجنة في عقائدهم، "لغة الضاد" هو الاسم الذي يطلقه العرب على لغتهم.

حيث ارتبطت هذه الأحداث ارتباطاً عضوياً باللغة العربية. وبعد استقلال الدول العربية، بدأت عملية التعريب، وخاصة في المغرب العربي، والهدف إعادة الهوية العربية بكل أبعادها العروبية لأبنائها، لأن اللغة العربية كانت البوصلة بل المحرك لعملية التعريب.

رغم ما قيل سابقاً عن حيوية اللغة العربية، نهضتها وأهميتها عربياً وعالمياً وما تمتلكه من مقومات هائلة، إلا أن التحديات أمامها كبيرة والمعوقات لنموها كثيرة بفعل التحديات التي أوردناها في هذا الكتاب. فالتحديات التي تواجه اللغة العربية عامة واللغة العربية في إسرائيل خاصة هائلة، منها الداخلية - أي مسألة الازدواجية، تفضيل اللهجات المحلية، ومسألة التحديث، ومنها الخارجية - نعني الاحتكاك الحضاري اللغوي المتسارع بسبب العولمة والإرث الاستعماري وتأثير لغاته على العالم العربي.

فالتحديات الآتية الذكر تؤثر على حيوية اللغة العربية والوظائف التي تقوم بها، لأن اللغة ليس فقط وسيلة اتصال، بل هي وسيلة لنقل ولتذويت الثقافة والتاريخ والإرث التي احتوته اللغة.

فنرى في أقطاب عديدة من العالم العربي استخداماً مكثفاً وخاصة للانجليزية أو الفرنسية في التعليم العالي، في مواضيع العلوم والطب، والمشهد اللغوي العام لا يخلو من استخدامها. ونرى أيضاً أن اللغات الأجنبية، وخاصة الانجليزية والفرنسية، تفرض سلطانها على العالم العربي كلغات العلم والتكنولوجيا، وهي اللغات التي تُنتج بها، إلى حد كبير، مفاهيم العلوم الحديثة. وتُسمع في العالم العربي الأصوات المنادية بترك الفصحى لصالح العامية أو لغة أجنبية لأنها حسب اعتقادهم لا تفي بمتطلبات العصر، وادعى آخرون أنها لغة متخلفة.

رغم التحديات الجسام، إلا أن العربية نابضة في كل مكان من الوطن العربي. فهي المؤشر الأول للهوية القومية للدول العربية من جهة وهي اللغة الرسمية الوحيدة في معظم الدول العربية، فجميع الدول العربية تمنح اللغة العربية المكانة العليا على الرغم من التحديث والاقتراض اللغوي. وقد تمّ توحيد الدول العربية من خلال اللغة، فتأسست الجامعة العربية في عام 1945. يثبت أن اللغة ما زالت مؤشراً قومياً وثقافياً هاماً للدول العربية، رغم ما يعتريها من ضعف سياسي.

لربما هذا التآرجح اللغوي في الوطن العربي يعود للتأرجحات السياسية، ولأن

الهوية العربية تواجه تحديات هائلة أمام الهويات الإقليمية والشردمة، فمكانة اللغة منوطة بالقوى السياسيّة، والترهل السياسي يحمل معه أيضاً ترهلات اقتصادية ولغويّة. فنرى من ناحية ازدهار الفضائيات التي تستخدم غالبيتها اللهجة المحلية فقط. بالمقابل نرى محطات مثل الجزيرة، والتي نعتبر روادها بالملايين، تستخدم العربية السليمة على مدار الساعة، ظاهرة جديدة على المشهد العربي.³

والعربية في إسرائيل تقع في هذه المدارات وأكثر من هذا. فالتحدي أولاً: أن العربية في إسرائيل أصبحت لغة أقلية بعدما كانت لغة أغلبية لقرون طويلة. هذا يعني أن الأقلية بحاجة للأغلبية في ميادين الحياة المختلفة، بما فيها اللغة، لكي يستطيع أبنائها الوصول إلى الحيز العام وثرواته. فلغة الأغلبية تصبح لغة تمكين ولغة الحراك الاجتماعي. وفي أحيان كثيرة تفقد لغة الأقلية من مكانتها لصالح لغة الأغلبية. ثانياً: أصبحت العبرية اللغة المهيمنة في الحيز العام. ثالثاً: بسبب اعتماد الأقلية على الأغلبية في معظم ميادين الحياة، فإن الحاجة للعبرية أصبحت كبيرة والكفاءة العالية فيها ضرورة ملحة، وتأتي في أحيان كثيرة على حساب اللغة العربية.⁴

فمن ناحية يرى العرب أن العربية مهمة لوجودهم وبقائهم والحفاظ على هويتهم الجماعية، ومن الناحية الأخرى تستدعي التحديات الحياتية اليومية استخدام اللغة العبرية بكثافة. التحدي الثالث هو العصرية، التطور التكنولوجي والعولمة.

فالفلسطينيون من مواطني إسرائيل -على سبيل المثال- لا يتواصلون مع ثقافة مختلفة فحسب، إنما يملكون بعملية عصرية (تحوّل حداثي) ويواجهون تراجع التقاليد التي تربوا عليها. كما انه بإمكان الفرد، في عصر التطور التكنولوجي، خاصة في

3 فمثلاً جاء في ميثاق الشرف المهني لقناة الجزيرة الفضائية (المادة الرابعة، الجزيرة: الرؤية والمهمة "اللغة أداة اتصال، ولا بد للصحفي أن يتقنها ليتسنى له استخدام مفرداتها وعباراتها بما يخدم الخبر/ التقرير/ الموضوع، لأن عدم استخدام المفردة أو العبارة الصحيحة ينال من دقة المادة الصحفية، كما أن الأخطاء والركاكة اللغوية تؤثر سلباً على سمعة القناة".

8A58-4337-http://www.aljazeera.net/NR/exeres/1819FBDE-A854-323E9BB850E2.htm

من هذه المادة يتبين لنا أن الجزيرة تهتم بالتدقيق اللغوي لأن القناة تود الحفاظ على سمعتها المتمثلة بالحفاظ على اللغة.

4 لا سيما في المدارس والجامعات، ففي المدارس نرى أن الكثير من الكتب في العلوم والرياضيات هي في اللغة العبرية، أما في الجامعات فنرى أن اللغة العبرية هي من شروط الانتساب في الجامعة. فسوق العمل تهيمن عليه اللغة العبرية.

عصر الانترنت، إقامة صلات مع العديد من الأفراد من مجتمعات مختلفة ولعدة أهداف. حيث لم يعد المجتمع القريب والدولة التي يعيش فيها الفرد، هما الحدود الوحيدة لارتباطه ولتفاعله. فاليوم بمقدورنا أن نتواصل مع مجموعات افتراضية جديدة ضمن نشاطات مختلفة تؤثر علينا كمجموعات وكأفراد. إن العولمة التي تفرض نفسها على مختلف أنحاء العالم، بسلبياتها وإيجابياتها، تؤثر على جوانب حياتنا، كما تؤثر على العمليات التي تحدث في العالم وعلى بلورة الهويات. ويمكن القول أن العولمة تضع تحديات على اللغة العربية ليس أقل من التحديات التي تضعها العبرنة على العربية.

أثرت السياقات الداخلية وما زالت تؤثر على اللغة العربية في إسرائيل. لكن السياقات الإقليمية لا تقل أهمية عن السياقات الداخلية. فإسرائيل شبه جزيرة عبرية في قلب محيط عربي هادر باللغة العربية، والتي امتد عمقها لقرون طويلة في التاريخ ومساحات شاسعة. واللغة العربية في العالم العربي على بعد مرمى حجر من الفلسطينيين في الداخل، وهي تتدفق على أبوابهم سواء عبر الفضائيات أو الانترنت أو الكتب والمجلات.

إن العبرنة قد طالت أيضا المواطنين العرب، ليس فقط عن طريق تهميش العربية، وإنما تعليمهم العبرية لأهداف اتصالية ولمعرفة ثقافة اليهود على مدى تاريخهم، وذلك لشرعنة الوجود اليهودي في هذه البلاد ماضيا وحاضرا، حيث كان تعليم العبرية أحد هذه الأدوات.

رغم حاجة العرب في إسرائيل للعبرية لأسباب عملية وبنفعية، لم تأخذ المناهج بعين الاعتبار الحاجات الحقيقية والخاصة لهؤلاء السكان، على ما ينعكس في المضامين الخاصة بالمواضيع بالعبرية، والتي تركز على الثقافة والأدب وتأهيل المعلمين.

لا شك أن تعليم العبرية المشبعة بالقيم اليهودية لم يكن اعتباريا، وإنما جاء للاعتبارات السياسية المدفوعة، أساساً، بأيدولوجية دولة قومية عرقية. بكلمات أخرى، تعلم العبرية كان إحدى الأدوات التي استخدمتها المؤسسة، مثل المواضيع الأخرى ومن ضمنها التاريخ والجغرافيا والمدنيات، لتأسيس هوية عربية جديدة، هوية "العربي-الإسرائيلي"، هوية أقل ما يقال فيها تغييبها للبعد القومي في هوية العرب، والمواطنة منقوصة. فأفضى إلى خدش الذاكرة الجماعية من خلال تهميش اللغة العربية وتهميش الثقافة العربية من جهة، وتذويت الثقافة اليهودية والتاريخ العبري من جهة أخرى، إضافة إلى تذويت اللغة العبرية بين المواطنين الفلسطينيين في الدولة.

بيننا في هذا الكتاب أيضا أن هنالك استعارة مكثفة لمزايا مختلفة للغة العبرية، إلى اللغة العبرية في إسرائيل. فنرى أن معظم مجالات الحياة أصبحت متأثرة بالثقافة اليهودية-الإسرائيلية واللغة المرآة العاكسة لهذه الاستعارة. فالاستعارة تأثيرها يتعدى الجانب اللغوي التجريدي ويؤثر بالتالي على الثقافة والهوية والانتماءات المختلفة. فبات الكثير من المواطنين الفلسطينيين غير واعين للاستعارة المكثفة، والأنكى من ذلك أنهم لا ينجحون في درء الاستعارات العبرية وإن نوا على ذلك، وذلك بسبب عدم إمامهم بما يقابل المفردات العبرية في اللغة العبرية.

تأثير العبرية لم يقتصر على الاستعارة في المجالات المختلفة وقاموس الأفراد، إنما تعداها ليصل إلى المشهد اللغوي أي إلى الحيز العام للفلسطينيين في إسرائيل وذلك من خلال اليافطات، الإعلانات، البطاقات الشخصية، وواجهات الحوانيت. هذا الاستخدام جاء جزء منه بدوافع داخلية من العرب أنفسهم، وأخرى من المؤسسة الإسرائيلية التي دأبت على عبرنة وتهويد المكان. بالطبع هذه العمليات أثرت على الفلسطينيين وحصلت عمليات تفريغ المشهد من بعض عرويته وعبريته.

ويتضح من دراسة موضوع عبرنة الأسماء أن المشروع الصهيوني قبل عام 1948، والسياسة الإسرائيلية بعد ذلك، اهتمت بالذاكرة بصورة لا تقل عن اهتمامها بالتاريخ نفسه، وهذا أحد مصادر قوة هذا المشروع، لان الذاكرة لا تقل أهمية عن التاريخ نفسه، وكتابة الذاكرة التاريخية في بعض الحالات أهم من التاريخ المجرد نفسه. وكانت عملية عبرنة الأسماء جزءاً من عملية إعادة تشكيل الذاكرة التاريخية من خلال مسميات عبرية بدلا من المسميات العبرية التي كانت حاضرة في المشهد الفلسطيني، إن هذه العملية تدل على محاولة إسرائيلية واضحة في ترجمة الهيمنة السياسية الإسرائيلية واليهودية إلى هيمنة لغوية على المكان، بمعنى أن احتلال المكان لا يكتمل بدون احتلال الذاكرة واحتلاله لغويا أيضا.

بكلمات أخرى، أدت الهيمنة السياسية على فلسطين إلى هيمنة لغوية، أصبحت فيها العبرية الحاضرة والمهيمنة على المشهد العام، بعد أن قامت الحركة الصهيونية في فترة اليبشوف وبعدها دولة إسرائيل بعبرنة المكان وطمس وتغييب العبرية أينما أمكن. لا شك أن الصهيونية نجحت أيضا في هذا المضمار، وأصبحت العبرية هي الحاضرة في المكان، بعد أن كانت أثرا بعد عين في هذه الديار.

أثرت العبرنة على حيوية اللغة والوظائف التي تقوم بها في المجالات المختلفة. لكن اللغة العبرية، كونها لغة أهل وطن وأقلية أصلانية، ليست فقط لغة أدائية-

تواصلية، فاللغة العربية هي لغة تمكين لأبناء المجتمع العربي-الفلسطيني في الداخل على المستوى الأدائي، وذلك للحراك الاجتماعي، وعلى المستوى الرمزي كمؤشر هام لهويتهم الجمعية.

لم تقم اللغة العربية، على سبيل المثال، في جهاز التعليم العربي بالدور المنوط بها إلى اليوم كلغة أقلية قومية وأقلية أصلانية، لها الحق في المحافظة على هويتها بأبعادها وبمستوياتها المختلفة، كما هو الحال في المجالات الحياتية المختلفة. إن اللغة العربية هي لغة التدريس في المدارس العربية، ولكنها لا تؤدي جميع الأدوار لتلبية الحاجات المجتمعية والهوياتية للمتعلم، وفي أغلب المناهج والمضامين والكتب التدريسية هناك محاولات واضحة لإفراغها من مكوناتها الثقافية، القومية والدينية.⁵

فالواقع الحالي نتائجه محدودة تحصيليا، فيه الكثير من الإشكاليات القيمة. فالطرح في هذا الكتاب يبغي تغيير السياسات التربوية الحالية، وعلى رأسها القضية اللغوية والهوياتية، وذلك بهدف تشكيل من جديد الفضاء البداوجي-التربوي لجهاز التعليم العربي، يرتئي توعية الطلاب بأهمية اللغة والوسائل من أجل إثراء الملكة اللغوية عند الطلبة إضافة إلى الكفاءة اللغوية (أنظر الفصل الأخير). ففي هذه الرؤية، فإن اللغة العربية يجب أن تكون لغة التواصل في الجهاز العربي بكل أقسامه، وكلغة التخاطب وكلغة بناء المناهج والمضامين. يجب أن تعزز اللغة العربية في غرفة الصف والبيئة المدرسية عامة، وأن تكون هنالك مناهج ومضامين كتب تعليمية ووسائل مساعدة معدة مباشرة وبدون ترجمة إلى اللغة العربية.

فقضية اللغة ترتبط ارتباطا عضويا بمسألة الهوية، وطرحي في هذا الكتاب أن اللغة مهمة ليس فقط في التربية اللغوية، وإنما تتجاوزها للتقاطع مع جميع المناهج التعليمية، المضامين، الكتب التعليمية، والوسائل المساعدة. وكذلك الأمر في كل الحيز العام في المدرسة المتمثل بالمشهد اللغوي في المدارس من خلال اليافطات والمناشير، واللغة الموشحة في الامتحانات، إضافة إلى غرس أهمية اللغة في رؤية المدرسة والإدارة حتى تكون اللغة هي بنیان المدرسة.

فدراستنا ليست فقط للغة العربية في إسرائيل ودونيتها، في المجالات العامة

5 ذلك يتأتى من خلال مراقبة المناهج والسيطرة على مسألة توظيف المديرين والمعلمين من خلال المخابرات الإسرائيلية، وهذه المراقبة من المفترض أن تفرز جيلا يفقد المعرفة بلغته وقوميته وهويته وعندئذ ينشأ جيل منسلخ عن هويته وثقافته.

ومحاولة تهميشهما في الجهاز التعليم العربي، وإنما أيضا تدرسيها في المدارس اليهودية الذي يعكس هامشيتها ودونيتها. فتدريس اللغة العربية في المدارس اليهودية تطور ولا يزال يتطور حسب الاعتبارات الأمنية تحديدا، وتؤثر الاعتبارات الأمنية على مكانة اللغة العربية في المجتمع الإسرائيلي عموما، ولدى الطلاب اليهود خصوصا، وتحدد الاعتبارات الأمنية مدى انتشار تعليم اللغة العربية، أهميتها، مجالات العمل فيها، ماهيتها، وماهية اللغة العربية هو الموضوع الأساس عند نقاش تدريس اللغة العربية في المدارس اليهودية.

والمفارقة أن القراءة التاريخية لتطور تدريس اللغة العربية، يؤكد بأن المؤسسة الأمنية الإسرائيلية دفعت في هذا الاتجاه، وأنها المؤسسة الفاعلة التي ما زالت تدفع حتى الآن موضوع تدريس اللغة العربية، لولا تدخل الجيش والمؤسسة الأمنية من خلال طلباتها للعمل لمن يتقنون اللغة العربية، ولولا الضغط الذي تمارسه على المؤسسات التعليمية المختلفة، لكان حال اللغة العربية أسوأ بكثير، وهذا يدل أن الاعتبارات الأمنية هي الاعتبارات المهيمنة التي تحدد تدريس اللغة العربية.

ليس هنالك مناخ مدني- مواطني يتم به الحديث عن العرب أو الثقافة العربية أو حتى اللغة العربية، بل إن المناخ والخطاب والتوجهات كلها أمنية، وهذا يؤثر على الطلاب اليهود أيضا، لهذا فإن كل محاولات وزارة التربية والتعليم الإسرائيلية لتحسين موضوع تدريس اللغة العربية في المدارس اليهودية، من خلال الأدوات الإدارية أو إدخال إصلاحات بنوية أو تنظيمية لن يفيد في ظل وجود مناخ معاد للثقافة العربية.

فالمسألة ليست مجرد إصلاحات بنوية أو إدخال لوائح جديدة بل تتعلق بالثقافة الأمنية التي تسيطر على مجمل تفكير المجتمع الإسرائيلي في تعاطيه مع اللغة العربية. فكون العربية تعتبر لغة العدو، فإن الذين يجيدون تعلمها بين اليهود لهذا الهدف. أما تعليمها في المدارس، فالنتائج غير مرضية على الإطلاق. فالكفاءة اللغوية بعد عدة سنين محدودة جدا، ولا يستطيع المتعلم بالقيام بوظائف الأساسية للغة. فدوافع الطلاب المنخفضة لتعلمها يعطي القيمة المنخفضة للغة العربية بين اليهود، وذلك بسبب الصراع العربي-الإسرائيلي وعدائية الصهيونية للعرب.

لقد عززت الأكاديمية الإسرائيلية منحى لتننة اللغة العربية، أي تعليم العربية كما حال اللغة اللاتينية كلغة ميتة. لذا نرى بأن العربية تُعلم في الجامعات والكليات الإسرائيلية في اللغة العبرية. والادعاء بأن العربية تعلم بدافع المعرفة والأبحاث.

هذه الادعاءات يكمن دحضها بسهولة، لأنه لا يتم تعليم الانجليزية ولغات أجنبية أخرى باللغة العبرية.

التعامل مع اللغة العربية بسلبية وكلغة العدو، يبين أن هنالك تجاهلا للوجود العربي وعدم احترامه واحترام ثقافته. كان من المفروض جدلا أن اليهود عندما أتوا إلى هذه المنطقة، عملوا على أن تكون العربية جزءا من واقعهم، ثقافتهم وحتى جزءا من هويتهم الشرق أوسطية. ندعي أن معرفة واحترام اللغة العربية وثقافتها من قبل اليهود في هذه الديار هو جزء من المصالحة التاريخية وضمنا لبقائهم في هذه المنطقة. فاعتبارها لغة الأمن والعداء لا يمكن أن يزيل حالة الاغتراب.

رغم التحديات التي تواجه اللغة العربية فضلا عن وجود معوقات جدية لنموها، إلا أن هنالك محاولات عربية جادة لتعزيزها كمؤشر لهويتهم الفردية والجمعية. نذكر على سبيل المثال، مساهمة الأحزاب، الحركات السياسية والمجتمع المدني، إقامة المجامع اللغوية، والتصورات المستقبلية.

أولت الأحزاب العربية في إسرائيل اهتماما خاصا للغة العربية حديثا، إلا أن ذلك لم يظهر في برامجها الانتخابية، ما عدا حزب التجمع الذي افرد حيزا في برنامجه لموضوع اللغة العربية، رابطا بينها وبين الإدارة الذاتية والحقوق الجماعية. وفي الجانب الآخر يمثل التيار الإسلامي نموذجا لعمل ونشاط جماهيري يحافظ على اللغة دون أن تكون اللغة برنامجا انتخابيا أو ضمن رؤية إستراتيجية واضحة لذلك. وكان للحزب الشيوعي دور ريادي في تعزيز اللغة العربية بواسطة إصدار صحيفة الاتحاد ومجلاتها العديدة التي أثرت على أجيال مختلفة في ميادين متعددة. والجمعيات الأهلية في الوسط بين تلك وذاك، فهي تملك رؤية لمكانة اللغة العربية (التصورات المستقبلية) إلا أنها ليست برامج سياسية، وتقوم ببعض النشاطات لتطبيق ذلك، لكن نشاطاتها لا تصل إلى الجمهور الواسع، كما هو الحال بالنسبة لنشاطات الحركة الإسلامية ونشاطات الحزب الشيوعي في الماضي.

هذا لا يعني أن باقي الأحزاب لم تعد تول اهتماما للغة العربية، إلا أن ذلك لم يظهر في برامجها السياسية أو الانتخابية، أو يترجم إلى نشاطات تثقيفية جماهيرية، بل بقي فقط حاضرا على مستوى الخطاب وأيضا بشكل متواضع.

فمسألة إقامة المجامع اللغوية مرتبطة بمسألة التحديث والنهضة القومية. وعند فحص إقامة المجامع الثلاثة في المجتمع العربي في إسرائيل يتبين أن أهدافها تقريبا متشابهة إلى درجة أن الصياغة في بعض الأحيان كانت متشابهة إلى حد ما، وهذا

يدل إن المجامع الثلاثة التي أقيمت لا يختلف الواحد عن الآخر، من حيث الهدف أو من حيث أساليب العمل. ربما كان الاختلاف في أدائها وفي أولويات الأهداف التي تريد تحقيقها وفي الآليات التي تريد استخدامها لتحقيق أهدافها، ما عدا ذلك فإن الفرق البنيوي بين المجامع ليس كبيرا. وهذا ما يؤكد أن عملية إقامة المجامع في إسرائيل هي عملية بالأساس سياسية وليست رؤيوية، تفهم متطلبات الحاضر واحتياجات المستقبل اللغوية. إذن ما تفسير وجود مجعنين (جمعية مجمع اللغة العربية أنهى عمله مع قيام مجمع اللغة العربية الرسمي) للغة في صفوف الأقلية العربية تتشابه من حيث الأهداف، لا بل تتشابه أيضا من حيث الأولويات (رغم اختلاف حول ترتيبها). فكل المجامع تجمع أن الهدف الأسمى هو إحياء اللغة العربية وتطويرها والحفاظ عليها.

في الحالة الإسرائيلية فإن هذا الأمر مفقود، فالدولة تعتبر اللغة العربية لغة رسمية في الدولة ولكن دون الاعتراف بدورها القومي والوطني، لأنها أصلا لا تعترف بالعرب في إسرائيل كمجموعة قومية بل كأقليات، فكيف تقيم دولة مجمعا لغويا لمجموعة معينة لا تعترف الدولة بتشكيلها القومي، هذا يدل أن السقف الذي تطمح له الدولة من مجمع اللغة في السياق الإسرائيلي أن يكون مركزا بحثيا لغويا لا أكثر.

لا تكمن المشكلة اللغوية في عملية تعريب اللغة في إسرائيل، من خلال توعية الناس على استخدام اللغة، حيث أن المجامع في هذه الحالة وخصوصا في ظل الدور الذي تلعبه المجامع في العالم العربي تبقى هامشية، فإذا لم تكن اللغة لغة مهيمنة في الحيز السياسي والرسمي والجماهيري فإن عملية التعريب الأكاديمية قابلة للتحقق ولكن التعريب الجماهيري، أي أن يتحدث الناس بلغتهم، هي مهمة صعبة لا بل ليست من مهام مجامع اللغة العربية، وإنما من تصور النخب لدور اللغة القومي والثقافي. فهي، إذن، عملية تتعلق بمفهوم الهوية والتصور الرؤيوي لتجسيدها. ومن هنا فإن المجامع ومراكز الأبحاث لها دور هام لكنه محدود.

أما التغيير في النظرة إلى اللغة العربية كحق جماعي، متحديا هيمنة العبرية والإثنية القومية، تجلى وبجراحة في التصورات المستقبلية.

لقد اعتبرت الوثائق أن عبرنة الحيز الثقافي والحيز العام في إسرائيل، يعتبر جزءا من يهودية الدولة وان كسر الهيمنة اللغوية للمجموعة المهيمنة هو جزء من كسر الهيمنة الإثنية اليهودية وإعطاء الفلسطينيين في إسرائيل دورهم في التعبير

عن ثقافتهم اللغوية في الحيز العام، وهذا الأمر يشير إلى أن الوثائق لم تتعامل مع مسألة اللغة كتحصيل حاصل، بل أولتها أهمية خاصة، هنالك من شدد على اللغة من زاوية حقوقية، ووثيقة أخرى من زاوية سياسية، وثالث من زاوية ثقافية، ورابع، واقصد بالتحديد وثيقة مركز عدالة، اعتبرت عامل اللغة جزءاً ومحدداً من شكل النظام السياسي والدستوري في إسرائيل.

لقد ركزت وثائق التصور المستقبلي على الحق اللغوي كحق جماعي للفلسطينيين في إسرائيل، وفي هذا السياق يشير "ويل كيمليكا" أن في مسألة المحافظة على الحقوق اللغوية للأقلية لا يكفي التركيز على الحق الفردي ومنع التمييز، بل هنالك حاجة لضمانات جماعية للحفاظ على لغة الأقلية الأصلية.

إلى جانب الاعتبارات الجماعية في خطاب اللغة في التصورات، فإن التصورات تدرك أهمية اللغة من خلال المعرفة، وأن المحافظة على اللغة هو جزء من استقلاليتها الثقافية، وأن التحلي عن اللغة يسهل للمجموعة المهيمنة السيطرة على مجموعة الأقلية.

يمكن القول أن مجمل الأوراق الأربعة التي طرحت تحمل في طياتها تحدياً رمزياً واضحاً للدولة، لا بل يمكن القول إن العمل الجماعي في صياغة الوثائق يعتبر بحد ذاته تحدياً رمزياً للدولة، لأن الدولة كانت تفضل عدم التعامل مع العرب كمجموعة قومية بل كأفراد يسهل دمجهم فيها، فجاءت الوثائق لتؤكد عكس ذلك.

إذن، رغم أن اللغة العربية ما زالت حية وناضجة، وهنالك حيزات لاستخدامها وشرائح مختلفة تسعى لتعزيزها، إلا أن التحديات أمامها كبيرة جداً سواء، من جانب العبرنة (من داخل المجتمع وخارجه) أو العولمة. ولا شك أن هنالك تآكلاً فيها سواء على المستوى البنيوي أو الوظيفي، وقد بينا ذلك في مجالات وجوانب الحياة المختلفة. وبكفي تأملاً بنتائج الطلاب العرب في الامتحانات المختلفة، لنعرف أن اللغة أحد أهم عوامل التنشئة تنتابها الكثير من المعيقات.

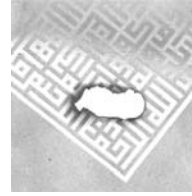
كيف نواجه هذه التحديات؟ وما هي الوسائل والأدوات التي تضمن رفع مكانة اللغة العربية، وضمان منح العرب الحقوق اللغوية الفردية والجماعية؟ هذا ما نرتئي الإجابة عنه في الفصل الأخير من هذا الكتاب.

الباب السادس:

تحديات اللغة العربية:
قضايا سياسية-أيدولوجية

الفصل الثامن عشر

مواجهة التحديات:
نحو بناء إطار نظري



اشرنا سابقا بأن تحديات اللغة العربية كبيرة جداً، وثمة حاجة ملحة لمواجهتها وذلك لمنحها المكانة التي تستحقها كلغة مجموعة أصلانية، ودرء ترهلها بين العرب الفلسطينيين في الدولة، حتى نحافظ على أهم مؤشر ثقافي وعلى الذاكرة الجماعية والتي هي منوطة باللغة العربية.

في هذا الفصل سنتناول مسألة التحديات وكيفية مواجهتها، وسأقترح إطاراً نظرياً أولياً وخطوات عملية للبدء في عملية تعزيز العربية ونموها على الأصعدة المختلفة.

قبل طرح الإطار بودي أن أوضح مجموعة من المسائل بهذا الخصوص والتي ألتقت بظلالها على العالم العربي لعقود طويلة.

عند الحديث عن اللغة العربية ينبري ذوي الغيرة المتوقدة والهمة المتوثبة والمتحمسين لها، الدفاع عنها، عن طريق التغمي بأمجاد الماضي وجمالية اللغة العربية وخصائصها الفريدة، وفصاحة التعبير، وغنى المفردات وأنها لغة الضاد وغيره الكثير. وصدق الشاعر حافظ إبراهيم حين نظم على لسانها:

أنا البحرُ في أحشائه الدرُّ كامنٌ فهل سألوا الغواصَّ عن صدفاتي

لا شك انه بيت في غاية الجمال، ولكن هذا التوجه لا يعطي حلاً للتحديات التي تواجه اللغة العربية. فالمسألة ليست مسألة شعارات وتمنيات، وإنما ممارسات مدفوعة بايديولوجيات وسياسات تربوية واضحة، كما سنين لاحقاً.

لن نتعمق هنا في مسائل بديهية، فاللغة العربية لغة جميلة وغنية وعظيمة تكتنز في طياتها روعة الأسلوب، مهارة التعبير، فن السبك، ومعاجم لغوية بكل فنونها، وهي أيضا، بدون أدنى شك، صالحة للقيام بجميع الوظائف وفي جميع المجالات، ويمكن أن تكون لغة عصرية تفي بكل المهام، فهي لغة عملية وبنفعية فضلا أنها لغة تثقيفية وتربوية.

لكن واقع اللغة العربية في عالمنا المعاصر بحاجة لفحص من زوايا ومناهج مختلفة عما هي عليه اليوم. فتحديات العربية، كما أشرنا إليها سابقا، هي تحديات محلية وتحديات عالمية. وربما حان الأوان لمرحلة جديدة من بناء الاستراتيجيات والآليات لحماية اللغة العربية وجعلها حيوية بأساليب جديدة، ولا نكرر ما قيل حتى الآن مستخدمين نفس الأساليب والإيقاع ذاته لأن هدفنا هو مواجهة التحديات برمتها، بأسلوب علمي ومنهجي ومن ثم تطبيقي.

فالأسئلة المطروحة اليوم على متخذي القرارات كثيرة ومركبة.¹ من جملة هذه الأسئلة حصراً لا قصراً:

كيف نجعل من اللغة العربية لغة جميع مجالات الحياة بدون استثناء ولجميع الوظائف؟ ما هي الأدوات والوسائل المطلوبة لذلك؟ وهل الظروف سانحة في عالمنا العربي لهذا التغيير؟

هل عملية التعريب فشلت في العالم العربي؟ هل هنالك رصد لنجاحاتها وإخفاقاتها؟

هل السبل متاحة والظروف مؤاتية اليوم لعملية تعريب أكثر نجاعة من ذي قبل؟

هل نجد مفهوما شموليا لتربية اللغة العربية؟ إن لم يكن، هل الظروف والوسائل سانحة لبنائه؟

هل الأرضية قابلة لتغيير جذري بالتعامل مع تعليم اللغة العربية بأساليب حديثة، مختلفة وشائقة؟ أم أن الفكر المحافظ ما زال بمقدوره إفشال أية محاولة إصلاحية؟

1 بودي أن أنهه أن هذه الأسئلة صحيحة عندما يكون للعربي سيادة على الحيز. هنالك سياقات خاصة، عندما تكون العربية لغة أقلية كما هو حال فلسطيني الداخل والمأخوذة بعين الاعتبار.

كيف نجعل من اللغات الأجنبية، في عصر العولمة، لغات لغايات محددة وواضحة واللغة العربية هي لغة العربي وحيزه؟

كيف لنا أن نجعل العربية لغة حاضرة في عالم ثورة المعلومات، لها حضور في العلوم المختلفة والفضائيات، والحاسوب لبناء قاعدة معلوماتية بالعربية؟ ما هي الاستراتيجيات والآليات المطلوبة لذلك؟

هل العالم العربي قادر على تطوير تجاربه المشتركة في الأقطار العربية المختلفة لتطوير اللغة العربية؟ هل هو قادر على تجميع الطاقات والتعاون الوثيق؟ هل بالإمكان بناء مشروع عربي قومي مشترك، بمقدوره التصدي لنزعات إحلال العاميات محل العربية الفصحى؟

هل يمكن، بالإضافة للعامل الديني، دفع العربية قدما بدوافع قومية وفعلية؟ بكلمات أخرى، جعلها لغة الحياة اليومية؟

هل يمكن المصالحة بين اللهجات - اللغة العامية مع اللغة الفصحى من أجل التصدي للتحديات الخارجية؟

ما الوسائل والموارد التي نحتاجها لكي نعزز اللغة العربية؟ وكيف يمكن تجنيد المؤسسات للقيام بدور أكبر فعالية؟

لا شك أن الأسئلة المطروحة متداخلة وكبيرة. لكننا لا نستطيع أن نتحدث عن العربية فقط كقوالب ووظائف. هذه اللغة مدفوعة عقائديا وسياسيا واجتماعيا واقتصاديا. هي لغة الهوية الجمعية بإبعادها المختلفة، وهي لغة الدين والدنيا، والأمة تزدهر بها وتضعف بضعفها. هي لا شك لغة تمكين ولغة مصير.

إن الأسئلة المطروحة تضع تحديات جساماً أمام الإنسان العربي. فالتمني والأوهام لا يمكنها أن تغير واقع اللغة العربية إلى الأفضل، حتى لو افترضنا حسن النوايا، وإنما نحن بحاجة لعملية رؤيوية مبنية على استراتيجيات وآليات واضحة المعالم. ويجب أن تنبني على نشاطات مؤسسات، سواء الحكومية، أو الأكاديمية، الجامع، أو المجتمع المدني، الأحزاب السياسية والفعاليات الشعبية. وليس على نشاطات الأفراد فقط مهما كان زخمها وأهميتها، بل إن اللغة مشروع وطني والتعامل معها يجب أن يكون كذلك.

هذه التحديات تتزايد في عصر العولمة، عندما أصبحت اللغة الانجليزية لها حضورها

في كثير من مجالات الحياة في العالم. فهي لغة العلم، الطيران، العسكر، التجارة، الصناعة، الطب، المواصلات، الاتصالات، الحاسوب، المعلومات، الفضاء، البحث العلمي. واللغة الرئيسية في مختلف المنظمات الدولية (Crystal, 2003).

هذا إضافة إلى الإرث الاستعماري اللغوي في العالم العربي، معنى ذلك أن هذه التحديات لا يمكن مواجهتها إلا عن طريق سياسات وطنية وتعاون عربي.

يقول حبيب عبد الرب سروري (2009) في هذا السياق:²

” قبل الحديث عن تحديات عصر العولمة التي تواجه اللغة العربية (مثل غيرها من اللغات) يلزم التذكير بأن اللغة والتعليم العربي لم يَحُلَّ بعد تحديات مرحلة ما قبل العولمة التي تجاوزها الغرب والشرق الأقصى قبل عصر العولمة بزمان. فلم تعرف اللغة العربية، التي كانت لغة الحضارة الكونية في القرون الوسطى (مثل الإغريقية قبل الميلاد، ثم اللاتينية بعد ذلك، والإنجليزية اليوم)، مثلها مثل التعليم العربي، أي إصلاحات أو ثورات حقيقية تحرّرها من تشبثها العنيف بقيود الماضي، وتجعلها تواكب حاجة العصر!...“

المقصود أنه لم تحدث تحديثات في بنية اللغة العربية، كتابتها، أو تغييرات في قواميسها مواكبة لتطورات علاقتها بالعصر. إضافة، فهي لا تمتلك اليوم مرادفات لمعظم المصطلحات الحديثة، لتصبح لغة حديثة.

لا نريد للغتنا أن تكون فقط جمالية وغنية بالمفردات، والتعني بأمجاد الماضي وتعليقها للزينة على الجدران. وإنما نريدها أن تقوم بجميع الوظائف المنوطة، بها دون اللجوء للغات أجنبية في كل شاردة وواردة. فنهوض الأمة مرتبط بنهضتها اللغوية، ولا يمكن للأمة أن تحدث التغيير ما لم تتخط العطب اللغوي. لا نستطيع أن ننتج العلوم ونبدع بها ما لم تصلح لغتنا للقيام بدورها، ولن يكون التغيير الجوهرى في تحصيل طلابنا ما لم يتقنوا لغتهم العربية. فالفيزياء والرياضيات والبيولوجيا، على سبيل المثال، بحاجة لمصطلحات، وان لم تتواجد ولم تتقن اللغة الاصطلاحية ستكون عملية التعليم برمتها معطوبة. فعندما وصل العرب في الماضي أوج ذروتهم الثقافية والعلمية كانت اللغة العربية هي لغة العلوم. وكما يقول الشيخ يوسف القرضاوى (2007، الجزيرة):

فانعلوم كتبت في عصر الحضارة الإسلامية، علم الطب وعلم التشريح وعلم

2 أنظر الى: <http://www.aljazeera.net/NR/exeres/DCE0EED64C2C--0694-35B9E47C2860,frameless.htm-AD12>

الفلك وعلم الفيزياء وعلم الكيمياء وعلم الرياضيات.. كل العلوم كتبت باللغة العربية، لم تضق اللغة العربية عن علم من العلوم الآن، لأن الأمة عجزت وأصابها الوهن فأصبحت تُدرّس العلوم مثل الطب والهندسة والحاسوب وهذه الأشياء تدرس باللغة الإنجليزية أو باللغة الفرنسية، ما فيش إلا بعض البلاد مثل سوريا التي أصرت على أن تعلم الطب باللغة العربية....

ويوجز الشيخ يوسف القرضاوي إلى القول (2007، الجزيرة) "الأمة حينما تهون في نفسها تهون لغتها، لأن اللغة هي المعبر عن شخصية الأمة وعن قوة الأمة، وحينما تشعر الأمة بقوتها تقوى اللغة معها وخصوصاً لغة مثل اللغة العربية وهي لغة القرآن"

ما حال العربية اليوم؟ هي ليست لغة العلوم، والعلوم الدينية الوحيدة فقط هي التي تنتج بالعربية. بل إن التحديات التي تواجه العربية أكثر من هذا بكثير. فنرى في كثير من الأقطار العربية أن المريات من أصول فلبينية، هندية، واندونيسية تلقن الأطفال العرب لغتها. ففي غمرة انشغال الأهل لا يتعلم الطفل اللغة العربية من أمه، وتترك هذه المهمة للمريات. هذا إلى جانب تزايد المدارس الأجنبية في الوطن العربي واستخدام اللغة الانجليزية كلغة التدريس.

إن المشاهد اليوم للفضائيات العربية، يرى اليوم أن لغة الدين ولغة الحديث عن الآخرة مهيمنة على كثير من محطاتها. فالعربية يجب أن لا تقتصر على هذا الجانب، وإنما يجب أن تكون لغة الحياة اليومية. ولكي يحدث هذا، هنالك حاجة لمشاريع إنعاش العربية وملاءمتها للعصر. يقول حبيب عبد الرب سروري (2009) إن التعليم الحالي في الوطن العربي لا يسهم في تطوير اللغة العربية، ولا بدخول عصر العولمة، وما زلنا حتى اليوم في البدايات بالتعامل مع النصوص الرقمية³ التي

3 وعن خصوصيات النص الرقمي وأهميته يقول حبيب عبد الرب سروري- موقع الجزيرة: (أ) هو نصٌ فائق: تتعاقب فيه كل الوسائط معاً، من صوت وصورة وفيديو، في وعاء تفاعلي جميل الإخراج، متعدد الأبعاد! لذلك هو أرقى وأثرى الوسائط الثقافية التي عرفها الإنسان منذ فجر التاريخ!...

(ب) هو نصٌ مفتوح (وليس مغلقاً مثل النص الورقي الذي يبدأ بالصفحة الأولى وينتهي بالآخيرة) بفضل «صلات النصوص الفائقة» المشار لها عادةً بخطوط أسفل أية كلمة، والتي تسمح (عند نقرها) بالانتقال إلى موضع آخر في نفس النص أو إلى أي نص آخر في أي كمبيوتر في أطراف الكرة الأرضية...

(ج) هو نصٌ ذريّ الفهرسة (يتم فهرسة جميع كلماته، وليس فصوله فقط مثل الكتاب الورقي) بفضل ما تسمى: «موتورات البحث» الكونية (مثل غوغل الذي يحوي حالياً أكثر من 25 مليار نص، ومليار صورة، موزعة على نصف مليون كمبيوتر)... بفضلها يمكن الوصول إلى النص الرقمي بطريقة سحرية مذهشة: يكفي أن تقدّم لموتورات البحث كلمة نموذجية أو بضعة كلمات من النص أو من عنوانه، أو

باتت من أهم الوسائل للإنتاج المعرفي.

والتعليم العربي اليوم، هو الآخر، وأد غير ذي زرع (ظل بناؤه التحتي ظلامياً كما هو، منذ عصر الانحطاط الذي ساد فيه فكر سلفي أحادي الاتجاه في الثقافة العربية الإسلامية، أطاح بالتراث العقلي للعصر الذهبي، لاسيما الفكر المعتزلي). لا يُعلّم الطالب النقد والرفض والتساؤل ومبادئ السببية والبرهنة. لا تُتمى فيه العقلية العلمية الصارمة المنتجة. على العكس من ذلك، يُعلّمه بامتياز كيف لا يفكر، كيف يلغي الإرادة والعقل، ويعيش حياة الاستهلاك والتفوق!... تنشأ وتنمو عقلية الإنسان العربي في هذه البيئة (التي تعزله فكراً و لغةً عن الحياة والحداثة) بطريقة لا تسمح له بمواكبة العصر، أو دخول عصر العولمة من أوسع أبوابه!... تسقط تحديات العولمة على رأسه كجلمود صخر حطّ من «خارج النص»، يراها عبئاً ثقيلاً مرعباً آتياً من زمن مستقبلي بعيد! لا يمتلك العقلية العلمية القادرة على مواجهتها أو حتى استيعابها. تزداد حيرته وعزله وغيبوبته وشعوره بالضيق والعجز والفشل والاندحار! يبدو العالم في عينيه أدغالاً مثخنة بالمخاطر والوحوش. يهرب منه، بقلق بيسيولوجي طبيعي، نحو كهف هويّة غامضة الملامح، تنتمي لقرون ذهبيّة سحيقة!..

ويضيف حبيب عبد الرب سروري (2009) "ما يزيد الطين بلّة والألم استفعالاً هو عدم وجود مشروع عربيّ فاعل يعتبر هذه التحديات أولويةً قومية تُعدّ لها الخطط وتُكرّس لها الجهود الخلاقّة!". ويتحدث سروري عن ثلاثة تحديات أساسية نحو بناء نصوص رقمية: التحدي الأول، انها لغة بلا ذخيرة معرفيّة، التحدي الثاني، انها لغة تعاني من أنيميا الترجمة، والتحدي الثالث، انها لغة لم تكمل بعد بنائها التحتي الرقمي.

ماذا عن عمليات إصلاح اللغة العربية في العالم العربي؟ بداية علينا أن نعي أن عمليات الإصلاح مبنية على سياسات والسياسات تدفعها الايديولوجيات والنتائج اللغوية هي حصيلتهما.

ثمّة مسألة هامة طرحناها في هذا الكتاب، هي مسألة الازدواجية في اللغة العربية. وشرنا على أنها تشكل تحدياً كبيراً. هنالك من أدعى أن الازدواجية

كلمات قليلة تتعلق به، كي تضع هذه المتورات النصّ أمام القارئ وتعرضه على الشاشة في بضعة ثوان! ليس ذلك فحسب، بل تقدّم في نفس الوقت أيضاً، جميع النصوص والوثائق والكتب الموجودة على الإنترنت التي تحتوي على تلك الكلمات النموذجية!... (اللغة العربية في مهبط العولة.. مشروع إنهاض-حبيب عبد الرب سروري- موقع الجزيرة)

تعيق عمليات التعريب، وتزيد من المستويات العالية من عدم القراءة والكتابة، ومنهم من ذهب إلى القول إنها تبقى على الأنظمة غير الديمقراطية. يحدد مكفرن (McFeren, 1984: 5) أن الازدواجية هي سبب فشل التعريب في شمال أفريقيا. يورد هاري (Haeri, 2003: 151) إدعاءً مماثلاً عن مصر.⁴

هذه النظرة تدل على أن العاميات والفصحى في حالة صراع ولا سبيل للمصالحة بينهما. بيد أننا في هذا الكتاب نراها من زاويا مختلفة تماما. نرى أن الازدواجية ظاهرة من التنوع اللغوي (linguistic diversity) وعلى العربي أن يتقن الفصحى لوظائف معينة كما يتقن العامية لوظائف أخرى. كيف نفسر أن الإنسان بمقدوره تعلم العديد من اللغات وبلغي قدرته عل تعلم الفصحى؟

ندرك تأثير اللغات الأجنبية على العالم العربي اليوم، وخاصة الانجليزية والفرنسية، ونرى أن دور الانجليزية المتعاظم في الدول التي تعتمد على السياحة مثل مصر، تونس والمغرب، ومع التزايد الكبير في إقامة المدارس التي لغة التدريس فيها اللغة الانجليزية، وخاصة في مصر.

هنالك من تحدث عن الانجليزية على أنها لغة قاتلة،⁵ ليس فقط عربيا، وإنما عالميا. وإذا كان صحيحا أن الانجليزية لغة قاتلة، أين موقع العربية الفصحى، لغة لا تعلم كلغة أولى ولا تعلم في البيت؟ كيف استطاعت إذن أن تواجه الاستعمار، التكنولوجيا الحديثة، وانتشار اللغة الانجليزية؟ (بسيونى 2009: 269) هنالك من أدرك هذه التحديات أو بعضا منها، وكانت محاولات إصلاحية ولكنها باءت بالفشل. فكما يقول سليمان جبران (2009: 29):

جميع دعوات الإصلاح هذه سقطت، واشك في نجاحها يوما، حتى ما يمس منها الشكل لا الجوهر. سقطت هذه الدعوات للأسباب خارجة عن اللغة ذاتها، ولكنها أسباب هامة لا يمكن تجاهلها أو التغلب عليها بسهولة.العامل الديني، العامل القومي، محافظون يصعب علينا التغيير.. دعوات الإصلاح جميعها سقطت بسبب العوامل الخارجية المذكورة. هذه العوامل "حمت" الفصحى من كل تغيير أو تطور جذري، وهذه العوامل ذاتها هي الأساس الأول لنشوء الازدواجية الحادة في لغتنا العربية.

4 ان سبب الفشل الرئيسي للتعريب أو إخفاقه الجزئي في شمال إفريقيا، ليس فقط ازدواجية اللغة بل غياب نخب سياسية والقرار والإرادة السياسيين للمثابرة عليه، وهذا مما يؤكد أهمية القرار والإرادة السياسية في مسألة استنهاض اللغة العربية.

5 يعتقد فيشمان (Fishman 2002) أن هذا مصطلح غير دقيق لأن الشعوب تعطي للغة مكانتها.

ويضيف سليمان (2009: 72) "ليست اللغة العربية بخير، كما يزعم هؤلاء الغلاة. وإذا كان الحصري رأى عجزها وفقرها قبل عشرات السنين، فلا شك أن حالتها اليوم، حيال الثورة التكنولوجية والمعلوماتية الكاسحة، قد ازدادت عجزاً وفقراً بسبب هؤلاء السادة، من محافظين وغلاة ومتعصبين تعاني لغتنا اليوم أزمة حادة، وتجاهل المرض لا يؤدي إلا إلى تفاقمه وإلى تهديد حياة المريض."

وعزو سليمان إشكاليات العربية إلى فقر اللغة في المصطلح في جميع المعارف الإنسانية، القطيعة المذهلة بين أبناء العربية، الأجيال الشابة بوجه خاص، واللغة الفصحى - لغة آبائهم وأجدادهم، لغة قوميتهم وتاريخهم وتراثهم. ويصل سليمان إلى الاستنتاج "لا مناص من الإقرار بأن اللغة الفصحى لغة صعبة معقدة، غريبة على الإنسان العربي المعاصر في نحوها وصرفها وقاموسها وصياغتها. السبب الأول في صعوبتها أنها ليست لغة طبيعية حية نداولها في البيت والسوق والشارع، والانتقال إليها يعيق التفكير طبعاً... (سليمان 2009: 74).

بعد أن بينا التحديات وسيقاتها، هل بالإمكان مواجهتها؟ الإجابة، نعم. لأن العوامل التي تدعم العربية قوية جداً، علينا أن نبحث عن الوسائل الفاعلة لمجعلها لغة العصر ولغة الحيز العربي.

سأطرح إطاراً نظرياً أولياً ومقترحات عملية للبدء في عملية التغيير، مركزاً على حالة العرب الفلسطينيين في الداخل.

إن الإطار النظري المقترح يتألف من ثلاثة محاور مركزية: المحور الأول: الممارسات اللغوية، والمحور الثاني: الإيديولوجية اللغوية والمحور الثالث: السياسات اللغوية. لكي نواجه التحديات علينا أن نفهم بعمق المحاور المختلفة المتعلقة باللغة والتي تؤثر عليها سلبيًا أو إيجابيًا. ما علينا أن ندوته أن اللغة كائن حي، ينمو ويتوسع باستخدام المكثف ويضعف وربما يموت إذا لم تكفل له ظروف النماء.

المحور الأول: الممارسات اللغوية

الممارسات أو الاستخدامات اللغوية تلك الخيارات والسلوكيات التي بالإمكان ملاحظتها - ما يستخدمه الناس فعلياً. نتحدث عن الخصائص اللغوية المختارة، والصيغة اللغوية المستعملة. وتزود الممارسات اللغوية السياق اللغوي لكل من تعلم اللغة (Spolsky, 2009: 4).

علينا أن نفهم أن استخدام اللغة في مستوياتها المختلفة، بين الأفراد وبين المجموعات هي في المواقع المختلفة. وفي هذا المحور نطرح الأسئلة الآتية:

هل العربية بمستوياتها المتنوعة هي اللغة المستخدمة الوحيدة في المجالات المختلفة؟

هل هنالك اختلاف باستخدام العربية بمستوياتها المتنوعة بين المجالات العامة والخاصة؟

هل الفصحى هي لغة البيئة التعليمية؟ أم أن هنالك خليطاً بين العامية والفصحى؟

هل هناك منافسة للغات أخرى؟ وفي أي المواقع والمجالات؟

هل هنالك خليط من اللغات في الاستخدامات؟

ما الدور التي تقوم به المدارس لتوعية الطلاب بأهمية استخدام اللغة العربية الفصحى؟

ربما من الناحية الايديولوجية هنالك تفضيل للغة\صيغة ما، ولكن على ارض الواقع هنالك ممارسات لا تتناغم مع الايديولوجيا. والسؤال الأساسي في هذا المحور: أية ممارسات نريدها في فضاءنا العربي؟ ومن المسئول عن تغيير الممارسات المرغوبة؟ رغم أن هذا السؤال يمس استخدام اللغة، إلا انه سؤال ايديولوجي وسياساتي بامتياز.

المحور الثاني: الإيديولوجية اللغوية

إن الايديولوجية اللغوية تتمحور حول معتقداتنا حول اللغة، الأدوار التي تقوم بها ومواقف ناطقيها تجاهها ومكانتها. فالايديولوجية هي المحرك الأساسي لبناء رؤية للغة ودورها في المجتمع. إحياء اللغة العبرية بدأ مع نشأة الحركة الصهيونية التي ارتأت أن نفي المنفى وبناء هوية اليهودي الجديد يتطلب إعادة استخدام اللغة العبرية في الحيزين الخاص والعام. والنهضة العربية الحديثة ارتبطت بشكل عضوي باللغة العربية.

لا شك أن وهنا أصاب الايديولوجية اللغوية في العالم العربي، وإن كان بدرجات متفاوتة، وهنالك صراع كبير بين الذين يناصرون العروبة والعربية، وأولئك الذين يدعمون القوميات المحلية ولهجاتها العامية. فهنالك العديد من الأصوات التي

نادت بإحلال العاميات في بلدان عربية، ونرى، على سبيل المثال، شرائح واسعة تدرك العربية الفصحى على أنها لغة الماضي فقط. معنى هذا أن العربية لا تصلح أن تقوم بالوظائف الحياتية المتعددة. وبهذا المفهوم فإن العربية هي ليست لغة حديثة، ويجب التفتيش عن لغة أخرى للقيام بهذا الدور، كما يحدث بالأقطار العربية المختلفة، والاستخدام المكثف للانجليزية والفرنسية.

فالوهن في الايدولوجية اللغوية، أدى إلى فهم الكثير من الأفراد في العالم العربي أن لغات أجنبية هي التي تصلح لأن تكون لغة العصر. فنرى تعليم العلوم في كثير من الجامعات العربية في الانجليزية أو الفرنسية، وتفضيل نسبة عالية من طلاب في المغرب العربي أن تكون الفرنسية لغة التدريس في المدارس، وإقامة المدارس ولغة التدريس الأساسية هي الانجليزية في مصر والعديد من الدول العربية.

أعلنت دول المغرب العربي بعد استقلالها عن بدء عملية التعريب، أي إعادة الهوية العربية ولغتها لأبنائها في جميع مجالات الحياة. فمشروع التعريب في أساسه هو مشروع ايدولوجي. وكانت إخفاقات ونجاحات في هذا المشروع ويجب أن نتعلم منها الدروس، للقيام بعملية تعريب كاملة وفي هذه المرحلة تشمل جميع الأقطار العربية. ويجب يكمن مشروع عربي متكامل تتضافر فيه الجهود السياسية، العلمية والمادية للبدء به.

المحور الثالث: السياسات اللغوية

محاولة التأثير بشكل مباشر أو غير مباشر على الممارسات اللغوية للأفراد أو المجموعات. وهنا لا نتحدث عن المؤسسة الرسمية فقط، وإنما السياسات اللغوية هي مسؤولية البيت، والمؤسسات الدينية، والمدرسة، وأماكن العمل، والحكم المحلي، والسلطة المركزية.

لا شك أن الايدولوجيات اللغوية تدفع المؤسسات المختلفة والأفراد بالحفاظ على اللغة المرغوب فيها. إذا كان هناك وضوح في الرؤيا والتزام عميق تجاه اللغة دينيا وقوميا. إضافة إلى السياسات المتعلقة بالمؤسسات، يجب أن تكون مبنية على استراتيجيات وآليات واضحة تشترك فيها الفئات المختلفة لكي تؤسس على أسس متينة ومنهجية.

لا شك أن هنالك ارتباطا وثيقا بين المحاور الثلاثة وتتقاطع فيما بينها. ولكن

للتأثير الفعال هنالك حاجة للعمل على المحاور الثلاثة.

على سبيل المثال، التصورات المستقبلية (أنظر للتفاصيل الفصل السادس عشر في هذا الكتاب) تريد أن تؤثر على الممارسات اللغوية بحيث تصبح اللغة العربية على المستوى الأداتي أو الرمزي لغة التمكين للمجتمع العربي، ولكن هنالك إدراك أن هذه الممارسات لن تتغير إن لم تكن هنالك تصورات رؤيوية واضحة المعالم (ايدولوجيا)، وسياسات مختلفة وفاعلة قادرة على التغيير. ماذا فعلنا بعد أن صدرت التصورات المستقبلية؟ وهل تجاوزناها إلى مرحلة السياسات والتغيير على أرض الواقع؟ الإجابة بالتأكيد، لا. فبناء التصورات (ايدولوجيا) خطوة هامة لكنها ناقصة.

إذن، في علمية التغيير لمواجهة التحديات علينا أخذ المحاور المختلفة بعين الاعتبار، والعمل بمنهجية على التغيير. فهنالك ما نسميه في علم اللغة الاجتماعي إدارة اللغة (language management)، أي التأثير على الممارسات والخيارات اللغوية، عاكسا بذلك جهودا صريحة أو خفية للذين يقومون على إدارة اللغة والسيطرة على الخيارات اللغوية (سبولسكي، 2009: 1).

من هنا بالإمكان القيام بالخطوات الآتية لإدارة اللغة والتأثير على الخيارات، وهنا نتقدم باقتراحات أولية ونعرضها كمادة للتفكير ويجب تطويرها مستقبلا إلى مشاريع مفصلة. أحد الأمور الهامة التي يجب أن نركز عليها هي لمن الحق في إدارة اللغة؟ ومن سيكون "الشرطة اللغوية" للقيام ومراقبة الأمور اللغوية في المجالات المختلفة.

على المستوى القطري

إن حضور اللغة العربية في المجالات العامة هام جدا، وندرك أن العبرية فيها هي اللغة المهيمنة. اللغة العربية هي لغة رسمية، ولكنها بالاسم وليس بالفعل. والحديث هنا عن تغيير الحيز العام وإمكانية الوصول إلى الموارد العامة عن طريق اللغة العربية. إن حضور اللغة العربية في المجالات العامة يزيد من حيويتها ويرفع من مكانتها بعين ناطقيها وبعيون الآخرين.

لكي يتم تحقيق المكانة الحقيقية للعربية كلغة رسمية، أي من النظرية إلى الممارسة، يجب اتخاذ خطوات ملموسة في هذا الاتجاه بحزم وإصرار، مثل: إيصال

مشكلات اللغة للمحاكم (وهو ما يتم فعله اليوم جزئياً من قبل جمعية عدالة وهيئات أخرى). هنالك حاجة لتكثيف هذا المسار، وهنالك الكثير من الأمور العينية التي من الممكن تغييرها. والمطالبة بالحقوق اللغوية الفردية والجماعية لا يكفي أن تكون من الجماعات القانونية، بل يجب أيضاً أن نرى دوراً للأحزاب السياسيّة وغيرها. لذا فجميع الفئات في المجتمع العربي يجب أن تلتف حول هذه المسألة.

- الضغط على البلديات في المدن المختلطة لاستخدام اللغتين الرسميتين في الأماكن العامة. بعض المدن تستخدم اللغتين، بالإمكان من خلال حملات جماهيرية وقضائية تغيير الوضع في هذه البلديات.
- خطاب مختلف حول ماهية اللغة. وضع هذا الموضوع على جدول أعمال الأقلية العربية كأفضلية وعدم التهاون به. على الأقلية العربية ربط مسألة اللغة العربية برباط عضوي مع مسألة الحقوق الجماعية وكون استخدام اللغة العربية في المجالات العامة هو خطاب أقلية أصلانية، أهل وطن، وبهذا تكون مشاركة فعلية وجوهرية للعربية مع العبرية.
- المطالبة بتدريس العربية في المدارس اليهودية في جميع المؤسسات التعليمية كلغة إلزامية. يجب العمل على تطوير خطاب واضح بأن معرفة واحترام اللغة العربية وثقافتها من قبل اليهود في هذه الديار هو جزء من المصالحة التاريخية وضمان لبقائهم في هذه المنطقة. وتعلم اللغة العربية من خلال اعتبارات مدنيّة وليس نتيجة اعتبارات أمنيّة، كما أن مضامين اللغة العربيّة يجب أن تحوي التاريخ والتراث حتى يتعرف اليهود على العرب بشكل حقيقي.
- سعي لجنة المتابعة للجماهير العربيّة للعمل جاهدة في المطالبة في تمكين اللغة العربية وزيادة حضورها في المكاتب العموميّة، فمسألة اللغة هي ليس أقل أهمية من مسألة الأرض والوجود.
- تشجيع الجامعات الإسرائيلية من خلال المجلس التعليم العالي على تعزيز اللغة العربية في المشهد اللغوي، وعلى إقامة ندوات وأيام دراسية في اللغة العربية ومن ثم تمكين المحاضرين بإقامة محاضرات في اللغة العربية في الكثير من الأقسام والنشاطات.

على المستوى المحلي

تعزيز الوعي واستخدام اللغة العربية بمستوياتها المختلفة والمواقع المتنوعة، ليس فقط على المستوى القطري، وإنما أيضا على الصعيد المحلي. وربما يجب أن يكون التركيز في المرحلة الأولى على أبناء المجتمع العربي ومؤسساته، لأن عملية التغيير أسهل وتشكل أرضا خصبة للتغيير. لإحراز هذه الأهداف، يمكن اتخاذ الخطوات التالية:

- عقد مؤتمرات سنوية حول اللغة العربية وآدابها، تدعمها مؤسسات الحكم المحلي والمجتمع المدني. والهدف ليس للتغني بأمجاد العربية وإنما للإثراء، ومراعاة المعرفة وزيادة الوعي اللغوي بأساليب حديثة ومنهجية وشيقة.
- إلقاء محاضرات حول اللغة العربية في جميع المدن والقرى العربية وربطها بواقعنا وما لها من إسقاطات تعليمية، سياسة وهوائية، برعاية المجالس المحلية والبلديات.
- بناء سياسة لغوية واضحة لاستخدام العربية في المجالس المحلية ومؤسساتها. على سبيل المثال، إصدار مستندات الخدمات باللغة العربية: مثل فاتورة المياه، ضريبة الارنونا والوثائق الرسمية الأخرى. كذلك تقديم الخدمات الأخرى للعرب في أماكن سكنهم مثل سلطة البريد، المصارف، صناديق المرضى باللغة العربية. تعزيز طلاب الدراسات العليا العرب على إجراء أبحاث جامعية سواء للقب الثاني أو الثالث حول اللغة العربية في مجالاتها المختلفة.
- زيادة الكليات العربية في جهودها بتعزيز اللغة العربية الفصحى في المحاضرات والندوات الثقافية، وعقد أيام دراسية عن اللغة العربية كواقع وتحديات، كما يجب العمل على أن تكون اللغة العربية هي الأكثر حضوراً في المشهد اللغوي.
- إصدار جريدة أسبوعية تصدر عن المجالس والبلديات المحلية تعنى باللغة العربية من خلال ذكر أهمية اللغة في الوجود والتمكين، وإثراء الملكة اللغوية عند المواطنين، وغرس محبة اللغة العربية من أجل التأثير على الايدولوجيا اللغوية.
- تعزيز الجانب البحثي للغة العربية في الجامعات، بالإضافة إلى إقامة مركز للغة العربية لإجراء الأبحاث حول الجوانب المختلفة لها. من بين هذه الأبحاث الملحة:

- أ- تطوير وسائل تربويه جديدة لتدريس اللغة العربية
- ب- فهم عميق للازدواجية على أرض الواقع، وخاصة في الصفوف الدنيا.
- ج. رصد استخدامات العربية في الأماكن ألعامه.
- ح. دراسة السياسة اللغوية بما يتعلق باللغة العربية
- خ. دراسات شاملة وعميقة حول تأثير العبرية على العربية
- ر. دراسة مواقف العرب في إسرائيل من اللغة العربية.

- هذه دراسات ضرورية لبناء سياسات تربوية مبنية على أسس متينة ومنهجية. استثمار الجامعات اللغوية لإدارة الممارسات اللغوية. لتغيير السلوك اللغوي بالاتجاه المرغوب به، يجب أن تقوم مؤسسات على إدارته. برأينا الجامع مرشحة لهذا الدور إذا قامتببناء البنى التحتية المطلوبة لذلك.
- تشجيع الطلاب العرب على تعلم العربية في الجامعات (وخاصة للألقاب العليا) وتقديم المنح لهم. المعلمون هم وكلاء التغيير. فمعلمو اليوم للغة العربية بغالبيتهم ليسوا من أفضل الطلاب. هنالك حاجة أيضا إلى بناء كادر من باحثي اللغة العربية والمتخصصين بعلوم اللغة الحديثة، وندر وجدوهم في البلاد.
- إنشاء المكتبات العامة في جميع القرى والمدن العربية.
- إنشاء المواقع الالكترونية واغنائها بالنصوص الرقمية.
- تكريم الأدباء والباحثين ومنح مكافآت مادية ومعنوية للعاملين على تطوير العربية.
- إقامة المسارح من أجل تمثيل مسرحيات باللغة العربية الفصحى ومسرحيات للأطفال.
- إقامة ندوات شعرية وثقافية تعنى باللغة العربية، وحول أهمية اللغة للفرد والمجموعة.

نحو تربية لغوية عربية بمفهومها الشمولي

بسبب أهمية المؤسسات التعليمية، هنالك حاجة لمنح هذا المجال أهمية خاصة لمواجهة التحديات.

في العقدين الأخيرين تطور نتاج معرفي ذو شأن حول التربية اللغوية، وذلك بفضل التراكم المعرفي في إطار علم التربية اللغوي (Educational Linguistics). ولا يقتصر هذا النتاج اليوم على تعلم وتعليم اللغات فحسب، وإنما نتحدث عن التربية اللغوية بمفهومها الشمولي. فلم تعد غرفة الصف ولا درس لغة العربية هي ساحة التنشئة اللغوية، وإنما هنالك وكلاء آخرون للتنشئة مثل: البيت، البيئة المدرسة الشمولية، والمجتمع القريب. لذا يتوجب علينا فهم وربط هذه الدوائر المختلفة بحيث نخلق محيطاً لغوياً داعماً.

ولبناء تربية لغوية غنية قادرة على تلبية حاجات الفرد والمجتمع، هنالك حاجة لفحص وتعزيز العديد من المركبات، منها: معلم اللغة العربية، معلمو المواضيع الأخرى، الطالب، المنهاج، البيئة التعليمية، طرائق تدريس اللغة، معيقات التعلم في الصفوف الأولى لتعلم العربية، برامج اللغة العربية في الكليات العربية.

ما زالت الطرق التقليدية سائدة في العالم العربي، كذلك الأمر لدينا في البلاد حول مفهوم اللغة وتعلمها. حيث يتم التركيز في الغالب على تطوير المهارات والمهارات الفرعية، ولكنهم يفتقدون المفهوم الشمولي للتربية اللغوية. فلا عجب أن النتائج غير مرضية في اللغة العربية المعيارية. وأدعي أنه ما لم يحدث تغيير جوهري في مركبات التربية اللغوية المختلفة لن تتغير الصورة بشكل جوهري عما هي عليه اليوم.

هنالك حاجة لبناء مشاريع طموحة ترسم الخطوط الأولى لتربية اللغة العربية من جوانبها المختلفة، ونقترح بدائل وأموراً عملية لتغيير الوضع القائم. وادعأنا أنه بتعزيز اللغة العربية وقيامها بالمهام المنوطة بها (انظر الأسئلة لاحقاً) سوف نعزز التحصيل في المواضيع الأخرى وبناء إنسان قادر على مواجهة حاجاته الأكاديمية والمهنية بشكل أنجع. لذا، التربية اللغوية تحتاج المرافق التالية: البيت، المدرسة ومؤسسات التعليم، الحيز العام في المدينة وفي الدولة وبهذا يمكن تذويت اللغة والتأثير أولاً على الايدولوجيا اللغوية للفرد في زيادة الإيمان بأدوار اللغة العربية والمعتقدات حولها، وتحسين الموقف تجاه اللغة، ومن ثمّ يمكن التأثير على الممارسة

اللغوية وتنفيذ المعتقدات حول اللغة، وهذا يتم من خلال السياسة اللغوية التي تنتج عن المؤسسة أو الدولة أو البيت.

ونرى أيضا أن هنالك حاجة لبناء شراكات هامة، وفي مركزها عملية لقاء استراتيجي بين الحكم المحلي، المجتمع الأهلي العربي وبين الأكاديميا. وهي الشراكة التي تنقصنا في البلاد، وخاصة أننا بحاجة لمشاريع أكاديمية لها تضمينات وإسقاطات مجتمعية.

تبين النتائج المختلفة لامتحانات اللغة العربية، أن الكفاءة اللغوية التي يحصل عليها متعلم اللغة العربية، لا تمكنه من التعامل بنجاح مع المهام والدراسة الأكاديمية ولا مع الحاجات المهنية.

والأسئلة المركزية التي سترشدنا في بناء المشاريع البحثية المختلفة هي:

- ماذا علينا أن نعلم طلابنا حول اللغة العربية بهدف تحضيرهم للنجاح الأكاديمي، والنجاح المهني، وللتحديات الفكرية الواسعة في حياتهم كباقيين؟
- ماذا يجب على المعلمين أن يعرفوا حول اللغة العربية من أجل أن يكونوا فاعلين في تعزيز النتاجات اللغوية المرغوب بها؟
- عندما نحدد النتاجات اللغوية المرغوب بها والمعرفة اللغوية التي يجب أن يتحلى بها المعلم، ما هي الوسائل التي سنستعملها لتعزيزها؟
- كيف نضمن محيطا لغويا تربويا يعزز من مكانة اللغة في العملية التربوية خصوصا، وفي نواحي حياتنا الأخرى عموما؟

من خلال المفهوم الشمولي للتربية اللغوية العربية، نصبو لتحقيق الأهداف الآتية:

- إنتاج معرفي حول التربية اللغوية عموما وبما يتعلق باللغة العربية خصوصا.
- بناء مفهوم وتصور شمولي للتربية اللغوية في المدارس العربية.
- التركيز على الجوانب التطبيقية في الإنتاج المعرفي بحيث تشمل تقديم توصيات لمتخذي القرار (على الصعيدين المحلي والقطري) من ناحية، وتوصيات عملية للحقل (المدارس، الكليات، الأهل) أينما أمكن من ناحية أخرى.
- تعزيز التفكير الجماعي وبناء كادر من الباحثين وإكسابه الأدوات والخبرة في

مجال التربية والسياسات اللغوية.

- انبثاق طاقم استراتيجي من متخذي القرارات العرب والباحثين والأخصائيين فيما يتعلق بمجال التربية والسياسات اللغوية لمتابع تنفيذ الخطوات المذكورة أعلاه.

اللغة العربية في إسرائيل هي لغة تمكين، ولغة الذاكرة الجماعية والهوية القومية فهي لغة حيّة ونابضة لها وجودها ويقاؤها على الرغم من التحديات التي تعصف بها، لا سيما من العولمة من جهة ومن العبرنة من جهة أخرى. ولكن التحديات توجب علينا مواجهتها من أجل الحفاظ على حيوية اللغة وحضورها. فهذا بحاجة إلى الأسس التالية:

الأساس الأول: تدويت أهمية اللغة العربية الفصحى، وتعزيز مواقف العرب الفلسطينيين الايجابية تجاه اللغة العربية، وإدراك الحقيقة بأن اللغة الفصحى صالحة وقادرة على أن تكون لغة عملية وفعّية، وهذا ضمن الأيدلوجية اللغوية.

الأساس الثاني: أن اللغة العربية العامية والعربية الفصحى ليست في حالة صراع، وإنما هي حالة من التنوع اللغوي، وعلى العربي أن يتقن الاثنتين لظروف ووظائف مختلفة وتكون الواحدة مكملّة للأخرى.

الأساس الثالث: توفير الظروف المساعدة لاستخدام العربية بأبعادها ومستوياتها المختلفة في جميع المجالات التي تؤثر على استخدام اللغة.

عرضنا في هذا الفصل من الكتاب إطارا نظريا أوليا لمواجهة التحديات، وأوردنا أمثلة عينية وعملية للبدء في عملية التغيير على المحاور الثلاثة. وما تبقى هو بناء مشاريع طموحة المدعومة باستراتيجيات وآليات من أجل بناء بيئة لغوية، تأخذ اللغة العربية الفصحى حيزاً في البيت والمدرسة والمؤسسات الأكاديمية، وفي جميع المؤسسات الخصوصية والعمومية. ومن نافلة القول، إذا حفظنا اللغة العربية حفظتنا، وأمنت لنا البقاء الكريم والازدهار.

المراجع بالعبرية والعبرية



أبو جابر، إبراهيم (2009). مقدمة في كتاب اللغة العربية في الداخل الفلسطيني بين التمكين والارتقاء. أم الفحم: مركز الدراسات المعاصرة. ص 5-6.

أبو غزالة، مروان (2009). مواقف اتجاه العربية، العبرية والانجليزية بين الطلاب العرب في جامعة حيفا. أطروحة ماجستير، جامعة تل-أبيب، قسم التربية. (بالعبرية)

إغبارية، أيمن (2010). سياسات تأهيل المعلمين العرب في إسرائيل واستحقاقات الهوية. الناصرة: لجنة قضايا التعليم العربي ودراسات-المركز العربي للحقوق والسياسات.

أماره، محمد (1988). ملاحظات حول الاحتكاك الحضاري بين اليهود والعرب في البلاد: تضميناته وتأثيراته الآنية والمستقبلية. المواكب 11 - 12: 5-10.

أماره، محمد (1997). العنف السياسي عند العرب في إسرائيل: دوافعها وميزاتها. مسح رقم 22، المعهد لبحث شؤون السلام، جفعات حبيبة. (بالعبرية)

أماره، محمد (2002). "اللغة العبرية عند العرب في إسرائيل: جوانب اجتماعية- لغوية". تعوداة 18: 85-100. (بالعبرية)

أماره، محمد (2005). نموذج ثنائية اللغة الخاص بجمعية يدا بيد. القدس: يدا بيد- مركز التربية العربي اليهودي في إسرائيل.

أماره، محمد (2006). العبرية وإسقاطاتها على المجتمع العربي الفلسطيني في إسرائيل. طمرة: ابن خلدون.

أماره، محمد (2006ب). إمّا نواة حقيقية، وإمّا لا حاجة إلى نواة. دان عنبر(محرر). عشية ثورة تربوتية. معهد فان لير في القدس وإصدار الكيبوتس الموحد، ص 195-202. (بالعبرية)

أمارة، محمد (2007). "العربية في ظل هيمنة العبرية"، في كتاب *الثقافة، الهوية والرؤيا*. وقائع مؤتمر الثقافة الفلسطينية في الداخل-ستون عاما على النكبة "التحدي والانتماء، الواقع والرؤيا". عكا: مؤسسة الأسوار للتنمية الثقافية والاجتماعية، تحرير وتقديم اياد برغوثي. ص 67-81.

أماره، محمد (2007). العبرية وتأثيرها على العرب-الفلسطينيين في إسرائيل. *قضايا إسرائيلية* 27: 62-75.

أمارة، محمد (2010أ). *المشهد اللغوي الفلسطيني في إسرائيل*. التقرير النهائي. حيفا: مجمع اللغة العربية.

أمارة، محمد (2010ب). *اللغة العربية في وثائق التصورات المستقبلية* *المجلة- مجمع اللغة العربية* 1: 17-22.

أمارة، محمد وأبو عقل، أحمد (1998). *الازدواجية في اللغة العربية والسياسة اللغوية في العالم العربي*. الرسالة، كلية بيت بيرل، العدد السادس، ص 289-308.

أمارة، محمد وكبها، سفيان (1996). *هوية منشطرة: تقسيم سياسي وانعكاسات اجتماعية في قرية منشطرة*. المعهد لبحث شؤون السلام، جفعات حبيبة. (بالعبرية)

أمارة محمد، ومصطفى كبها (محرران) (2005). *هوية وانتماء- مشروع المصطلحات الأساسية للطلاب العرب، جمعية ابن خلدون للبحث والتطوير، طمرة ومركز مكافحة العنصرية، حيفا*.

أمارة، محمد ومرعي عبد الرحمن (1999). *قضايا في سياسة التربوية اللغوية في المدارس العربية في إسرائيل*. المعهد لبحث شؤون السلام، جفعات حبيبة. (بالعبرية)

أمارة، محمد ومرعي عبد الرحمن (2002). "معاينة المنهاج التعليمي لتدريس العبرية والعربية للطلاب العرب". في: عاموس هوفمان ويسحاق شنيل (محرران). *قيم وأهداف في المناهج التعليمية*. ريبس دار النشر وكلية بيت بيرل 101-130. (بالعبرية)

أمارة، محمد ومرعي عبد الرحمن (2004). *سياسة التربية اللغوية تجاه المواطنين العرب في إسرائيل*، مركز الأدب العربي في كلية بيت- بيرل ودار الهدى كفر قرع.

أمارة، محمد ومرعي عبد الرحمن (2008). *اللغة في الصراع: قراءة تحليلية في المفاهيم اللغوية حول الصراع العربي الإسرائيلي*. كفر قرع وعمان: أ. دار الهدى ودار الفكر.

أمانة، محمد، عزائزة فيصل، ورحيل هيرتس- لزروفيرس واورا مور- زورفييلد (2008). تدريس اللغة العربية كلغة أجنبية في المدارس اليهودية الابتدائية في إسرائيل: تحديات وتوصيات. حيفا: جامعة حيفا، المركز اليهودي العربي. (بالعبرية)

أنيس، إبراهيم (1970). اللغة العربية بين القومية والعالمية. مصر: دار المعارف.

أوساتسكي- نزار، ساره (1990). مواقف عرب إسرائيل تجاه الدولة 1967-1949. أطروحة ماجستير، جامعة حيفا. (بالعبرية)

أوساتسكي- نزار، ساره (1993). أكرت ويرعم: الرواية الكاملة. مسح رقم 10، ألمعهد لبحث شؤون السلام، جفعات حبيبة. (بالعبرية)

أيزنيشتد، شموئيل (1989). المجتمع الإسرائيلي في تحولاته. إصدار ماجنس، الجامعة العبرية، القدس. (بالعبرية)

بلوي، السيد (1973). مستويات العربية المعاصرة في مصر. دار المعارف، القاهرة.

بلير، صالح (1990). مواقف وإطلاقة للغة الهدف والعلاقة بينهن وتجاه النجاح في اللغة الثانية؟ أطروحة ماجستير، جامعة تل أبيب. (بالعبرية)

برزيلاي، جاد (2005). "القانون الإسرائيلي، والقضاء الإسرائيلي والحقوق الجماعية للفلسطينيين في إسرائيل". في: أمل جمال (محرر). مداخلات حول الحقوق الجماعية والدولة القومية. حيفا: مدى الكرمل. ص: 54-68.

بروش، حيزي (1976). تأثير تعليم اللغة العربية المحكية في المدرسة الابتدائية على التحصيل في اللغة العربية الفصحى في الصف السابع في المرحلة الإعدادية. جامعة تل أبيب: أطروحة دكتوراه. (بالعبرية)

بروش، حيزي (1996) العلاقة بين اللغة المحكية واللغة المكتوبة في تدريس اللغة العربية في المدارس العبرية، دفييم، عدد 23 ص 64-75. (بالعبرية)

بروش، ح. وبن رفائيل، أ. (1994). السياسة اللغوية مقابل الواقع الاجتماعي: اللغة العربية في المدارس العبرية، عيونيم بحينوخ 60/59، 335-351. (بالعبرية)

بشارة، عزمي (1993). "عن قضية الأقلية الفلسطينية في إسرائيل"، تنوريا وبيكورت، رقم 3، ص 7-20. (بالعبرية)

- بشارة، عزمي (1998). الخطاب السياسي المبتور ودراسات أخرى، رام الله: مواطن- المؤسسة الفلسطينية لدراسة الديمقراطية.
- بشير، نبيه (2004). حول تهويد المكان. حيفا: مدى الكرمل.
- بشير، نبيه (2008). البلاد العربية وسلطاتها المحلية في إسرائيل: مسح شامل 2006. شفا عمرو: جمعية الجليل، مؤسسة ركان، وجمعية الأهالي.
- بلاو، يهوشع (1976). إحياء اللغة العبرية وإحياء اللغة العربية الفصحى. القدس: المجمع اللغوي العبري، القدس. (بالعبرية)
- بن أور، يهودا (1951). "التعليم العربي في إسرائيل، همزراح هحلاش، مجلد 3، 1:9، ص 8-1. (بالعبرية)
- بنبنشتي، ميرون (1997). "اخارطة العبرية". مجلة تيؤوريا وبيكورت، 11، ص: 27-29. (بالعبرية)
- بنبنشتي، ميرون (2001). المشهد المقدس: طمس تاريخ الأرض المقدسة منذ عام 1948. رام الله: مركز مدار.
- بيرس، يوحنان (1976). علاقة الطوائف في إسرائيل. جامعة تل أبيب، تل أبيب. (بالعبرية)
- بيرس، يوحنان وديفيس، نيرة (1968). "حول الهوية القومية للعرب الفلسطينيين في إسرائيل". همزراح هحلاش، عدد 18 (2-1): 106-111. (بالعبرية)
- بيرس، يوحنان والبخ افيشاي ويوفل ديفيس نيرة (1968). "التربية القومية للشبان العرب في إسرائيل: مقارنة مناهج تعليمية"، مجموت 16: 26-35. (بالعبرية)
- الجابري، محمد عابد (1993). "إشكالية الديمقراطية والمجتمع المدني في الوطن العربي"، مجلة المستقبل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، العدد 167، ص 9.
- جبران، سليمان (2009). علي هامش التجديد والتقييم في اللغة العربية المعاصرة. حيفا: مجمع اللغة العربية.
- جروسمان، دفيد (1992). حاضرون وغائبون. إصدار الكيبوتس الموحد. (بالعبرية)
- جمال، أمل (2005). "المواطنة كشكل من أشكال المقاومة: إطلالة أخرى على السياسة العربية في إسرائيل". في: نمر سلطاني (محرر). إسرائيل والأقلية الفلسطينية 2004. حيفا: مدى الكرمل. ص: 177-187.

- جمال، أمل (2005). تحرير. *مداخلات حول الحقوق الجماعية والدولة القومية*. حيفا: مدى الكرمل.
- الجمالي، فال (1996). *دفاعا عن العربية*. تونس: مؤسسة عبد الكريم بن عبد الله.
- الجميحي، عبد المنعم (1983). *مجمع اللغة العربية: دراسة تاريخية*. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- جميل، وجدي حسن (1998). *أم الفحم واللجون: رحلة عبر الزمن*. أم الفحم، د.ن.
- جميل، وجدي حسن (2006). *في دولة اليهود: أم الفحم واللجون، الجزء الثالث*. أم الفحم.
- الجندي، أنور (1982). *الفصحى لغة القران*. بيروت: دار الكتاب اللبناني.
- جويتون، ش. (1961) عن تدريس اللغة العربية، في يعقوب لاندو (محرر) *اللغة العربية كلغة أجنبية*. القدس: الجامعة العبرية، ص 11-34. (بالعبرية)
- جينات، يوسف (1989). "طرائق التصويت والتصرفات السياسية في الوسط العربي"، في يعقوب لاندو (محرر) *الصوت العربي في انتخابات 1988*. معهد القدس، القدس، ص 3-21. (بالعبرية)
- الحاج، ماجد (1996). *التعليم عند العرب في إسرائيل: الضبط والتغيير الاجتماعي*. القدس: إصدار ماجنس، الجامعة العبرية. (بالعبرية)
- الحاج، ماجد (2008). *الثبتات الروسي في إسرائيل*. رام الله: مركز مدار للدراسات الإسرائيلية.
- حامد، ردينه (2009). *التماس اللغوي بين العبرية والعربية في الصحافة العربية المطبوعة في إسرائيل*. أطروحة ماجستير، جامعة حيفا/ كلية الآداب، قسم النحو العبري. (بالعبرية)
- حبيبي، إميل (1989). *سداسية الأيام الستة*. المتشائل وقصص أخرى. دائرة الثقافة م.ت.ف ودائرة الثقافة الجديدة، طبعة خاصة القاهرة.
- حجازي، محمود فهمي (2000). "دور وسائل الاعلام في التنمية اللغوية"، *مجلة مجمع اللغة العربية في القاهرة*. 173-194.
- الحصري، ساطع (1959). *ما هي القومية؟ أبحاث ودراسات على ضوء الإحداث والنظريات*. بيروت: دار العلم للملايين.

- الحصري، ساطع (1961). *العروبة أولاً*. بيروت: دار العلم للملايين.
- الحصري، ساطع (1985). *أراء وأحاديث في القومية العربية*، جزء 7. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.
- حوراني، البرت (1968). *الفكر العربي في عصر النهضة*. بيروت: دار النهار.
- الحوت، بيان نويهض (1998). *القيادات والمؤسسات السياسية في فلسطين 1918-1948*. بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية.
- حيدر، علي (2007-8-22). *مصير أم الفحم كمصير الناصرة*.
- <http://www.ynet.co.il/articles/0,7340,L-3440396,00.html>
- حيدر، علي (2008-5-29). *اللغة العربية واثنية الدولة*.
- <http://www.pls48.net/default.asp?ID=29186>
- الخالدي، وليد (1998). *كي لا ننسى: قرى فلسطين التي دمرتها إسرائيل سنة 1948 وأسماء شهبانها*. بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية.
- الخطيب، حسام (1995). *اللغة العربية - إضاءة عصرية*. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- الخطيب، حسام (2009). *اللغة العربية.. تحديات عاصفة ومواجهة متواضعة*. مركز الجزيرة للدراسات.
- http://www.aljazeera.net/NR/exeres/C2D8EEC3-CA15-4D49-BA5E-A1BD7DDF8AB3_frameless.htm?
- خليفة، ع. (1977) *مجمع اللغة العربية في المؤتمر. اللسان العربي* 15 (3): 19-22.
- خوري، يوسف قزما (1991). *نجاح الأمة العربية في لغتها الأصلية*. بيروت: دار الحمراء.
- دانا، يوسف (1995). *اللغة العبرية من منظور اللغة العربية، التقاء بين لغات متقاربة*. الكلية العربية للتربية في إسرائيل، حيفا. (بالعبرية)
- الديباغ، مصطفى مراد (2006). *بلادنا فلسطين، الجزء السابع، القسم الثاني*. كفر قرع: دار الهدى.
- ديب، فرج الله صالح (2001). *معجم معاني وأصول وأسماء المملد والقري الفلسطينية*. بيروت: الدار الحمراء.

ريجنف، أ. (1989). عرب إسرائيل: قضايا سياسية. معهد القدس، القدس. (بالعبرية)

ريخس، ايله (1989). "عرب إسرائيل وعرب الضفة الغربية و غزة: علاقات سياسية وهوية قومية، همزراح هحماش 32، ص 165-191. (بالعبرية)

شلمون، شموئيل (1957). تدريس اللغتين: العبرية والعربية في المدارس العربية الابتدائية. مجموت، عدد 8: 93-97. (بالعبرية)

شلمون، شموئيل (1968). اللغة العربية: تدريسها كلغة أم. الموسوعة التربوية، العدد الثاني ص 702-725. (بالعبرية)

شليزنجر، يسحاق وآخرون 1996. إضفاء التمييز الصوتي في الترتيب اللغوي في إعداد المعلمين. معهد موفيت وكلية ليفنسكي/ إصدار كيلم، تل أبيب. (بالعبرية)

شمّاس، أنطوان (1995). الصباح التالي: "الفلسطينيون الإسرائيليون وباقي خلجات القلب. ايله ريخس وتमार ياجنس (محرران). السياسة العربية في إسرائيل - على مفترق الطريق. تل أبيب: مركز موشيه ديان لدراسة الشرق الأوسط وأفريقيا، جامعة تل أبيب، ص 19-31. (بالعبرية)

شوهاي، ايلانه (1996). قضايا في السياسة اللغوية في إسرائيل: لغة وأيدولوجية". دافيد حين (محرر). وضعيّة التعليم عشية القرن الواحد والعشرين، جامعة تل أبيب، ص 249-256. (بالعبرية)

شوهاي، ايلانه، عنبار عوفره، ودونيسا شميدت (1999). تأثير تدريس اللغة العربية المحكية على مواقف، دوافع ونتائج: بحث عرض في الندوة في موضوع تدريس اللغة العربية المحكية في المدارس الابتدائية. تل أبيب: نتائج واستنتاجات وتصور مستقبلي بعد بحث ميداني ذات ثلاث سنوات. تل أبيب: جامعة تل أبيب. (بالعبرية)

سبان، ايلان. (1999). خيار حدود النمط الصهيوني، في: أوساتسكي لزار وآخرون (محررون). الطرق السبعة: الاقتراحات نظرية لمكانة العرب في إسرائيل. المعهد لبحث شؤون السلام، جفعات حبيبية، ص 79-122. (بالعبرية)

سبان، ايلان (2000). المكانة القانونية للأقليات في الدول الديمقراطية المتصدعة: الأقلية العربية في إسرائيل والأقلية الفرنسية في كندا. أطروحة دكتوراه. الجامعة العبرية القدس. (بالعبرية)

سبان، ايلان وأمارة محمد (2004). مكانة اللغة العربية في إسرائيل: القانون، الواقع وإمكانات استعمال القانون لتغيير الواقع. دولة ومجتمع 4 (1) 885-910. (بالعبرية)

سروري، حبيب عبد الرب (2009) اللغة العربية في مهبط العولمة.. مشروع إنهاء. مركز الجزيرة للدراسات.

<http://www.aljazeera.net/NR/exeres/DCE0EED6-0694-4C2C-AD1235-B9E47C2860,frameless.htm?>

سعدى، أحمد (2003). الناكرة والهوية. الكرمل: مركز الجليل للأبحاث الاجتماعية، سلسلة مقالات وأبحاث.

سعيد، ادوارد (1993). الثقافة والامبريالية. بيروت: مؤسسة الأبحاث العربية.

سليمان، رمزي (1999). "حول الهوية الجماعية للفلسطينيين في إسرائيل. عيونهم بحدود 4 1. 186-171. (بالعبرية)

سموحة، سامي (1999). حكم ذاتي (اتونوميا) للعرب في إسرائيل. القدس: مركز دراسات المجتمع العربي.

شمغار، مثير (2005). دستور بالوفاق. القدس: المعهد الإسرائيلي الديموقراطية. (بالعبرية)

صلاح، رائد (2009) في كتاب اللغة العربية في الداخل الفلسطيني بين التمكين والارتقاء. أم الفحم: مركز الدراسات المعاصرة. ص 7-10.

غانم، أسعد ومصطفى، مهند (2009). الفلسطينيون في إسرائيل: سياسات الأقلية الأصلية في الدولة الإثنية. رام-الله: مدار.

الغزالي، محمد (1998). حقيقة القومية العربية وأسطورة البعث العربي. القاهرة: نهضة مصر.

العالم، محمد أمين (محرر) (1997). لغتنا العربية في معركة الحضارة (عدد خاص من القضايا الفكرية). القاهرة: قضايا فكرية للنشر والتوجيه.

عبد الحى، محمد (2005). الظاهرة اللغوية: الأصل والتطور والمستقبل. أبو ظبي: المركز الثقافي الإعلامي.

عبد الحى، محمد (2009). اللغة العربية بين الخطر الخارجي والتهميش الداخلي: مركز الجزيرة للدراسات.

<http://www.aljazeera.net/NR/exeres/58679E86-DBDE-45A6-91E15803-E93946EB,frameless.htm?>

عبد الكريم، إبراهيم (2001). تهويد الأرض وأسماء المعالم الفلسطينية. دمشق: اتحاد الكتاب العرب.

- عدالة (2000). سجل فعاليات، 1997-2000. (بالعبرية)
- عزّاف، شكري (1992). المواقع الفلسطينية بين عهدين/ خريطتين. كفر قرع: مطبعة الشرق العربية.
- فروخ، عمر (1961). القومية الفصحى. بيروت: دار العلم للملايين.
- فريحة، أنيس (1955). نحو لغة عربية سهلة. دار الثقافة، بيروت.
- فريحة، أنيس (1959). تبسيط قواعد اللغة العربية على أسس جديدة: اقتراح ونموذج. بيروت: الجامعة الأمريكية.
- فريحة، أنيس (1966). في اللغة العربية وبعض مشكلاتها. بيروت: دار النهار للنشر.
- فينتر، ميخائيل (1981). "مشاكل أساسية في الجهاز التعليمي، في أهرون نيش (محرر). العرب في إسرائيل: تحديات وتحولات. القدس: إصدار ماجنس، الجامعة العبرية، ص 168-179. (بالعبرية)
- كها، مصطفى (2004). تحت عين الرقيب: الصحافة الفلسطينية ودورها في الكفاح الوطني بين الحربين العالميتين. مركز دراسات الأدب العربي - بيت بيرل. أ. دار الهدى - كفر قرع.
- كها، مصطفى (2006). نحو صياغة رواية تاريخية للنكبة: إشكاليات وتحديات. حيفا: مدى الكرمل.
- كتاب، أ. (1992). مشاركة المرأة الفلسطينية في انتفاضة لحركة التحرير الوطني، في ش. سبيرسكي وإيلان باه (محرران) الانتفاضة رؤية داخلية. إصدار مفراش. تل أبيب 273-309. (بالعبرية)
- كنفاني، غسان (1986). الأدب الفلسطيني المقاوم تحت الاحتلال 1948-1968. بيروت: مؤسسة الدراسات العربية.
- كريشمير، دافيد (2002). المكانة القانونية للعرب في إسرائيل. القدس: مركز دراسات المجتمع العربي.
- كوبليش، عمونيل (1974). "التعليم في الوسط العربي: حقائق ومشاكل" في أوريमान (محرر) التعليم في إسرائيل. وزارة التربية والتعليم، القدس، ص 323-334. (بالعبرية)
- كوهين، أفنر (1968). "تدريس اللغة العبرية لطلاب العرب في إسرائيل". الموسوعة التربوية، مجلد 2، القدس، ص 663-676. (بالعبرية)
- كوهين، رعان (1989). في خضم الانتماءات: مجتمع وسياسة في الوسط العربي. إصدار عام عوفيد، تل أبيب. (بالعبرية)

كوهن، هليل (2006). عرب جيدون - المخابرات الإسرائيلية والعرب في إسرائيل: وكلاء ومشغلون، متعاونون ومتمردون، أهداف وأساليب، عبريت وكيترا، القدس. (بالعبرية)

كيمرينك، ب. (1993). "علاقات الدولة والمجتمع في إسرائيل"، في أوري رام (محرر)، المجتمع الإسرائيلي: وجوه نقدية، 328-350. تل أبيب: إصدار بريوت. (بالعبرية)

الكيالي، عبد الوهاب (1993). تاريخ فلسطين الحديث. بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية.

كيدمان، نوغا (2008). على جنبات الطريق وعلى هامش الوعي. القدس: إصدار سفري نوفمبر (بالعبرية).

لانداو، يعقوب (1971). العرب في إسرائيل: بحوث سياسية. معرخوت، وزارة الأمن، تل أبيب. (بالعبرية)

لانداو، يعقوب (1989). الصوت العربي في انتخابات الكنيست 1988. معهد القدس، القدس. (بالعبرية)

لانداو، يعقوب (1993). الأقلية العربية في إسرائيل 1967-1991: جوانب سياسية. إصدار مكتبة اشكولوت وعام عوفيد، تل أبيب. (بالعبرية)

ليني، أ. وبيسترنك، ش. (1976). اللغة العربية المحكية في المدارس العبرية في إسرائيل: وجهات نظرون نتائج. قسم التربية، جامعة تل أبيب. (بالعبرية)

ليني، أ. وميرو، أ. (1995). الامتحان القطري في اللغة العربية: تحصيل وجوانب في تدريس الموضوع. قسم التربية، جامعة تل أبيب. (بالعبرية)

لين، أمنون (1980). اقتراح لنهج سياسة الدولة عند العرب في إسرائيل. مقدم للجنة الخارجية والأمن في الكنيست، القدس. (بالعبرية)

مثير، توماس (1989). صحوة المسلمون في إسرائيل. كفر قرع: دار الهدى.

مجمع اللغة العربية (1964). مجمع اللغة العربية في ثلاثين عاما 1932-1962. القاهرة: مجمع اللغة العربية.

مرعي، سامي (1974). المدرسة والمجتمع في القرية العربية "عيونيم بحينو، مجلد رقم 4، ص 85-104. (بالعبرية)

مرعي، عبد الرحمن (1997). تعليم العبرية كلغة ثانية في المدارس العربية. الرسالة، كلية بيت بيرل، العدد السادس، ص 71-83.

مرعي، عبد الرحمن (1998). مكانة اللغتين العربية والعبرية في الماضي والحاضر. الرسالة، كلية بيت بيرل، العدد السابع، ص 257-276.

مرعي، عبد الرحمن (2002). تأثير العبرية على اللغة العربية. الرسالة، العددان الحادي عشر والثاني عشر-129 156.

مرعي، عبد الرحمن (2006). عبرة أسماء البلدات والمواقع الفلسطينية: انعكاس وامتداد للصراع الإسرائيلي الفلسطيني. طمرة: جمعية بن خلدون.

مرعي، عبد الرحمن (2010). العربية والعبرية في الماضي والحاضر: دراسة مقارنة في تطور اللغتين والتفاعل بينهما. باقة الغربية: مجمع القاسمي للغة وآدابها، أكاديمية القاسمي.

مصطفى، إبراهيم (1959). إحياء النحو. القاهرة: لجنة التأليف والترجمة والنشر (الطبعة الأولى 1937).

مصطفى، عادل (2009). مقدمة: تجليد لا تبليد في كتاب سليمان جبران، علي هامش التجليد والتقييد في اللغة العربية المعاصرة. حيفا: مجمع اللغة العربية. ص 9-23.

مصطفى، مهنا وسعد غانم (2005). التنظيم السياسي لدى الفلسطينيين في إسرائيل. طمرة: جمعية ابن خلدون.

مصطفى، مهنا وصالح لطفي (2007). "القدس في الأدبيات العلمية الإسرائيلية". في مجموعة مؤلفين. القدس والمسجد الأقصى 40 عاما على الاحتلال. أم الفحم: مركز الدراسات المعاصرة. ص: 43-58

موسى، سلامة (1964). البلاغة العصرية واللغة العربية. سلامة موسى للنشر والتوزيع (الطبعة الأولى سنة 1945).

النحوي، عدنان علي رضا (1998). لماذا اللغة العربية؟ رياض: دار النحوي للنشر والتوزيع.

هشاحر، أيلت وهراتي، نيرا (2002). العمال الأجانب واللغة في إسرائيل. في كتاب اللغة والهوية في إسرائيل، تحرير محمد أمارة. رام الله: مدار- المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية. ص 205-235.

وزارة التربية والتعليم (1980). المناهج التعليمية لتدريس اللغة العبرية في المدارس الابتدائية، الإعدادية والثانوية. قسم المناهج التعليمية، القدس. (بالعبرية)

وزارة التربية والتعليم والثقافة (1996). الطرائق البديلة في التدريس- بين النظرية والتطبيق، مقالات مختارة. الكلية العربية للتربية في إسرائيل، حيفا.

وزارة التربية (2008). التربية اللغوية العربية: لغة، أدب، ثقافة للمدارس الابتدائية- الصفوف أول- سادس.

يسرائيلي، رافي (1981). "حول مسألة الهوية عند العرب في إسرائيل. في: ألوف هاز افن (محرر). واحد من بين ستة إسرائيليين. القدس: معهد فان نير، إصدار مساد، ص 179-184. (بالعبرية)

اليسوعي، رفائيل نخلة (1960). غرائب اللغة العربية. بيروت: دار المعارف الكاثوليكية.

يفتحليل، اورن (1999). "ديمقراطية أم اثنوقراطية: الأرض وسياسات الاستيطان في إسرائيل-فلسطين". رؤى مغايرة. العدد السادس. 3-14.

يقين، سعيد (2008). الحركة الصهيونية وخطر التصفية والتزوير الحضاري والتاريخي في منطقة القدس. القدس: جمعية القدس للدراسات والبحوث الإسلامية.

يوناي، ي. (1992). اللغة العربية في المدارس العبرية. القدس: وزارة التربية والتعليم. (بالعبرية)

الوثائق الأربع

اللجنة القطرية لرؤساء السلطات المحلية العربية في إسرائيل (2006). "التصور المستقبلي للعرب الفلسطينيين في إسرائيل."

مدى الكرم (2007). "وثيقة حيفا"

مركز "عدالة" - المركز القانوني للمواطنين العرب في إسرائيل (2007). "الدستور الديمقراطي."

مركز "مساواة" لحقوق المواطنين العرب في إسرائيل (2006). "دستور متساو للجميع" (كتبه الحقوقي د. يوسف جبارين)

الصحف العربية والعبرية

الأهرام، 1-1-2003

السفير: 15-5-2008

الصنارة: 7-11-1995؛

فصل المقال: 10-10-2008

كل العرب: 11-11-1995.

معاريف: 2005-1-5

هآرتس: 1969-4-4 ، 2006-11-30 ،

يديعوت احرونون: 1994-12-15

القنوات التلفزيونية

الجزيرة- برنامج "الشريعة والحياة" بعنوان "مستقبل اللغة العربية وتحدياتها" مع فضيلة الدكتور الشيخ يوسف القرضاوي. 2007-2-28.

[http://www.aljazeera.net/Channel/archive/
archive?ArchiveId=1058570](http://www.aljazeera.net/Channel/archive/archive?ArchiveId=1058570)

المراجع بالانجليزية

Abou Seida, A. (1972). *Diglossia in Egyptian Arabic: Prolegomena to Pan-Arabic Socio-Linguistic study*. Dissertation Abstracts International, 33, 739A-40A

Abu-Rabi'a, Salim (1996). Learning Hebrew in Israel: The relationship of attitudes, cultural background, and interest of material to reading comprehension in a second language. *Journal of Multilingual and Multicultural Development* 17, (5), 1-12.

Agbaria, A. (2007). *Framing Globalization in the social Studies Education Discourse Community between 1990 and 2005 in the U.S.* VDM Verlag Dr. Muller.

Alexandre, P. (1963). Les problemes linguistiques Africains vus de Paris, in J. Spencer (ed.), *Language in Africa*. Cambridge: Cambridge University Press, 35-69

Al-Haj, Majid (1993). The Impact of the Intifada on the Orientation of the Arabs in Israel : The case of Double Periphery, in Akiba Cohen and Gadi Wolsfeld (eds.). *Framing the Intifada: Media and People*. Norwood Ablex Publishing Corporation, pp64-75 .

Al-Haj, M. (1995) *Education, Empowerment and Control: The Case of the Arabs in Israel*. Albany: University of New York Press.

Al-Haj, Majid and Leshem, Elazar (2000). *Immigrants from the Former Soviet Union in Israel: Ten Years Later. A Research report*. University of Haifa: The Center for Multiculturalism and Educational Research.

Amara, Muhammad (1985). *Language use of households where townswomen got married with villagers in Zalafa*. Unpublished paper, English Department, Bar-Ilan University.

Amara, Muhammad (1986). *The Integration of Hebrew and English Lexical Items into the Arabic Spoken in an Arab Village in Israel*. MA Thesis, Bar-Ilan University Ramat-Gan.

Amara, Muhammad (1991). *Sociolinguistic Aspects of Variation and Change: A Study of the Languages Spoken in an Arab Village in Israel*. Ph.D. Dissertation, Bar-Ilan University, Ramat-Gan.

Amara, Muhammad (1995). Hebrew and English lexical reflections of socio-political changes in Palestinian Arabic. *Journal of Multilingual and Multicultural Development*. 16, 3: 165-72.

Amara, Muhammad (1996). The Nature of Islamic Fundamentalism in Israel. Terrorism and Political Violence, Vol. 8: 2. Special Issue *on Religious Radicalism in the Middle East*. Edited by Maddy-Weizman B., and Inbar I., Frank Cass Press, pp. 155-170

Amara, Muhammad (1999a). *Politics and Sociolinguistic Reflexes: Palestinian Border Villages*. Amsterdam and Philadelphia : John Benjamins Co.

Amara, Muhammad (1999b). Hebrew and English Borrowings in Palestinian Arabic in Israel: A Social Linguistic Study in Lexical Integration and Diffusion. In *Language and Society in the Middle East and North Africa: Studies in Variation and Identity*. Yasir Suleiman ed., London: Curzon Press, pp. 81-103.

Amara, Muhammad (2001). Arab Language Education in the Hebrew State. In *New Perspectives and Issues in Educational Language Policy*, edited by R. L. Cooper, E. Shohamy and J. Walters. John Benjamins: Amsterdam/ Philadelphia. Pp. 155-170.

Amara, Muhammad (2002). The place of Arabic in Israel. *International Journal of the Sociology* 158: 53-68.

Amara, Muhammad (2003a). The Collective Identity of

the Arabs in Israel in the Era of Peace. *Israel Affairs* 1&2: 249-62.

Amara, M.H. (2003b). Recent foreign language education policies in Palestine. *Language Problems and Language Planning* 27 (3): 217-231.

Amara, Muhammad (2006). The Vitality of the Arabic Language in Israel from a Sociolinguistic Perspective. *Adalah's Newsletter*, Volume 29, October 2006. Pp 1-10.

Amara, Muhammad (2007). Teaching Hebrew to Palestinian Pupils in Israel. *Current Issues in Language Planning* 8 (2): 243-257

Amara, Muhammad (2009). The Hand in Hand Bilingual Education Model: Vision and Challenges. In *The Multicultural Challenge in Israel*, edited by Avi Sagi and Ohad Nachtomy. Boston: Academic Studies Press. Pp.72-91.

Amara, M., Azaiza, F., Hertz-Lazarowitz, & Mor-Sommerfeld, A. (2009). A New Bilingual Education Model in the Conflict-Ridden Israeli Reality: Language Practices. *Language and Education* 23 (1): 15-35

Amara, M. and Mari, A. (2002). *Language Education Policy: The Arab Minority in Israel*. Dordrecht, Netherlands: Kluwer Academic Publishing.

Amara, M.H. & Spolsky, B. (1986). The diffusion and integration of Hebrew and English lexical items in the Arabic spoken in an Israeli village. *Anthropological Linguistics* 28, 1: 43-58.

Amara, M.H. & Spolsky, B. (1996). The construction of identity in a divided Palestinian village. In *Language and Identity in the Middle East and North Africa*. Yasir Suleiman ed. London: Curzon Press, pp. 81-100.

Amara, M.H., Spolsky, B. & Tushyeh, H. (1999b).

Sociolinguistic Reflexes of Socio-political Patterns in Bethlehem: Preliminary Studies. In *Language and Society in the Middle East and North Africa: Studies in Variation and Identity*. Yasir Suleiman ed., London: Curzon Press, pp. 54-80.

Anderson, Benedict R (1991). *Imagined Communities: Reflections on the Origin and Spread of Nationalism*. Second Edition. London and New York :Verso.

Appel, R., and P. Muysken (1987). *Language Contact and Bilingualism*. London: Arnold.

Barth, Fredrik (ed.) (1970). *Ethnic Groups and Boundaries*. London: Allen and Unwin.

Baker, Colin (1993). *Foundations of Bilingual Education and Bilingualism*. Clevedon, England: Multilingual Matters.

Bar-Gal, Y. (1989). Cultural-geographical aspects of street names in the towns of Israel. *Names*, 37(4), 329-344.

Bassiouney, Reem (2009). *Arabic Sociolinguistics*. Edinburgh: Edinburgh University Press.

Benrabah, M. (2007a). Language-in-education planning in Algeria: Historical development and current issues. *Language Policy* 6: 225-52.

Benrabah, M. (2007b). The language planning situation in Algeria. In R. B. Kaplan and R. B. Baldauf (eds.), *Language Planning and Policy in Africa*, Vol. 2: Algeria, Cote d'Ivoire, Nigeria, and Tunisia. Clevedon: Multilingual matters. Pp 15-35.

Ben-Rafael, E. (1994). *Language, Identity and Social Division: The Case of Israel*. London: Oxford Studies in Language Contact.

Ben-Rafael, E., Shohamy, M., Amara & Trumper-Hecht,

Nira (2004). *Linguistic Landscape and Multiculturalism: A Jewish Arab Comparative Study*. The Tami Steinmetz Center for Peace Research.

Ben-Rafael, E., Shohamy, M., Amara & Trumper-Hecht, Nira (2006). Linguistic Landscape as a Symbolic Construction of the Public Space: The Case of Israel. *International Journal of Multilingualism* 3(1): 7-30.

Bentahila, Abdelâli (1983). *Language Attitudes among Arabic-French Bilinguals in Morocco*. Clevedon, Avon: Multilingual Matters Limited.

Bhagwati, Jagdish (2004). *In Defense of Globalization*. Oxford, New York: Oxford University Press

Bosch, Barbara (2000). Ethnicity markers in Afrikaans. *International Journal of the Sociology of Language* 144: 51-68.

Bourdieu, Pierre (1990). *The Logic of Practice*. Cambridge: Polity Press.

Bourdieu, Pierre (1991). *Language and Symbolic Power*. Cambridge: Harvard University Press.

Cadora, F. J. (1975). The teaching of spoken and written Arabic. *Language Learning*, 15, 133-6.

Castells, M. (2004). Migration, citizenship, and education. In J. A. Banks (Ed.), *Diversity and citizenship education: Global perspectives* (pp. 17-48). San Francisco: Jossey-Bass.

Cobb Sara (1994). *A narrative Perspective on mediation: toward the Materialization of the "storytelling" Metaphor, in New direction in mediation, Research and perspective*

Cooper, R. L. (1989). *Language Planning and Social Change*. Cambridge: Cambridge University Press.

Cooper, R and Fishman, J (1977). "A study of language attitudes". In: Fishman, R. and Cooper, R. and Conrad, A. (Eds.). *The spread of English, The Sociology of English as an Additional Language*. Rowley, Mass, pp: 239-276.

Crystal, D. (2003). *English as a Global Language* (2nd edition). Cambridge; Cambridge University press.

Daghash, Y. (1993). *Attitudes Toward Hebrew-Arabic Mixing among Arabic-Speaking Druze High Schools in Israel*. Unpublished MA Thesis. California State University, Los Angeles.

De Kadt, Elizabeth (2000). "In with heart and soul": the German speakers of Wratburg. *International Journal of the Sociology of Language* 144: 69-94.

Deutsch, Karl (1966). *National and Social Communication.: An Inquiry into the Foundations of Nationality*, 2nd edn. Cambridge, MA: MIT Press.

Edwards, John 1988. Bilingualism, education and identity. *Journal of Multilingual and Multicultural Development* 9 (1): 203-10.

Elbaum-Dror, R. (1986). *Hebrew Education in Palestine*. Jerusalem: Yad Ben-Zvi.

Elhanan-Granik, A. (2001). *Israeli Foreigner Talk: Employers' Verbal Communication with Guest Workers from Romania and Thailand*. Ramat-Gan: Bar-Ilan University. M.A. thesis.

Elgibali, Alla 1988. The language situation in Arabic speaking nations. In Paulston, C. Bratt (Ed.), *International Handbook of Bilingualism and Bilingual Education*. Connecticut: Greenwood Press.

Esteva, G., & Prakash, M. S. (1998). *Grassroots post-modernism: Remaking the soil of cultures*. London: Zed Books.

Evan Chorev, Nadav (2008). *Arab NGOs for Civic and Social Change in Israel: Mapping and Field*. Jerusalem: The Van Leer Jerusalem Institute.

Fen Olser, Hampson, Pamela R. Aall, Chester A. Crocker (2002). "Conflict Unending: Intractable Conflicts and the Challenge of Mediation" (Presented at the ISA, 2002).

Ferguson, C.A. (1959). Diglossia. *Word*, 15, 325-40.

Ferguson, C.A (1990). 'Come forth with a Sura like it': Arabic as a measure of Arab Society. In Mushira Eid (ed.), *Perspectives on Atrabic Linguisitcs I: papers from the First Annula Conference of Arabic Linguisitcs*. Amsderdam and Philadelphia: John Benjamins Publishing Company, pp. 39-51.

Fernandes, mauro (1993). *Diglossia: A Comprehensive Bibliography 1960-1990, and Supplement*. Amsderdam and Philadelphia: John Benjamins Publishing Company

Feuerverger, Grace (1989). Jewish-Canadian and non-native language learning: A social-psychological study. *Journal of Multilingual and Multicultural Development* 10 (4): 327-57.

Fishman, J.A. (1977). Language and ethnicity in intergroup relations. In *Language, Ethnicity and Ingroup relations*, edited by H. Giles. London: Academic Press. Pp. 16-53.

Fishman, J. A. (1991a). The Hebraist response to the Tschernovits Conference. In A.S. Kaye (Ed.), *Semitic Studies in Honor of Wolf Leslau on the Occasion of his Eighty-Fifth Birthday*. Wiesbaden: Otto Harrassowitz.

Fishman, J. A. (1991b). *Yiddish: Turning to Life*. Amsterdam and Philadelphia: John Benjamins.

Fishman, J.A, (2002). Endangered minority languages:

Prospects for sociolinguistic research. *International Journal on Multicultural Societies* 4(2): 1-9.

Friedman, T. L. (1999). *The Lexus and the olive tree*. New York: Farrar Straus & Giroux.

Fukuyama, F. (1992). *The End of History and the Last Man*. New York: Longman.

Gardner, Robert and Wallace Lambert (1959). Motivational variables in second language acquisition. *Canadian Journal of Psychology* 13: 266-272.

Gardner, Robert and Wallace Lambert (eds.) (1972). *Attitudes and Motivation in Second-Language Learning*. Rowley Ma.: Newbury House.

Ghanem, As'ad (2001). *The Palestinian Arab Minority In Israel: A Political Study*. Albany university of New York press.

Giles, H., Bourhis, R.Y. and Taylor, D.M. (1977). Towards a theory of language in ethnic group relations. In H. Giles (ed.), *Language, Ethnicity and Ingroup relations*. London: Academic Press.

Giles, H., Bourhis, R.Y. and Taylor, D.M. (1977). "Towards a Theory of Language in Ethnic Group Relations." In H. Giles, (ed.) *Language, Ethnicity and Inter-group Relations* (pp. 307-343). New York: Academic Press.

Giles, H. and P. Johnson (1987). Ethnolinguistic identity theory: A social psychological approach to language maintenance. *International Journal of the Sociology of Language* 68: 256-269.

Goitein, Shlomo Dov (1961). On teaching Arabic. In Yaakov Landau (Ed.) *Teaching Arabic as a Foreign Language* (pp. 11-34). Jerusalem. (Hebrew)

Gorter, Durk (ed.) (2006). *Linguistic Landscape: A new*

Approach to Multilingualism. *International Journal of Multilingualism* Vol 3: 1. (A special Issue)

Grimes, Barbara F. (ed.) (2000). *Ethnologue: Languages of the World*. 14th edn. Volume 1. Dallas, Texas: Summer Institute of Linguistics.

Haarmann, Harald (1999). History. In *Handbook of Language and Ethnic Identity*, edited by Joshua A. Fishman. Oxford University Press. Pp. 60-76.

Halprin, Liora R (2006). Orienting language: reflections on the study of Arabic in the Yishuv. *The Jewish Quarterly Review* (Fall) 96 (4): 481-489.

Hamarshy, Heba (2008). *Arabic language Instruction in Israeli Universities: Policy and practice*. Unpublished MA Thesis bar-Ilan University, English department, Israel, Ramat-Gan.

Hary, Benjamin (1996). The importance of language continuum in Arabic diglossia. In Alaa Elgibali (Ed.), *Understanding Arabic* (pp. 69-90). Cairo: The American University in Cairo Press.

Har-Shav, Benjamin (1993). *Language in Time of Revolution*. Berkeley: University of California Press.

Hallel, Michael and Spolsky, Bernard (1993). The teaching of additional languages in Israel. *Annual Review of Applied Linguistics*, 13, 37-49.

Haeri, N. (2003). *Sacred Language, Ordinary People: Dilemmas of Culture and Politics in Egypt*. New York and Basingtoke: Palgrave Macmillan.

Hary, Benjamin (1996). The importance of language continuum in Arabic diglossia. In Alaa Elgibali (Ed.), *Understanding Arabic* (pp. 69-90). Cairo: The American University in Cairo Press.

Higa, M. (1974). Sociolinguistic aspects of borrowing.

In Sociolinguistics in *Language Contact*, edited by William Mackey. The Hague: Mouton. Pp 277-92.

Hobsbawm, Eric J. 1992. *Nations and Nationalism since 1780: Programme, Myth, Reality*. Cambridge: New York :Cambridge University Press.

Holes, Clive (1995). *Modern Arabic: Structures, Functions, and Varieties*. London and New York: Longman.

Hourani, Albert (1983). *Arabic Thought in the Liberal Age, 1789-1939*. Cambridge: Cambridge University Press

Hudson, Allan (1992). Diglossia: A Bibliographic review. *Language in Society*, 21: 611-74.

Hussein, Riad Fayez Issa (1980). *The case of Triglоссия in Arabic with Special Emphasis on Jordan*. State University of New York: PhD. Thesis.

Jabareen, Yousef . T. (2006a). Law, Minority and Transformation: A Critique and Rethinking of Civil Rights Doctrines, 46 *Santa Clara Law Review* 513-565.

Jabareen, Yousef .T. (2006b) Law and Education: Critical Perspectives on Arab Education in Israel, *American Behavioral Scientist* 49(8):1052-1074.

Jabareen, Yousef T. (2008a) Constitution Building and Equality in Deeply-Divided Societies: The Case of the Arab Minority in Israel, 26 *Wisconsin International Law Journal* 345-401.

Jabareen, Yousef .T. (2008b). Toward Participatory Equality: Protecting Minority Rights under International Law 41 *Israel Law Review* 635-676.

Jamal, Amal (2008). "The Counter-Hegemonic Role of Civil Society: Palestine-Arab NGOs in Israel".

Citizenship Studies, 12:3, 283-306.

Katz, Y. (1995). Identity, Nationalism, and Place Names: Zionist Efforts to Preserve the Original Local Hebrew Names in Official Publications of the Mandate Government of Palestine. *Names*, 43, (2), 103-118.

Kay, Alan (1972). Remarks on diglossia in Arabic: Well-formed vs. ill-defined. *Linguistics*, 81 : 32-48.

Kay, Alan (1994). Formal vs. informal in Arabic: Diglossia, teraglossia, etc.: Polyglossia-multiglossia viewed as a continuum. *Zeitschrift für arabische Linguistik*, 27: 47- 66.

Kay, Alan (2001). Diglossia: the state of the art. *International Journal of the Sociology of Language*, 152: 117-29.

Koplewitz, I. (1989). The Use and Integration of Hebrew Lexemes in Israeli Spoken Arabic. *Multilingual Matters* 71: 181-195.

Koplewitz, Immanuel (1992). Arabic in Israel: The sociolinguistic situation of Israel's Arab minority. *International Journal of the Sociology of Language*, 98, 29-66.

Kraemer, R. (1990). *Social psychological factors related to the study of Arabic among Israeli high school students*. Ramat-Aviv: Ph.D. Dissertation, School of Education, Tel-Aviv University.

Kraemer, R. & Olshtain, E. (1994). The social context of second language learning in Israel schools. *Israel Social Science Research*, 9(1& 2), 161_80.

Kretzmer, David. 1990. *The Legal Status of the Arabs in Israel*. Boulder: Westview Press.

Kymlicka, W. (1995). *Multicultural Citizenship*. New York: Oxford University Press.

Lambert, Wallace, Lambros Mermigis, and Donald M. Taylor (1986). Greek Canadian's attitudes toward own group and other Canadian ethnic groups. *Canadian Journal of behavioral Science* 18: 35-51.

Landau, Jacob. 1987. "Hebrew and Arabic in the State of Israel: political aspects of the language issue". *International Journal of the Sociology of language* 67. 117-133.

Landry, R. And Bourhis, R.Y.(1997) Linguistic Landscape and Ethnolinguistic Vitality: An Empirical Study. *Journal of Language and Social Psychology*, 16(1), 23-49.

Lehman-Wilzig, Sam (1993). Copying the master? Patterns of Israeli Arab protest 1950-1994. *Asian and African Studies*, 27, 129-147.

Leibkind, Karmela (1999). Social psychology. In *Handbook of Language and Ethnic Identity*, edited by Joshua A. Fishman. Oxford University Press. Pp. 141-151.

Lustick, Ian (1980). *Arabs in the Jewish State: Israel's Control over a National Minority*. Austin: University of Texas.

Mayer, Thomas 1988. *The Awakening of Muslims in Israel*. Giv'at Haviva: The Institute for Arabic Studies. (In Hebrew)

McFerren, M. (9994). *Arabization in the Maghreb*. Washington, D.D.: Center for Applied Linguistics.

Meiseles, Gustav (1975). *Oral Literary Arabic: Its main Features in Speech and Reading*. PhD Dissertation, The Hebrew University of Jerusalem. (Hebrew).

Mitchell, T.F. (1986). What is educated spoken Arabic?. *International Journal of the Sociology of Language*, 61, 7- 32.

Montville, Joseph (1993). "The healing function of political conflict resolution". In Dennis J.D. Sandole and Hugo van der Merwe, (editors) *Conflict resolution in theory and Practice*, Manchester University Press.

Philipson, R. (1992). *Linguistic Imperialism*. Oxford: Oxford University Press.

Ohmae, K. (1990). *The borderless world*. London: Harper Collins.

Olssen, M., O'Neill, A. M., & Codd, J. A. (2004). *Education Policy: Globalization, Citizenship and Democracy*. Thousand Oaks, CA: Sage.

Pilowsky, Arye L. (1985) Yiddish alongside the revival of Hebrew: Public polemics on the status of Yiddish in Eretz Israel, 1907-1929. In J. A. Fishman (Ed.), *Readings in the Sociology of Jewish Languages* (pp. 104-24). Leiden: Brill.

Pinto, Meital (2007). On the intrinsic value of Arabic in Israel- Challenging Kymlicka on language rights. *Canadian Journal of Law and Jurisprudence* XX.(1): 1-30.

Pinto, Meital (2009). Who is afraid of language rights in Israel? In *The Multicultural Challenge in Israel*, edited by Avi Sagi and Ohad Nachtomy. Boston: Academic Studies Press. Pp 26-51.

Reves, Thea (1983). *What makes a good language learner? Personal characteristics contributing to successful language acquisition*. Unpublished Ph.D. Dissertation. The Hebrew University of Jerusalem.

Rouhana, Nadim (1997). *Palestinian Citizens in an Ethnic Jewish State: Identities in Conflict*. Yale University Press, New Haven and London.

Roy, A. (2001). *Power politics*. Cambridge, MA: South End.

Saban, I. and Amara, M. (2002) The Status of Arabic in Israel: Reflections on the Power of Law to Produce Social Change. *Israel Law Review* 36 (2): 5-39.

Sagi, Avi (2009) Society and law in Israel: between a rights discourse and identity discourse. In *The Multicultural Challenge in Israel*, edited by Avi Sagi and Ohad Nachtomy. Boston: Academic Studies Press. Pp 129-149.

Sarup M. (1996). *Identity, Culture and the Post- Modern World*. Athens, Georgia: The University of Georgia Press.

Sawaie, M. (1986). 'Arabic language academies as language planners.' In N. Schweda-Nicholson (ed.), *Languages in the International Perspective*. Norwood, NJ: Albex, 56-65.

Sawaie, M. (2006). 'Language academies.' Lemma in K. Versteegh, M. Eid, A. Elgibali, M. Woidich, and A. Zaborkski (eds), *Encyclopedia of Arabic Language and Linguistics*. Leiden, Brill, II: 634-42.

Shohamy, Elana (1994). Issues of language planning in Israel: Language and ideology. In *Language Planning around the World*, edited by R. Lambert Richard. Washington, DC: National Foreign Language Center. Pp. 131-142.

Shohamy, Elana (1999). Language and identity of Jews in Israel and in the Diaspora. In *Present and Future: Jewish Culture, Identity and Language*, edited by David Zisenwine and David Schers. School of Education- Tel-Aviv University. Pp. 79-100.

Shohamy, E. and Donitsa-Schmidt, S. (1998). *Differences in Attitudes, Stereotypes and Priorities regarding Hebrew and Arabic of Jews and Arabs in Israel*. Research Report, Tel-Aviv University, School of Education.

Shohamy, E. & Gorter, Durk (2009). *Language landscape: Expanding the Scenery*. New York and London: Routledge.

Sibyan, Bonifacio P. (1988). The intellectualization of Filipino. *International Journal of the Sociology of Language* 88: 69-82.

Sirles, C.A. (1999). Politics and Arabization: The evolution of post-independence North Africa. *International Journal of the Sociology of Language* 137; 115-29.

Skaaraas, Cecilie (2009). *A Stroll on a Linguistic Tightrope: A Study of Urban Israeli Palestinians' Language Attitudes and Reported Usage*. Master thesis in Arabic language. Department of Culture Studies and Oriental Languages University of Oslo

Skutnabb-Kangas, Tove (1999). Education of minorities. In *Handbook of Language and Ethnic Identity*, edited by Joshua A. Fishman. Oxford University Press. Pp. 42-59.

Smootha, Samy (1989). The Arab minority in Israel: Radicalization or politicization?. *Studies in Contemporary Jewry*, 5, 1-21.

Smootha, Samy (1992). *Arabs and Jews in Israel: Change and Continuity in Mutual Tolerance* (Vol. 2). Westview, Boulder.

Smootha, Samy (1999). *Autonomy for the Arabs*. Beit Berl: The Center for the Arab Studies. (Hebrew)

Spolsky, Bernard (1994). "The situation of Arabic in Israel". *Arabic Sociolinguistics: Issues and Perspectives*, ed. by Yasir Suleiman, 227-234. London: Curzon Press.

Spolsky, B. (1996). Hebrew and Israeli identity. In *Language and Identity in the Middle East and North*

Africa, edited by Yasir Suleiman. Richmond: Curzon Press. Pp. 181-192..

Spolsky, Bernard (2004). *Language Policy*. Cambridge: Cambridge University Press.

Spolsky, Bernard (2009). *Language Management*. Cambridge: Cambridge University Press.

Spolsky, B. & Amara, M.H. (1997a). Politics and Language Change: the sociolinguistic reflexes of the division of a Palestinian village. *Language and its Ecology: Essays in Memory of Einar Haugen*. Edited by Eliasson, S. and Jahr, E.H. Mouton de Gruyter. Trends in Linguistics, Studies and Monographs 100, pp. 35-74.

Spolsky, B., Amara, M., Tushyeh, H., & de Bot, K. (2000). *Languages in Bethlehem: The sociolinguistic transformation of a Palestinian town*. Edited by Mirjam A.F. Ros-Tonen. NIRP Research for Policy Series 5. Amsterdam: NIRP. . 62 pp.

Spolsky, Bernard and Shohamy, Elana (1999). *Languages of Israel: Policy, Ideology and Practice*. Clevedon: Multilingual Matters Ltd.

Spolsky, Bernard and Shohamy, Elana (1999b). Language in Israeli society and education. *International Journal of the Sociology*

Stahl, A. (1994). The Imposition of Hebrew Names on New Immigrants to Israel: Past and Present. *Names*, 42, (4), 279-288.

Suleiman, Yasir (1996). Language and identity in Egyptian Nationalism. In Yasir Suleiman (Ed.), *Language and Identity in the Middle East and North Africa* (pp.25-38). London: Curzon Press.

Suleiman, Y. (2003). *The Arabic Language and National Identity*. Washington, D.C.: Georgetown University Press.

Suleiman, Y. (2004). *A War of Words: Language and Conflict in the Middle East*. Cambridge: Cambridge University Press.

Tajfel, H. (1978). *Differentiation between Social Groups*. London: Academic Press.

Tabory, Mala 1981. Language rights in Israel. *Israel Yearbook on Human Rights* 11: 272-306.

Tajfel, H. & Turner, J. (1985). The social identity theory of inter-group behavior. Stephen Worchel and William G. Austen (Eds.), *Psychology of Inter-group Relations*. Chicago: Nelson-Hall. Pp. 7-24.

Thomason, S. G. (2001). *Language Contact: An Introduction*. Washington, D.C.: Georgetown University Press.

UNESCO, (2008). *Promotion and preservation of languages*. Retrieved 10 July, 2008. <http://www.un.org/events/iyl/multilingualism.shtml>.

Vermeulen, Hans and Govers,, Cora (1994). Introduction: The anthropology of ethnicity. In *Beyond Ethnic Groups and Boundaries*, H. Vermeulen and C. Govers (eds.). Amsterdam: Het Spinhuis. Pp. 1-12.

Winslade, John, Monk, Gerald, (2000). *Narrative Mediation: A New Approach to Conflict Resolution*. Jossey - Bass Publishers, San-Francisco.

Yitzhaki, Dafna (2008). *Minority Languages and Language Policy: The Case of Arabic in Israel*. PhD Dissertation, Bar-Ilan University, Ramat-Gan.

Zureik, E.T. (1979). *The Palestinian in Israel: A Study in Internal Colonialism*. London: Routledge and Kegan Paul.

مواقع

http://timss.bc.edu/PDF/P06_IR_Ch1.pdf
http://www.islamonline.net/arabic/arts/200501//article06_09.shtml
<http://www.passia.org/Palestine-fact>
<http://www.aljazeera.net/NR/exeres/0E216055-DCF44-D59-AD1D-C434B89C68F5.htm>
<http://www.arabicacademy.org.eg/FrontEnd/nabza.aspx>
<http://www.bettna.com/books/showhwaratn.ASP?aid=154>
<http://www.amaalawwadradwan.maktoobblog.com/851216>
<http://www.arabs48.com/display.x?cid=6&sid=5&id=46604>
<http://www.arabicac.com/shownews.php?ID=130>
<http://www.qsm.ac.il/ArbLanguage/About.aspx>
<http://www.tajamoa.org/?mod=article&ID=198>
<http://www.arabs48.com/display.x?cid=51&sid=188&id=62806>
<http://www.aljazeera.net/NR/exeres/1819FBDE-A8548-4337-A58-323E9BB850E2.htm>

Part VI, the final section of the study, outlines challenges faced by Arabic, with a particular emphasis on ideological issues. In chapter fourteen, I examine language ideologies and how this impacts attitudes towards Arabic. Chapter fifteen explores the status of Arabic in language academies in Israel. Chapter sixteen examines the discourse surrounding Arabic within Arab organizations specifically in the context of a series of future vision documents formulated by these organizations. Chapter seventeen outlines challenges faced by Arabic in Israel, while the book's final chapter offers a theoretical framework and preliminary proposals to meet identified challenges.

This book, for the first time ever, presents a comprehensive analysis of the status of Arabic in Israel in relation to the Arab-Palestinian minority. This timely publication compliments and enhances discourse within the Arab-Palestinian community regarding language and identity. By offering an analysis that includes external as well as internal factors, it is my hope that it will open up new and creative directions for thought and potential solutions. I hope that this publication will contribute to granting Arabic the status it deserves.

Internal challenges are primarily Arabic diglossia, the tendency of some Arab countries to favor local dialects over classical Arabic, and the corrosive impacts of modernization on use of Arabic. External challenges can be summarized as contact with other languages, especially languages used by colonizers and language contact with the west, in the context of economic and political domination and globalization.

Part II of the book addresses the unique situation and context of Arabic in Israel. Three chapters are included: chapter three examines domestic and regional impacts, chapter four examines the linguistic situation in Israel and the status of Arabic within this reality and the fifth and final chapter of this section identifies the presence or absence of certain linguistic features of Arabic among Palestinians in Israel.

Part III deals with Arabic in light of the dominance of Hebrew, or what can be called the “Hebraization” of Arabic. Chapter six examines the dominance of Hebrew in the public sphere, chapter seven looks at the way in which Arab-Palestinian students in Israel learn Hebrew while the final chapter in this section investigates aspects of Hebrew which have entered Palestinian Arabic.

Part IV examines the linguistic landscape and geography on the physical plane. The ninth chapter focuses on the issue of Hebraizing the names of Arab sites while chapter ten addresses the current Palestinian language landscape. Chapter eleven examines the linguistic landscape of the city of Umm al-Fahm as a case study.

Part V, consisting of two chapters, focuses on educational issues and the ways in which they reflect the political context. Chapter twelve looks at the teaching of Arabic in the Arab education system, with a particular focus on the question of identity. Chapter thirteen, for its part, examines the teaching of Arabic to Jewish students and the impact of security and civil considerations on the way in which Arabic is presented in schools teaching Jewish students.

This work, to a certain extent, represents the culmination of many years of research on Arabic, linguistic repertoire and educational policy regarding the language of Palestinian citizens of Israel. It draws all of these factors together while linking them to developments locally, regionally, in the Arab world and globally. Its perspective is inter-disciplinary and, as such, examines the topic from a number of angles including linguistic, social, cultural and political (see Amara 1986, 1991, 1995, 1999 a, 1999 b, 2001, 2006, 2007, 2009; Amara and Mari, 1999, 2002, 2008; Amara and others, 2009).

Many of my previous studies were both theoretical and practical (i.e. linked to developments in the field). While this is not a summary of previous research, my extensive investigation of this topic greatly enhanced and enriched my understanding of, and ability to consolidate this data. It formed a basis for analyzing the Arabic language and its contexts and challenges from a comprehensive perspective. At the same time, I raise many new issues in this work: the Palestinian linguistic landscape, recently established linguistic academies and the roles of political parties, political movements, and civil society initiatives in promoting the Arabic language. Finally, I present a preliminary theoretical framework which can be applied to meet these challenges. In this way, the book, in its essence, is a sociolinguistic study.

The content here is both complex and comprehensive. I conducted field studies and applied various research methodologies to collect the data including interviews, the use of questionnaires, archival research, photography and more. These methodologies are discussed in greater detail in the book itself.

The work is divided into six sections. Part I, which consists of two chapters, serves as an introduction. Chapter one provides the reader with a theoretical background on language and social identity. The second chapter outlines general challenges to Arabic globally, divided by internal and external challenges.

presence encroaches on proficiency in Arabic. Furthermore, the forces of globalization weaken ties to indigenous modes of operating in the world in favor of mainstream culture. As Arabic weakens, so does the critical bond of Arab-Palestinians to their heritage. Thus, Arab-Palestinian leaders and educators in Israel are increasingly discussing the need to maintain and increase competency in Arabic among younger generations. To do this properly requires an in-depth examination of all factors which influence language maintenance and loss. Only this will facilitate appropriate strategies for the survival of Palestinian culture within Israel.

Recently there has been a proliferation of research on Arab-Palestinian society in Israel. To date, it has primarily focused on education, politics and various cultural and social issues. However, linguistic research in all areas – Arabic as mother tongue, the dominance of Hebrew in the State of Israel and more – is still in its infancy. As noted, research of this nature can shed light on important aspects of the Arab-Israeli conflict, elucidate aspects of group identity, address key issues within the Palestinian society, identify developments which have not received sufficient attention to date and highlight dynamics of inter-group relations within Israel. Indeed, the research in this book aims to shed light on Arab-Palestinian society, draw attention to this aspect of majority-minority relations and deepen the understanding of culture, belonging and identity within this substantial minority group.

In this work, I explore current realities and draw attention to the challenges faced by Arabic in all relevant contexts. I analyze the status of Arabic following the creation of the state of Israel and document its impact on the individual and collective identity of Arab-Palestinian citizens of Israel. I also examine the interplay of language and identity in conflict situations. Ultimately, the book attempts to promote linguistic policy which strengthens and preserves Arabic as a mother tongue language and as a transmitter of identity and culture despite external threats.

of the State of Israel – a state which defines and perceives itself as Jewish and Zionist. Furthermore, as an indigenous minority, they hold conceptions of the history, land, essence of the region and the meaning of the State of Israel, and of the Arab-Israeli conflict which are very different from the conception of the Jewish majority of Israel as a Jewish state founded on principles of Zionism. The Arab-Israeli regional conflict has also profoundly influenced relations between Jews and Arabs within Israel and molds the political identities of both groups. These contrasting and conflicting narratives are the basis for tensions, animosity, suspicion and distrust.

The conflicts and contradictions Arab-Palestinians face on a daily basis have a tremendous impact on the process of identity formation. Maintaining ones' native cultural identity in the face of on-going and intensive external pressure is extremely difficult. Significantly, use of Arabic is at the heart of identity maintenance; it not only produces and conveys culture, but, in fact, is an integral aspect of the essence of Arab culture. Furthermore, language as a means of communication, along with being a system of signals and signs, is one of the primary means in which individuals and groups are socialized. Language establishes intellectual, cultural and national boundaries between mother tongue speakers and 'others' and, as such, is one of the most important components of individual and collective identity. Language, similarly, holds significance in the public sphere: the higher the position and prominence of any given language, the more symbolic value and vitality it is considered to have. Thus, knowledge about the use and status of Arabic in Israel necessarily reflects back essential aspects of Arab-Palestinian identity and can be used as a barometer for examining relations between Arabs and Jews.

Current challenges to the use and maintenance of Arabic, and to Arab-Palestinians' identity in general, are numerous. The passage of the older generation, coupled with Arab-Palestinians' isolation from their Arab brethren has led to a weakening of knowledge and use of Arabic. Hebrew's pervasive



Preface

Historical Palestine has undergone many geopolitical transformations, each of which has left an imprint on the language and culture of its people (Amara, 2003). However, none have been more dramatic than developments which have taken place in the last century. Since the British Mandate period, Hebrew, along with English and Arabic have been regarded as official languages (see Amara 2002; Amara and Mari 2002; Saban and Amara, 2002). However, the establishment of the State of Israel, and the dominance of Hebrew in everyday interactions has had the most profound impact on the status of Arabic within the region.

Continually since 1948, some 20% of the population of Israel has consisted of Palestinians indigenous to the region. Since the Nakba, and following the establishment of the State of Israel, Palestinians within the country's borders found themselves physically, socially and culturally isolated from the rest of the Arab world (Boymel, 2007) a reality which has had profound impacts on the development of Arab-Palestinians' national, religious and cultural identity.

While Arab-Palestinians in Israel continue to identify emotionally, culturally and nationally with the Arab world and the Palestinian people, they have found themselves citizens

ARABIC LANGUAGE
IN ISRAEL:

Contexts and Challenges

Muhammad Amara

Dirasat - Arab Center for Law and Policy
& Beit Berl Academic College

تلقي هذه الدراسة الضوء على واقع اللغة العربية وتحدياتها في إسرائيل في ظل الصراع العربي-الإسرائيلي وفحص وضعية اللغة العربية منذ النكبة، وبعد قيام إسرائيل لسبر علاقتها بالوجود العربي- الفلسطيني في البلاد، من ناحية الهوية الفردية والهوية الجماعية.

استند هذا الكتاب على ثمرة عمل استمر سنوات طوال في بحث اللغة العربية، والمخزون اللغوي، وسياسة التربية اللغوية للمواطنين الفلسطينيين في إسرائيل وربطها بالسياقات المحلية، القطرية، العربية والعالمية من عدة جوانب، أهمها اللغوية، الاجتماعية الثقافية، والسياسية. هذا الكتاب ليس تلخيصاً لأبحاث سابقة، وإنما أتت الأبحاث السابقة لتشكيل لبنات لفهم وتحليل خصوصية اللغة العربية، سياقاتها وتحدياتها بمفهوم شمولي في ظل الواقع الإسرائيلي المركب، وارتباطها الوثيق بالفضاء العربي الإقليمي، والعولمة. إضافة إلى ذلك هناك العديد من الموضوعات الجديدة المطروحة في هذا الكتاب: المشهد اللغوي الفلسطيني، المجامع اللغوية التي أسست مؤخراً، دور الأحزاب، الحركات والمجتمع المدني في تعزيز اللغة العربية، ودورها في التصورات المستقبلية، وبناء إطار نظري أولي لمواجهة التحديات. هذا الكتاب هو بالأساس دراسة لغوية-اجتماعية

يعرض هذا الكتاب ولأول مرة تحليلاً شمولياً لمكانة اللغة العربية، خاصة بما يرتبط بالمجتمع العربي-الفلسطيني في إسرائيل. أمل أن يفتح الكتاب اتجاهات جديدة وخالقة من الفكر والحلول، وأن يشكل مساهمة جدية لإعادة اللغة العربية إلى مكانتها وتعزيز هوية أبنائها، في ظل تحديات الصراع والتحديات الثقافية في زمن العولمة.

ب. محمد أمارة

يشغل البروفيسور محمد أمارة حالياً منصب رئيس قسم اللغة الانجليزية في كلية بيت-بيرل، المعهد الأكاديمي لتأهيل المعلمين العرب، وعدة مناصب أخرى في الكلية. عمل بروفيسور أمارة حتى عهد حديث في جامعة بار- ايلان في قسمي العلوم السياسية واللغة الانجليزية لعدة سنوات. وعمل أيضاً محاضراً زائراً في جامعة تل-أبيب، وفي العديد من الجامعات الأوروبية والأمريكية. تشمل اهتمامات أمارة الأكاديمية مجالات التربية اللغوية، السياسة اللغوية، علم اللغة-الاجتماعي، اللغة والسياسة، والهويات الجماعية. وله العديد من الكتب في هذه المجالات، بالإضافة الى عشرات الأبحاث والمقالات العلمية في مختلف اللغات.

كان من مؤسسي مركز دراسات (المركز العربي للحقوق والسياسات) ورئيس الهيئة الإدارية الأول، يشغل الآن منصب المدير الأكاديمي لوحدة الأبحاث في المركز، وهو أيضاً رئيس مشارك في جمعية سيكوي، وانتخب مؤخراً لرئاسة المجلس التربوي العربي المنبثق عن لجنة متابعة قضايا التعليم.

